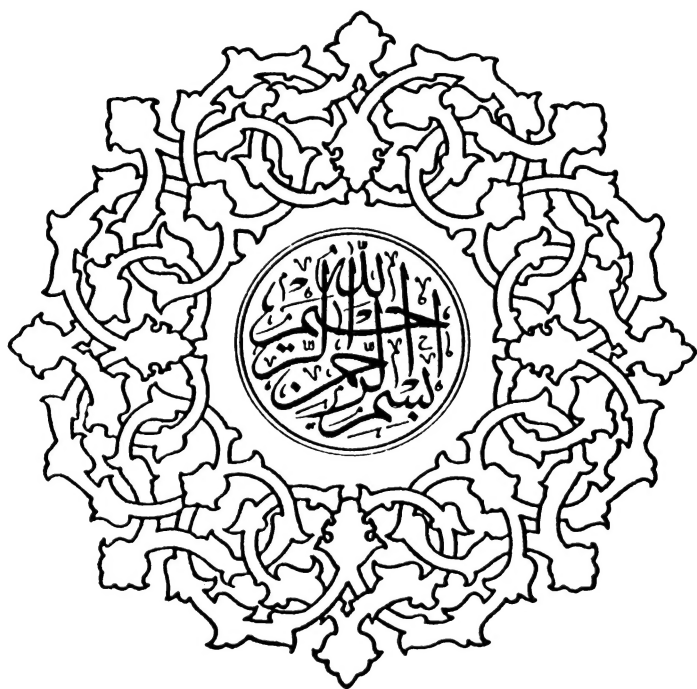


إِعْلَامُ
الْمُهَادِيَّةِ

الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ

«الْمُهَادِي»

الْمَجْمُوعُ الْعَامِلِي الْأَوَّلُ لِلنَّبِيِّ



أَعْلَامُ الْمُهَذَّبِينَ

الأمير علي بن محمد

الهادي



المجمع العالمي لأهل البيت

«فم المقدسة»



أعلام الهداية

١٢

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

- المؤلف: لجنة التأليف
- الموضوع: كلام و تاريخ
- الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام
- الطبعة: الأولى
- المطبعة: ليلي
- الكمية: ٥٠٠٠
- تاريخ النشر: ١٤٢٢ هـ

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام قم

أَهْلُ الْبَيْتِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِنَمَازٍ لَدَى اللَّهِ
لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ
وَيُطَهَّرَ كَمَا تُطَهَّرُ

أَهْلُ الْبَيْتِ
فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ
كِتَابَ اللَّهِ وَعَنْتِي أَهْلُ بَيْتِي
مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا

« الصَّحِيحُ الْوَسِيلِيُّ »

فهرس إجمالي

الباب الأول :

- ١٧ الفصل الأول : الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في سطور....
٢١ الفصل الثاني : انطباعات عن شخصية الإمام الهادي (عليه السلام).....
٢٧ الفصل الثالث : مظاهر من شخصية الإمام الهادي (عليه السلام).....

الباب الثاني :

- ٣٩ الفصل الأول : نشأة الإمام الهادي (عليه السلام).....
٤١ الفصل الثاني : مراحل حياة الإمام الهادي (عليه السلام).....
٤٣ الفصل الثالث : الإمام الهادي (عليه السلام) في ظل أبيه (عليه السلام).....

الباب الثالث :

- الفصل الأول : المسيرة الرسالية لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر
الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى عصر الإمام الهادي (عليه السلام)..... ٦٥
الفصل الثاني : عصر الإمام محمد بن علي الهادي (عليه السلام)..... ٧٩
الفصل الثالث : ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام)..... ١١٩

الباب الرابع :

- ١٣٣ الفصل الأول : متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام).....
١٥٥ الفصل الثاني : الإمام الهادي (عليه السلام) وتكامل بناء الجماعة الصالحة.
١٩٣ الفصل الثالث : الإمام الهادي (عليه السلام) في ذمة الخلود.....
٢٠١ الفصل الرابع : مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وتراثه.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (ﷺ) وعلى آله الميامين النجباء .

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحق ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحققاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعزّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ، كما بين لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أخرى .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾ [الأنعام (٦) : ٧١] .

﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣] .

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٤] .

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١] .

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلّا أن يُهدي فمالكم كيف تحكمون ﴾ [يونس (١٠) : ٣٥] .

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ (٣٤) : ٦] .

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هُدى من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠] .

فإنّ الله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ﴾ [الذاريات (٥١) : ٥٦] .

وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، صارت المعرفة والعبادة طريقاً منحصرّاً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليوفّر له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمّن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان - بالإضافة إلى عقله وسائر

أدوات المعرفة - إلى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتم عليه الحجة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفر لديه كل الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشر والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سنة الهداية الربانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكل مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيدةً لدلائل العقل - بأن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة، وصرح القرآن - بشكلٍ لا يقبل الريب - قائلاً:

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد (١٣): ٧].

ويتولى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديون مهمة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخص في:

- ١ - تلقي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلب الاستعداد التام لتلقي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الانعام (٦): ١٢٤] و ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ رَسَلَهُ مِنْ

يَشَاءُ ﴾ [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢- إبلاغ الرسالة الإلهية إلى البشرية ولمن أرسلوا إليه، ويتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: ﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة (٢): ٢١٣].

٣- تكوين أمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿يزكّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [الجمعة (٦٢): ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقررة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمى بالعصمة.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأطروحة الربانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانه سياسياً يتولّى إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الربانية للبشرية، ويتطلب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعتبر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة

الدينية من كل سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة وانقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل الترية الشاق، وتحملوا في سبيل أداء المهام الرسالية كل صعب، وقدموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلکؤا طرفة عين.

وقد توج الله جهودهم وجهادهم المستمر على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وحمله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتائج ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

- ١ - تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .
- ٢ - تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .
- ٣ - تكوين أمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشرعية قانوناً للحياة .
- ٤ - تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .
- ٥ - تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (ﷺ) .

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ - أن تستمر القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يترقبون بها الدوائر .

ب - أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول (ﷺ)، يستوعب الرسالة ويجسدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول (ﷺ) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتولي مهمة إدامة الحركة النبوية العظيمة والهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولوا تبیین معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مر العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلى هذا التخطيط الرباني في ما نص عليه الرسول (ﷺ) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزفهم النبي الأكرم (ﷺ) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (ﷺ)، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشق طريقه إلى أعماق الأمة ووجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة

الرسول (ﷺ)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشرعية ولحركة الرسول (ﷺ) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة والأمة جمعاء.

وتبلورت سيرة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح للإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، والمستقرين في أمر الله، والتأمين في محبته، والذائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العز على الحياة مع الذل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير.

ولا يستطيع المؤرخون والكتاب أن يلموا بجميع زوايا سيرتهم العطرة ويدعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإن محاولتنا هذه إنما هي إعطاء قبسات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دونها المؤرخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنه ولي التوفيق.

إن دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وتنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه وأثار الأرض بعدله.

ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)،
عاشر أئمة أهل البيت (عليه السلام) وهو المعصوم الثاني عشر من أعلام الهداية الذي
جسد الإسلام العظيم في القول والعمل كآبائه الطاهرين صلوات الله عليهم
أجمعين.

ولا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً
وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لاسيما
أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.
ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز
هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

قم المقدسة



فيه فصول :

الفصل الأول :

الإمام الهادي (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصية الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصية الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الأول

الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في سطور

الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو عاشر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فمعدنه هو معدن الرسالة والنبوة وهو فرع هذا البيت النبوي الطاهر الذي جسّد للانسانية خطّ محمد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وجمع كل المكارم والمآثر الزاخرة بالعطاء والهداية الربّانية مؤثراً رضا الله تعالى على كل شيء في الحياة . ولد الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) محاطاً بالعناية الإلهية . فأبوه هو الإمام المعصوم والمسدد من الله محمد الجواد (عليه السلام) وأمه الطاهرة التقية سمانة المغربية .

ونشأ على مائدة القرآن المجيد وخلق النبي العظيم المتجسّد في أبيه الكريم خير تجسيد .

لقد بدت عليه آيات الذكاء الخارق والنبوغ المبكر الذي كان ينبئ عن الرعاية الالهية التي حُصّ بها هذا الإمام العظيم منذ نعومة أظفاره .

وقد تقلّد منصب الإمامة الإلهي بعد أبيه في الثامنة من عمره الشريف فكان مثلاً آخر للإمامة المبكّرة التي أصبحت أوضح دليل على حقانية خط

أهل البيت الرسالي في دعوى الوصية والزعامة الدينية والدينية للامة الإسلامية خلافة عن رسول الله (ﷺ) ونيابة عنه في كل مناصبه القيادية والرسالية .

وتنقسم حياة هذا الإمام العظيم إلى حقبتين متميزتين : أمضى الأولى منهما مع أبيه الجواد (عليه السلام) وهي أقل من عقد واحد . بينما أمضى الثانية وهي تزيد عن ثلاثة عقود ، عاصر خلالها ستة من ملوك الدولة العباسية وهم : المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز . واستشهد في أيام حكم المعتز عن عمر يناهز أربعة عقود وستين . وقد عانى من ظلم العباسيين كما عانى آباؤه الكرام حيث أحكموا قبضتهم على الحكم واتخذوا كل وسيلة لإقصاء أهل البيت النبوي وابعادهم عن الساحة السياسية والدينية ، وإن كلفهم ذلك تصفيتهم جسدياً كما فعل الرشيد مع الامام الكاظم ، والمأمون مع الامام الرضا ، والمعتصم مع الامام الجواد (عليه السلام) .

وتتميز عصر الإمام الهادي (عليه السلام) بقربه من عصر الغيبة المرتقب ، فكان عليه أن يهيئ الجماعة الصالحة لاستقبال هذا العصر الجديد الذي لم يُعهد من قبل حيث لم يمارس الشيعة حياتهم إلا في ظل الارتباط المباشر بالأئمة المعصومين خلال قرنين من الزمن . ومن هنا كان دور الإمام الهادي (عليه السلام) في هذا المجال مهماً وتأسيسياً وصعباً بالرغم من كل التصريحات التي كانت تتداول بين المسلمين عامة وبين شيعة أهل البيت خاصة حول غيبة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليه السلام) أي المهدي المنتظر الذي وعد الله به الأمم .

وبالرغم من العزلة التي كانت قد فرضتها السلطة العباسية على هذا الإمام حيث أحكمت الرقابة عليه في عاصمتها سامراء ولكن الإمام كان

يمارس دوره المطلوب ونشاطه التوجيهي بكل دقة وحذر ، وكان يستعين بجهاز الوكلاء الذي أسسه الإمام الصادق (عليه السلام) وأحكم دعائمه أبوه الإمام الجواد (عليه السلام) وسعى من خلال هذا الجهاز المحكم أن يقدم لشيعته أهم ما تحتاج إليه في ظرفها العصيب . وبهذا أخذ يتجه بالخط الشيعي أتباع أهل البيت (عليهم السلام) نحو الاستقلال الذي كان يتطلبه عصر الغيبة الكبرى ، فسعى الإمام علي الهادي (عليه السلام) بكل جد في تربية العلماء والفقهاء إلى جانب رفده المسلمين بالعطاء الفكري والديني - العقائدي والفقهية والأخلاقي - .

ويمثل لنا مسند الإمام الهادي (عليه السلام) جملة من تراثه الذي وصل إلينا بالرغم من قساوة الظروف التي عاشها هو ومن بعده من الأئمة الأطهار (عليهم السلام) . فسلام عليه يوم ولد ويوم تقلد الإمامة وهو صبي لم يبلغ الحلم ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

تعطي كلمات العلماء والعظماء في الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، صورة من إكبار المؤلف والمخالف له (عليه السلام)، وإجماع المسلمين على جلالته وعظمته .

وإليك بعض الانطباعات التي وصلتنا من معاصريه ومن تلاهم من العلماء والمؤرخين عن هذه الشخصية الفريدة .

١ - من كتاب للمتوكل العباسي إلى الإمام الهادي (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : إن أمير المؤمنين عارف بقدرك ، راع لقرابتك ، موجب لحقك ، مؤثر في الأمور فيك وفي أهل بيتك لما فيه صلاح حالك وحالهم ، وتثبيت عزك وعزهم ، وادخال الأمر عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضی الله واداء ما افترضه عليه فيك وفيهم .

ثم ختمه بقوله: وأمير المؤمنين مشتاق إليك ، ويحب احداث العهد بقربك والتمين بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركة^(١) .

٢ - قال يحيى بن هرثمة - الذي ارسله المتوكل لاشخاص الإمام (عليه السلام) إلى سر من رأى - : فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي الهادي ، وقامت الدنيا على ساق ، لأنه كان

(١) أصول الكافي: ٥٠٢/١، الفصول المهمة: ٢٦٥ .

محسناً إليهم ، ملازماً للمسجد ، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا ، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عيني ، وتوليت خدمته بنفسي ، وأحسنت عشرته ، فلما قدمت به بغداد وبدأت بأسحاق الطاهري وكان والياً على بغداد ، فقال لي : يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله (ﷺ) ، والمتوكل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله ، وكان رسول الله (ﷺ) خصمك يوم القيامة ، فقلت له : والله ما وقفت منه إلا على كل أمر جميل^(١).

٣- قال أبو عبد الله الجندي : والله تعالى لهو خير أهل الأرض ، وأفضل من برأه الله تعالى^(٢).

٤- قال يزداد الطبيب : إذا كان مخلوق يعلم الغيب فهو^(٣).

٥- وقال ابن شهر آشوب : وكان أطيّب الناس بهجةً وأصدقهم لهجةً وأملحهم من قريب وأكملهم من بعيد ، إذا صمت علتة هيبة الوقار ، وإذا تكلم سماه البهاء ، وهو من بيت الرسالة والإمامة ومقرّ الوصية والخلافة شعبة من دوحة النبوة منتضاة مرتضاة ، وثمره من شجرة الرسالة مجتناة مجتابة^(٤).

٦- قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي : وأما مناقبه : فمنها ما حل في الأذان محل حلاها باشنافها واكتنفته شغفاً به اكتناف اللثائي الثمينة باصدافها وشهد لأبي الحسن أنّ نفسه موصوفة بنفائس اوصافها ، وأنها نازلة من الدوحة النبوية في ذرى اشرافها ، وشرفات اعرافها^(٥).

٧- قال أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : أبو الحسن علي الهادي

(١) تذكرة الخواص: ٢٠٢.

(٢) مآثر الكبراء: ٩٦/٣.

(٣) بحار الانوار: ١٦١/٥٠.

(٤) المناقب: ٤ / ٤٣٢.

(٥) مطالب السؤول: ٨٨.

ابن محمد الجواد بن علي الرضا (عليه السلام) ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر ، وكان قد سعي به إلى المتوكل وقيل : إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، واوهموه انه يطلب الأمر لنفسه فوجه اليه بعدة من الاتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة ، فوجدوه في بيت مغلق عليه ، وعليه مدرعة من شعر ، وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن والوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى^(١).

٨- قال عبد الله بن أسعد اليافعي : أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني ، عاش اربعين سنة ، وكان متعبداً فقيهاً إماماً^(٢).

٩- قال الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير : وأما أبو الحسن علي الهادي فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي ابن أبي طالب ، أحد الأئمة الاثني عشر ، وهو والد الحسن بن علي العسكري ، وقد كان عابداً زاهداً ، نقله المتوكل إلى سامراء فاقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر ، ومات بها في هذه السنة - سنة اربع وخمسين ومائتين - وقد ذكر للمتوكل أنّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس ، فبعث كبسة فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف ، وهو على التراب ليس دونه حائل ، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل...^(٣)

١٠- قال محمد سراج الدين الرفاعي : الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ولقبه النقي والعالم والفقيه والامير والدليل والعسكري

(١) وفيات الاعيان: ٤٣٥/٢ .

(٢) مرآة الجنان: ١٦٠/٢٠ .

(٣) البداية والنهاية: ١٥/١١ .

والنجيب ، ولد في المدينة سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة ، وتوفي شهيداً بالسّم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة اربع وخمسين ومائتين وكان له خمسة اولاد : الإمام الحسن العسكري ، والحسين ، ومحمد ، وجعفر ، وعائشة ، فالحسن العسكري اعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله محمد المهدي (١).

١١ - قال احمد بن حجر الهيتمي : علي العسكري سمي بذلك لأنه لما وجه لاشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى واسكنه بها ، كانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري ، وكان وارث أبيه علماً وسخاء (٢).

١٢ - قال أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقي القرماني : الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والأيادي ، الإمام علي بن محمد الهادي ، رضي الله عنه : ولد بالمدينة وأمه أم ولد ، وكنيته أبو الحسن ، ولقبه الهادي والمتوكل ، وكان اسمر ، نقش خاتمه «الله ربي وعصمتي من خلقه» وأما مناقبه فنفيسة ، وأوصافه شريفة (٣).

١٣ - قال عبد الله الشبراوي الشافعي : العاشر من الأئمة علي الهادي ، ولد (عليه السلام) بالمدينة في رجب سنة اربع عشرة ومائتين ، وكراماته كثيرة (٤).

١٤ - قال محمد أمين السويدي البغدادي : ولد بالمدينة وكنيته أبو الحسن ، ولقبه الهادي ، وكان اسمر اللون ، نقش خاتمه «الله ربي وهو عصمتي من خلقه» ومناقبه كثيرة (٥).

١٥ - قال مؤمن الشبلنجي : ومناقبه (عليه السلام) كثيرة ، قال في الصواعق : كان

(١) صحاح الاخبار: ٥٦.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٥.

(٣) أخبار الدول: ١١٧.

(٤) الاتحاف بحب الاشراف: ١٧٦.

(٥) سبائك الذهب: ٥٧.

أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً وسخاءً ، وفي حياة الحيوان : سمي العسكري لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقرّه بسر من رأى^(١).

١٦ - قال محمد امين غالب الطويل : كان حسن الخلق حتى لم يكن أحد يشك في عصمته ، ولكن خطر الإمامة أوهم الخليفة المتوكل بالخطر ، وقد وشي به اليه أنه جمع في بيته معدات واسلحة استعداداً للخروج عليه ، والادعاء بالخلافة ، فأرسل الخليفة حينئذٍ عساكره التركية فهجموا ليلاً على بيته ، وقد اختار الخليفة العساكر التركية لسوء ظنه بالعرب المسلمين ، لأنهم يعرفون من الأحق بالخلافة ، أما الاتراك فكانوا حديثي عهد بالاسلامية ، وكانوا لا يعرفون غوامضها ، بل كانوا يناصرون العباسيين الذين اعتادوا التزوج من بنات الاتراك .

ذهبت العساكر التركية ليلاً إلى بيت الإمام ، ورأوه جالساً على التراب ، ملتفّاً برداء صوف ، وهو يقرأ القرآن وبعد تفتيش جميع زوايا بيته أحضروه إلى الخليفة وأخبروه بالقصة ، وكيف أنهم رأوا الإمام زاهداً ، وأنهم لم يجدوا عنده شيئاً من العدة^(٢).

١٧ - قال السيد عبد الوهاب البدري : وبقي الإمام الهادي يتنقل في مجالس سامراء ، يواسي ذوي المصائب ويساعد المحتاج ، ويرحم المساكين ، ويشفق على اليتيم ويدلف ليلاً إلى الارامل والثكالي وثوبه كله «صرر» فينثرها عليهم ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ يذهب نهاره إلى عمله فيقف تحت الشمس يعمل في مزرعته حتى يتصبب العرق من جسمه ، وعندما يقبل الليل يتجه إلى ربه ساجداً راكعاً خاشعاً ليس بين جبينه الواضح

(١) نور الابصار: ١٤٩.

(٢) تاريخ العلويين: ١٦٧.

وبين الأرض سوى الرمل والحصى ، وأنه يردد دعاءه المشهور «الهي مسيء قد ورد ، وفقير قد قصد ، لا تخب مسعاه وارحمه واغفر له خطأه» (١) .

١٨ - قال خير الدين الزركلي : أبو الحسن العسكري علي الملقب بالهادي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر ، الحسيني الطالب ، عاش الأئمة الإثني عشر ، وأحد الأتقياء الصالحاء ، ولد بالمدينة ، ووشي به إلى المتوكل العباسي فاستقدمه إلى بغداد ، وأنزله في سامراء (٢) .

١٩ - قال دوايت م رونلدرسن بعد أن فصل الحديث عنه (عليه السلام) : قصده كثيرون للأخذ عنه من البلاد التي يكثر فيها شيعة آل محمد ، وهي : العراق وايران ومصر (٣) .

٢٠ - وقال فضل الله بن روزبهان الشافعي : اللهم صلّ وسلّم على الإمام العاشر مقتدى الحيّ والنادي سيّد الحاضر والبادي ، حارز نتيجة الوصاية والإمامة من المبادي ، السيف الغاضب على رقبة كلّ مخالفٍ معادي ، كهف الملهوفين في النوائب والعوادي قاطع العطش من الأكباد الصودي ، الشاهد بكمال فضله الأحباب والأعادي ، ملجأ أوليائه بولائه يوم ينادي المنادي أبي الحسن عليّ النقي الهادي بن محمد الشهيد بكيد الأعداء ، المقبور بسرّ من رأى (٤) .

(١) سيرة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ٥٩ .

(٢) الاعلام : ١٤٠/٥ .

(٣) عقيدة الشيعة : ٢١٥ .

(٤) وسيلة الخادم الى المخدوم : صلوات الإمام الهادي (عليه السلام) .

الفصل الثالث

مظاهر من شخصية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

لقد تحلّى الإمام الهادي (عليه السلام) بمكارم الأخلاق التي بعث جدّه الرسول الأعظم لتتميمها، واجتمعت في شخصيته كل عناصر الفضل والكمال التي لا يسعنا الاحاطة بها ولا تصويرها، ولكن هذا لا يمنع أن نشير الى جملة من مكارم أخلاقه التي تجلّت في صور من سلوكه. وإليك بعض هذه المكارم التي نصّت عليها كتب السيرة والتاريخ.

١- الكرم :

كان (عليه السلام) من أبسط الناس كفاً ، وأنداهم يداً ، وكان على غرار آبائه الذين أطعموا الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، وكانوا يطعمون الطعام حتى لا يبقى لأهلهم طعام، ويكسونهم حتى لا يبقى لهم كسوة^(١).

وقد روى المؤرخون بوادر كثيرة من برّ الإمام الهادي (عليه السلام) واحسانه إلى الفقراء وإكرامه البائسين ، نقتصر منها على ما يلي :

١- وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي (عليه السلام) وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد ، وأحمد بن اسحاق الأشعري ، وعلي بن جعفر الحمداني ،

فشكا إليه أحمد بن اسحاق ديناً عليه ، فالتفت (عليه السلام) إلى وكيله عمرو ، وقال له : ادفع له ثلاثين ألف دينار ، والى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار ، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ .

وعلق ابن شهر آشوب على هذه المكرمة العلوية بقوله : « فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك ، وما سمعنا بمثل هذا العطاء »^(١).

٢ - اشترى اسحاق الجلاب لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) غنماً كثيرة يوم التروية ، فقسمها في أقاربه^(٢).

٣ - وكان قد خرج من سامراء إلى قرية له ، فقصده رجل من الأعراب ، فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنه ذهب إلى ضيعة له ، فقصده ، ولما مثل عنده سأله الإمام عن حاجته ، فقال بنبرات خافتة : يا ابن رسول الله ، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدك علي بن أبي طالب ، وقد ركبني فادح - أي دين - أثقلني حمله ، ولم أر من أقصده سواك.

فرق الإمام لحاله ، وأكبر ما توسل به ، وكان (عليه السلام) في ضائقة لا يجد ما يسعفه به ، فكتب (عليه السلام) ورقة بخطه جاء فيها : أن للأعرابي ديناً عليّ ، وعين مقداره ، وقال له : خذ هذه الورقة ، فإذا وصلت إلى سر من رأى ، وحضر عندي جماعة فطالبي بالدين الذي في الورقة ، وأغلظ عليّ في ترك إيفائك ، ولا تخالفني فيما أقول لك . فأخذ الأعرابي الورقة ، ولما قفل الإمام إلى سر من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة ومباحث الأمن ، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة ، وطالب الإمام بتسديد دينه الذي في الورقة فجعل الإمام (عليه السلام) يعتذر إليه ، والاعرابي يغلظ له في القول ، ولما تفرّق المجلس بادر رجال الأمن إلى

(١) المناقب : ٤ / ٤٠٩ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٤٣ .

المتوكل فأخبروه بالأمر فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام فحملت له ، ولما جاء الأعرابي قال له الإمام (عليه السلام):

« خذ هذا المال واقض منه دينك ، وانفق الباقي على عيالك وأهلك واعذرنا... » .
وأكبر الأعرابي ذلك ، وقال للإمام : ان ديني يقصر على ثلث هذا المبلغ . فأبى الإمام (عليه السلام) أن يستردّ منه من الثلاثين شيئاً ، فوَلَّى الأعرابي وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١).

٢ - الزهد :

لقد عزف الإمام الهادي (عليه السلام) عن جميع مباهج الحياة ومتعتها وعاش عيشة زاهدة إلى أقصى حدّ ، لقد وازب على العبادة والورع والزهد ، فلم يحفل بأي مظهر من مظاهر الحياة ، وآثر طاعة الله على كل شيء ، وقد كان منزله في يثرب وسرّ من رأى خالياً من كل أثاث ، فقد داهمت منزله شرطة المتوكل ففتشوه تفتيشاً دقيقاً فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياة ، وكذلك لما فتشت الشرطة داره في سرّ من رأى ، فقد وجدوا الإمام في بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى ، ليس بينه وبين الأرض فراش^(٢).

٣ - العمل في المزرعة :

وتجرّد الإمام العظيم من الأنانية ، حتى ذكروا أنّه كان يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله ، فقد روى علي بن حمزة حيث قال : « رأيت أبا

(١) الانتاح بحبّ الاشراف: ١٧٦ . والفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٧٤ . والصواعق المحرقة: ٣١٢.

(٢) أصول الكافي: ٤٩٩/١ وعنه في الارشاد: ٣٠٢/٢ ، ٣٠٣ وعن الكليني في اعلام الوري: ١١٩/٢ . والفصول

المهمة: ٣٧٧.

الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه من العرق فقلت له : جعلت فداك أين الرجال ؟

فقال الإمام : يا علي قد عمل بالمسحاة من هو خير متي ومن أبي في أرضه . قلت : من هو ؟

قال : رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين وآبائي كلهم عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء الصالحين» (١) .

٤- إرشاد الضالين :

واهتم الإمام الهادي (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بإرشاد الضالين والمنحرفين عن الحق وهدايتهم إلى سواء السبيل ، وكان من بين من أرشدهم الإمام وهداهم أبو الحسن البصري المعروف بالملاح ، فقد كان واقفياً يقتصر على إمامة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ولا يعترف بإمامة أبنائه الطاهرين ، فالتقى به الإمام الهادي فقال له : « الى متى هذه النومة ؟ أما آن لك أن تنبه منها ؟! » . وأثرت هذه الكلمة في نفسه فأب إلى الحق ، والرشاد (٢) .

٥- التحذير عن مجالسة الصوفيين :

وحذر الإمام الهادي (عليه السلام) أصحابه وسائر المسلمين من الاتصال بالصوفيين والاختلاط بهم لأنهم مصدر غواية وضلال للناس ، فهم يظهرون التقشف والزهد لاغراء البسطاء والسذج وغوايتهم . فلقد شدد الإمام الهادي (عليه السلام) في التحذير من الاختلاط بهم حتى روى

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه : ١٦٢ / ٣ .

(٢) إعلام الوري : ١٢٣ / ٢ عن كتاب الواحدة للعتي ، وعن الاعلام في بحار الأنوار : ١٨٩ / ٥٠ .

الحسين بن أبي الخطاب قال : كنت مع أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري ، وكان بليغاً وله منزلة مرموقة عند الإمام (عليه السلام) وبينما نحن وقوف اذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه ، وأخذوا بالتلهيل ، فالتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم :

« لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنّهم حلفاء الشياطين ، ومخربو قواعد الدين ، يتزهدون لإراحة الأجسام ، ويتعبدون لصيد الأنعام ، يتجرّعون عمراً حتى يديخوا للايكاف^(١) حمراً ، لا يهللون إلّا لغرور الناس ، ولا يقلّلون الغذاء إلّا لملء العساس واختلاس قلب الدفناس^(٢) ، يكلمون الناس باملأثم في الحب ، ويطرحونهم بإذلالهم في الجب ، أورداهم الرقص والتصدية ، وأذكّارهم الترمّ والتغنية ، فلا يتبعهم إلّا السفهاء ، ولا يعتقد بهم إلّا الحمقاء ، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حياً أو ميتاً ، فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان ، ومن أعان واحداً منهم فكأنما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان » .

فقال أحد أصحابه : وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟ .

فزجره الإمام وصاح به قائلاً : « دع ذا عنك ، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا ، أما تدري أنّهم أخس طوائف الصوفية ، والصوفية كلهم مخالفونا ، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإن هم إلّا نصارى أو مجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون »^(٣) .

(١) يديخوا : أي يذلوها ويقهروها .

(٢) الدفناس : الغبيّ والأحمق ، كما في مجمع البحرين : ٧١/٤ .

(٣) حديقة الشيعة للارديلي : ٦٠٢ ، ٦٠٣ عن المرتضى الرازي في كتاب الفصول ، وابن حمزة في كتاب الهادي إلى النجاة كلاهما عن الشيخ المفيد ، وعنه في روضات الجنّات : ١٣٤/٣ .

٦ - تكريمه للعلماء :

وكان الإمام الهادي (عليه السلام) يكرم رجال الفكر والعلم ويحتفي بهم ويقدمهم على بقية الناس لأنهم مصدر النور في الأرض ، وكان من بين من كرمهم أحد علماء الشيعة وفقهائهم ، وكان قد بلغه عنه انه حاجج ناصبياً فأفحمه وتغلب عليه فسّر الإمام (عليه السلام) بذلك ، ووفد العالم على الإمام فقبله بحفاوة وتكريم ، وكان مجلسه مكتظاً بالعلويين والعباسيين ، فأجلسه الإمام على دست ، وأقبل عليه يحدثه ، ويسأل عن حاله سؤالاً حفيماً ، وشق ذلك على حضار مجلسه من الهاشميين فالتفتوا إلى الإمام ، وقالوا له : كيف تقدّمه على سادات بني هاشم ؟

فقال لهم الإمام : «إياكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بِهِمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) أترضون بكتاب الله عزّ وجلّ حكماً ؟ » فقالوا جميعاً : بلى يا ابن رسول الله (٢) .

وأخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً : أليس الله قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - : وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٌ ﴾ (٣) فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم ، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن ، أخبروني عنه قال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ أوقال : يرفع الله

(١) آل عمران (٣) : ٢٣ .

(٢) كذا، والصحيح: ألا ترضون .. وإلا فالجواب بنعم وليس ببلى .

(٣) المجادلة (٥٨) : ١١ .

الذين أوتوا شرف النسب درجات؟! أو ليس قال الله: ﴿...هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟...﴾^(١).

فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله، إن كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأشرف من كل شرف في النسب.

وسكت الحاضرون، فقد ردّ عليهم الإمام ببالحجّة، إلّا أن بعض العباسيين انبرى قائلاً:

يا ابن رسول الله لقد شرفت هذا علينا، وقصرتنا عمن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الاسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه. وهذا منطق رخيص فإن الاسلام لا يخضع بموازينه إلّا للقيم الصحيحة التي لم يعيها هذا العباسي، وقد ردّ عليه الإمام (عليه السلام) قائلاً:

سبحان الله! أليس العباس بايع أبا بكر وهو تيمي، والعباس هاشمي، أو ليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب، وهو هاشمي أبو الخلفاء، وعمر عدوي، وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى، ولم يدخل العباس؟! فإن كان رفعا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرًا، فأنكروا على العباس بيعته لأبي بكر وعلى عبد الله بن عباس بخدمته لعمر، فإن كان ذلك جائزًا فهذا جائز»^(٢).

٧ - العبادة:

إنّ الاقبال على الله والإنابة إليه واحياء الليالي بالعبادة ومناجاة الله وتلاوة كتابه هي السمة البارزة عند أهل البيت (عليهم السلام).

أما الإمام الهادي (عليه السلام) فلم يرَ الناس في عصره مثله في عبادته وتقواه

(١) الزمر (٣٥): ٩.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٢ / ٢٥٩.

وشدة تحرجه في الدين ، فلم يترك نافلة من النوافل إلا أتى بها ، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأول سورة الحديد إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات (١).

٨ - استجابة دعائه :

وقد ذكرت بوادر كثيرة من استجابة دعاء الإمام (عليه السلام) عند الله كان منها :
١ - ما رواه المنصوري عن عمّ أبيه ، قال : قصدت الإمام عليّاً الهادي ، فقلت له : يا سيدي ان هذا الرجل - يعني المتوكل - قد اطرحني ، وقطع رزقي ، وملّني وما أتهم به في ذلك هو علمه بملازمتي بك ، وطلب من الإمام التوسط في شأنه عند المتوكل ، فقال (عليه السلام) : تُكفى إن شاء الله ، ولما صار الليل طرقت رسل المتوكل فحفّ معهم مسرعاً إليه ، فلما انتهى إلى باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب فاستقبله وجعل يوبخه على تأخيريه ثم أدخله على المتوكل فقابله ببسمات فيأضة بالبشر قائلاً : يا أبا موسى تنشغل عنا ، وتنسانا؟! أي شيء لك عندي؟

وعرض الرجل حوائجه وصلاته التي قطعها عنه ، فأمر المتوكل بها وبضعفها له ، وخرج الرجل مسروراً .

وانصرف الرجل فتابعه الفتح فأسرع إليه قائلاً :

لست أشك أنك التمست منه - أي من الإمام - الدعاء ، فالتمس لي منه الدعاء .

ومضى ميمماً وجهه نحو الإمام (عليه السلام) فلما تشرف بالمثل بين يديه

قال (عليه السلام) له : يا أبا موسى هذا وجه الرضا.

فقال الرجل بخضوع : ببركتك يا سيدي ، ولكن قالوا لي : إنك ما مضيت إليه ولا سألته.

فأجابه الإمام ببسمات قائلاً : ان الله تعالى علم منا أننا لا نلجأ في المهمات إلا إليه ، ولا نتوكل في الملهمات إلا عليه ، وعودنا إذا سألناه الإجابة ، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

وفطن الرجل إلى ان الإمام قد دعا له بظهر الغيب ، وتذكر ما سأله الفتح فقال : يا سيدي ان الفتح يلتمس منك الدعاء .

فلم يستجب الإمام له وقال : ان الفتح يوالينا بظاهره ، ويحاربنا بباطنه ، الدعاء إنما يدعى له إذا أخلص في طاعة الله ، واعترف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبحقنا أهل البيت (١).

٢ - روي أن علي بن جعفر كان من وكلاء الإمام (عليه السلام) فسعي به إلى المتوكل فحبسه ، وبقي في ظلمات السجون مدة من الزمن ، وقد ضاق به الأمر فتكلم مع بعض عملاء السلطة في إطلاق سراحه ، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة آلاف دينار ، فأسرع إلى عبيد الله وهو من المقربين عند المتوكل ، وطلب منه التوسط في شأن علي بن جعفر ، فاستجاب له ، وعرض الأمر على المتوكل ، فأنكر عليه ذلك وقال له :

لو شككت فيك لقلت : إنك رافضي ، هذا وكيل أبي الحسن الهادي وأنا على قتله عازم .

وندم عبيد الله على التوسط في شأنه ، وأخبر صاحبه بالأمر ، فبادر إلى علي بن جعفر وعرفه أن المتوكل عازم على قتله ولا سبيل إلى إطلاق

(١) أمالي الطوسي : ٢٨٥ ح ٥٥٥ وعنه في بحار الأنوار : ١٢٧/٥٠ وفي المناقب : ٤٤٢/٤ .

سراحه ، فضايق الأمر بعليّ بن جعفر ، فكتب رسالة إلى الإمام جاء فيها: « يا سيدي الله الله فيّ ، فقد خفت أن أرتاب ، فوقّع الإمام على رسالته: « أمّا إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك » ، وأصبح المتوكّل محموراً دنفاً ، وازدادت به الحمى فأمر بإطلاق جميع المساجين ، وأمر بإطلاق سراح علي بن جعفر بالخصوص ، وقال لعبيد الله : لِمَ لَمْ تعرض عليّ اسمه ؟ فقال : لا أعود إلى ذكره أبداً ، فأمره بأن يخلّي عنه ، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه ، وأطلق سراحه ، ثم نزح إلى مكّة فأقام بها بأمر من الإمام » (١) .

هذه بعض البوادر التي ذكرها الرواة من استجابة دعاء الإمام ، ومن المؤكّد ان استجابة الدعاء ليس من عمل الانسان وصنعه ، وإنّما هو بيد الله تعالى فهو الذي يستجيب دعاء من يشاء من عباده ، ومما لا شبهة فيه ان لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) منزلة كريمة عنده تعالى لأنّهم أخلصوا له كأعظم ما يكون الاخلاص ، وأطاعوه حقّ طاعته وقد خصّهم تعالى باستجابة دعائهم كما جعل مراقدهم الكريمة من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء (٢) .

(١) رجال الكشي: ٦٠٦ ح ١١٢٩ وعنه في بحار الأنوار : ١٨٣/٥٠ .

(٢) راجع حياة الإمام علي الهادي : ٤٢ - ٦٢ .



فيه فصول :

الفصل الأول :

نشأة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

الإمام الهادي (عليه السلام) في ظل أبيه (عليه السلام)

الفصل الأول

نشأة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

١- نسبه الشريف

هو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو العاشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

أمه أم ولد يقال لها سمانة المغربية^(١) وعرفت بأُم الفضل^(٢).

٢- ولادته ونشأته

ولد (عليه السلام) للنصف من ذي الحجة أو ثاني رجب سنة اثنتي عشرة أو أربع عشرة ومائتين. (٣)

وكانت ولادته (عليه السلام) في قرية (صريا) التي تبعد عن المدينة ثلاثة أميال. (٤)

(١) أصول الكافي : ٢٩٨ / ١ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٣ ، وعنه في بحار الأنوار : ٥٠ / ١١٤ .

(٣) أصول الكافي : ١ / ٩٧ ، والارشاد : ٣٦٨ ، والمصباح : ٥٢٣ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٣ ، وثلاثة أميال تعادل خمسة كيلومترات .

٣- بشارة الرسول (ﷺ) بولادته

وبشر الرسول (ﷺ) بولادته في حديث طويل حول الأئمة (عليهم السلام) بقوله: «... وأن الله ركب في صلبه - إشارة إلى الإمام الجواد (عليه السلام) - نقطة لا باغية ولا طاغية ، بارّة مباركة ، طيبة طاهرة ، سماها عنده علي بن محمد فألبسها السكينة والوقار ، وأودعها العلوم ، وكل سرّ مكتوم ، من كفيه ، وفي صدره شيء أنبأ به ، وحذره من عدوه...»^(١)

٤- كنيته وألقابه

يكنى الإمام (عليه السلام) بأبي الحسن ، وتمييزاً له عن الإمامين الكاظم والرضا (عليهم السلام) يقال له أبو الحسن الثالث .

أمّا ألقابه فهي : الهادي ، والنقي وهما أشهر ألقابه ، والمرضى ، والفتاح والناصح ، والمتوكل ، وقد منع شيعته من أن ينادوه به لأنّ الخليفة العباسي كان يُلقَّب به^(٢).

وفي المناقب ذكر الألقاب التالية : النجيب ، الهادي ، المرضى ، النقي ، العالم ، الفقيه ، الأمين ، المؤتمن ، الطيب ، العسكري ، وقد عرف هو وابنه بالعسكريين (عليهم السلام)^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ١ / ٦٢ ، ح ٢٩ .

(٢) كشف الغمة : ٢ / ٣٧٤ .

(٣) المناقب : ٤ / ٤٣٢ .

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام الهادي (عليه السلام)

يمكن تقسيم حياة الإمام الهادي (عليه السلام) التي ناهزت الأربعين سنة إلى مراحل متعددة بلحاظ طبيعة مواقفه وطبيعة الظروف التي كانت تحيط به .

غير أن التقسيم الثنائي يتواءم والمنهج الذي اتبعناه في دراسة حياة الأئمة (عليهم السلام) ، والذي يركز على تنوع مسؤولياتهم وأدوارهم بحسب الظروف والملابسات السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط بكل واحد منهم ووحدة الهدف الذي يعدّ جامعاً مشتركاً لكل مواقفهم (عليهم السلام) والذي يتمثل في صيانة الشريعة من التحريف وحفظ الأمة الإسلامية من الانحراف عن عقيدتها ومبادئها وصيانة دولة الرسول (صلى الله عليه وآله) من التردّي ما أمكن والتمهيد لاستلام زمام الحكم حينما لا يتنافى مع القيم التي شرّع الحكم من أجل تطبيقها وصيانتها .

والمرحلة الأولى من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) تتمثل في الحقبة الزمنية التي عاشها في ظلال إمامة أبيه الجواد (عليه السلام) وهي بين (٢١٢ هـ) إلى (٢٢٠ هـ) وبلغ أقصاها ثمان سنوات تقريباً .

وقد عاصر فيها كلاً من المأمون والمعتصم العباسيين.
والمرحلة الثانية تتمثل في الفترة الزمنية بين توليه (عليه السلام) لمنصب
الإمامة في نهاية سنة (٢٢٠ هـ) وإلى حين استشهاده (عليه السلام) في سنة (٢٥٤ هـ)
وهي أربع وثلاثون سنة تقريباً.

وقد عاصر في هذه الفترة ستة من ملوك بني العباس، وهم على الترتيب:

١- المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ).

٢- الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ).

٣- المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ).

٤- المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ).

٥- المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ).

٦- المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ).

وسوف نتابع المرحلة الأولى من حياة هذا الإمام العظيم في الفصل
الثالث من الباب الثاني، ونقف عند أهم الأحداث التي ترتبط به في فترة
حياته في ظل أبيه (عليه السلام).

وأما المرحلة الثانية من حياته المباركة فسوف ندرس ظروفها ونقف
عند ملامحها ومتطلباتها خلال الأبواب الثلاثة الأخيرة.

الفصل الثالث

الإمام علي بن محمد الهادي في ظل أبيه الجواد (عليه السلام)

لقد تقلد الإمام محمد الجواد (عليه السلام) الزعامة الدينية والمرجعية الفكرية والروحية للشيعية بعد استشهاد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) سنة (٢٠٢ هـ) (١).

وكان عمره الشريف حوالي سبع سنوات وكان مع حادثته يدبّر أمر الرضا (عليه السلام) بالمدينة ويأمر الموالي وينهاهم لا يخالف عليه أحد منهم (٢). وقال صفوان بن يحيى: قلت للرضا (عليه السلام): قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول يهب الله لي غلاماً فقد وهب الله وأقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك فإذا كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (عليه السلام) وهو نائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك هو ابن ثلاث سنين! (٣)

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): إن الله بعث عيسى بن مريم قائماً بشريعته وهو في دون السن التي يقوم فيها أبو جعفر على شريعتنا (٤).

وعاش بعد أبيه تسع عشرة سنة إلا خمساً وعشرين يوماً (٥) وهي مدة إمامته (عليه السلام).

(١) إثبات الوصية: ١٨٤.

(٢) إثبات الوصية: ١٨٥.

(٣ و ٤) إثبات الوصية: ١٨٥ و ١٨٦.

(٥) الكافي: ١ / ٥٧٢، ح ١٢.

الشيعة وإمامة الجواد (عليه السلام)

بعد التحاق الإمام الرضا (عليه السلام) بالرفيق الاعلى ، كان عمر الإمام الجواد (عليه السلام) سبع سنوات وهذه الإمامة المبكرة كانت أول ظاهرة ملفتة للنظر عند الشيعة أنفسهم فضلاً عن غيرهم . واحترار بعض رموز الشيعة فضلاً عن غيرهم بالرغم من التمهيد لهذه الظاهرة من قبل الإمام الرضا (عليه السلام) قبل إشخاصه إلى خراسان وبعده .

من هنا اجتمع جملة من كبار الشيعة في بيت أحدهم يتداولون في أمر الإمامة ، وكان من بين هؤلاء المجتمعين ، الريان بن الصلت ، ويونس ، وصفوان بن يحيى ، ومحمد بن حكيم ، وعبد الرحمن بن الحجاج ، فجعلوا يبكون ، فقال لهم يونس : دعوا البكاء حتى يكبر هذا الصبي - أي الإمام الجواد (عليه السلام) - فردّ عليه الريان بن الصلت قائلاً :

«إن كان أمر من الله جلّ وعلا ، فابن يومين مثل ابن مائة سنة وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه ، وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه ...»^(١) .

ويتضح من النص السابق تأكيد الريان على مفهوم الإمامة باعتبارها منصباً إلهياً كالنبوة من حيث الاختيار والانتخاب لهذا المنصب . فإنه بيد الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وليس للناس فيها أمر واختيار .

(١) دلائل الإمامة : ٢٠٥ .

عصر الإمام الجواد

عاصر الإمام الجواد (عليه السلام) من خلفاء بني العباس المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)، وكان المأمون يتظاهر بالتوّد للإمام الجواد (عليه السلام) وزوجه ابنته أم الفضل، ومن قبل قد صاهر المأمون الإمام الرضا (عليه السلام) وولاه عهده وقرب العلويين^(١). أمّا حكم المعتصم فكان حكماً استبدادياً مقروناً بشيء من العطف وحسن التدبير، وقد وصفه المسعودي^(٢) بحسن السيرة واستقامة الطريقة.

وقد اعتمد الخلفاء العباسيون الأوائل في إنشاء حكومتهم واستمرارها على الفرس دون العرب وأسندوا إليهم المناصب المدنية والعسكرية، مما أدّى إلى سيادة الفرس في مختلف الميادين وضمور دور العرب في الدولة العباسية ومؤسساتها المختلفة، وأثمرت هذه الظاهرة التنافس بين العرب والفرس، حتى جاء المعتصم - وكانت أمه تركية - فاعتمد على العنصر التركي واتخذهم حرساً له، وأسند إليهم مناصب الدولة وقلدهم ولاية الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة وأخرج العرب من ديوان العطاء وأحل محلهم الترك فحقّق العرب والفرس عليهم جميعاً.

ولم يقتصر الصراع على ما كان بين العرب والفرس والترك بل تعدّاه إلى قيام المنافسة بين العنصر العربي نفسه، فاشتعلت نيران العصبية بين عرب الشمال المضريين، وعرب الجنوب اليمينيين^(٣). وهذا يوضح لنا شدة

(١) تاريخ الإسلام: ٢ / ٦٦ - ٦٧ للدكتور حسن إبراهيم حسن.

(٢) مروج الذهب: ٣ / ٤٧٦.

(٣) تاريخ الإسلام: ٣٩٥.

الصراع داخل الأسرة الحاكمة نفسها .

فكان شعب الدولة العباسية في نهاية العصر الأول يتكون من :

١- العرب (المضريين واليمنيين) .

٢- الفرس (الخراسانيين) الذين ساعدوا العباسيين في انشاء

حكومتهم.

٣- الترك ، الذين آلت إليهم إدارة الدولة .

٤- أهل الذمة (أهل الكتاب) وهم : اليهود والنصارى.

وكانت الطوائف الدينية منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال ، وكان لا يجوز للمسيحي أن يتهود ولا لليهودي أن يتنصر ، واقتصر تغيير الدين على الدخول في الإسلام ، وكان الرقيق يكوّنون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الاسلامي وكانت سمرقند تعدّ من أكبر أسواق الرقيق ، إذ كان أهلها يتخذون ذلك صناعة لهم يعيشون منها .

وكان لاتساع رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثرواتها ، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد غدا الناس جميعاً من الخليفة إلى العامة طلاباً للعلم أو على الأقل أنصاراً للأدب ، وكان الناس في عهد هذه الدولة يجوبون ثلاث قارّات سعياً إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم وهم يحملون أصنافاً من العلم ، ثم يصنّفون ما بذلوه من جهد متصل بمصنّفات هي أشبه شيء بدوائر المعارف ، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل^(١). هذا في الشرق الإسلامي .

(١) تاريخ الاسلام : ٢ / ٣٢١ - ٣٢٣ .

وأما في الغرب فقد نافست قرطبة بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط فأصبحت حاضرة الاندلس حتى جذبت مساجدها الأوربيين الذين وفدوا لارتشاف العلم من مناهله والتزوّد من الثقافة الإسلامية ، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم. ولم يقتصر اهتمام العلماء المسلمين على العلوم النقلية مثل علم التفسير ، والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام ، بل شمل اهتمامهم العلوم العقلية ، كالفلسفة ، والهندسة ، وعلم النجوم ، والطب ، والكيمياء ، وغيرها .

وفي العصر العباسي الأول اشتغل الناس بالعلوم الدينية وظهر المتكلّمون وتكلّم الناس في مسألة خلق القرآن ، وتدخّل المأمون في ذلك ، فأوجد مجالس للمناظرة بين العلماء في حضرته ، ولهذا عاب الناس عليه تدخّله في الأمور الدينية كما عابوا عليه تفضيل علي بن أبي طالب (عليه السلام) على سائر الخلفاء^(١).

وفي هذا العصر ظهر صنفان من العلماء :

الصنف الأول : هم الذين كان يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون أهل علم .

والصنف الثاني : هم الذين كان يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون أهل عقل^(٢).

كما نشطت في هذا العصر أيضاً ، في ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث في المدينة ومدرسة الرأي في العراق .

(١) تاريخ الاسلام: ٢ / ٣٢١ - ٣٢٣ .

(٢) تاريخ الاسلام: ٢ / ٣٢٤ .

الحالة السياسية

كانت تولية العهد إلى أكثر من شخص واحد عاملاً مهماً في اختلال الوضع الأمني داخل الدولة الإسلامية نتيجة التنازع والصراع على السلطة بين ولاية العهد لأن أحدهما كان يرى أن يولي العهد ابنه بدلاً عن أخيه الذي سبق أن عهد إليه أبوه بالولاية كما تجلّى ذلك بوضوح في عهد الأمين والمأمون (١).

وقد كان الأمين شديد البطش لكنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير وتجلّى ضعف تدبيره في الاضطرابات التي نشأت نتيجة صراعه مع المأمون على السلطة . والتي استمرت من سنة (٩٣ - ٩٨ هـ) حيث تمكن أعوان المأمون من قتل محمد الأمين والاستيلاء على بغداد ، ومن ثم تفرد المأمون في إدارة الحكم وعزل قواد وولاية أخيه الأمين ، وأبدلهم بأنصاره وأعوانه الذين مكنوه من الانتصار على الأمين .

وفي عهد المأمون قد حدثت عدّة ثورات وحركات مسلحة تمكن منها جيش الدولة ، وأعاد الامصار التي حصلت فيها تلك الثورات وانفصلت عن الدولة إلى الخضوع إلى سلطان الخليفة ، وكان بعد استقرار الوضع واستتباب السيطرة للمأمون أن قام بغزو بلاد الروم عام (٢١٧ هـ) (٢).

ويصور أحد شعراء العصر العباسي الأول - من أهل بغداد وهو يعرف بعلي ابن أبي طالب الأعمى - الحالة السياسية والاجتماعية في هذه الفترة من زمن الدولة العباسية فيما أنشده بقوله:

(١) مروج الذهب : ٤ / ٣٥٠ - ٣٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، أحداث السنين (١٩٩ - ٢١٧ هـ) .

أضاع الخلافة غشُّ الوزير وفسقُ الإمام ورأي المشير
وما ذاك إلا طريق الغرور وشر المسالك طرقُ الغرور
فعال الخليفة أعجوبة وأعجب منه فعال الوزير
وأعجب من ذا وذا أننا نباع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يُحسن مسح أنفه ولم يخل من متنه حجرٌ ظير
وما ذاك، إلا بباغ وغاوٍ يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزمان أفي العير هذان أم في النفير
ولكنها فتن كالجبا ل نرتع فيها بصنع الحقير^(١)

ولما قتل الأمين حمل رأسه إلى خراسان إلى المأمون فأمر ب نصب
الرأس في صحن الدار على خشبة ، وأعطى الجند ، وأمر كل من قبض رزقه
أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه فقليل
له : إلعن هذا الرأس فقال : لعن الله هذا ولعن والديه وما ولدا وأدخلهم في كذا
وكذا من أمهاتهم ، فقليل له : لعنت أمير المؤمنين ! بحيث يسمع المأمون منه
فتبسّم وتغافل ، وأمر بحطّ الرأس ورده إلى العراق^(٢).

وجابه حكم المأمون تحديات عديدة وخطيرة كادت أن تسقط دولته
وأهم الأحداث التي كانت أيام حكومته هي :

١ - ثورة ابن طباطبا^(٣) سنة (١٩٩ هـ) بقيادة أبي السرايا .

وهي من أعظم الثورات الشعبية التي حدثت في عصر الإمام
الجواد (عليه السلام) وقد رفعت شعار الدعوة إلى الرضى من آل محمد (عليهم السلام) . وكادت

(١) مروج الذهب : ٣ / ٣٩٧ .

(٢) مروج الذهب : ٣ / ٤١٤ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

أن تعصف هذه الثورة بالدولة العباسية إذ استجاب لها الكثير من أبناء الشعب المسلم . واستطاع أبو السرايا بعقله الملهم أن يجلب الكثير من أبناء الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ويجعلهم قادة في جيشه مما أدى إلى اندفاع الجماهير بحماس بالغ إلى الانضمام لثورته .

ووجه إليه المأمون ، زهير بن المسيب على عشرة آلاف مقاتل ، ولكن زهيراً أنهزم جيشه واستبيح عسكره ، وقد قوي شأنهم بعد ذلك وهزموا جيشاً آخر أرسله المأمون إليهم ، واستولوا على (واسط) .

ثم التقى بهم جيش آخر بقيادة هرثمة بن أعين ، فهرب أبو السرايا إلى القادسية ، ودخل هرثمة إلى الكوفة ، ثم قتل أبو السرايا ، وكان ذلك في سنة (٢٠٠ هـ) ^(١) .

٢- ولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) .

وفي سنة احدى ومائتين فرض المأمون على الإمام علي بن موسى الرضا قبول ولاية العهد وأمر عمال الدولة برمي السواد ولبس الخضرة فشق ذلك على العباسيين وقامت قيامتهم بإدخاله الرضا (عليه السلام) في الخلافة فخالقوا المأمون وبايعوا عمه المنصور بن المهدي فضعف عن الأمر ، وقال بل أنا خليفة المأمون فأهملوه وأقاموا أخاه ابراهيم بن المهدي فبايعوه وجرت لذلك حروب عديدة ^(٢) .

وبعد أن عجز المأمون عن تحقيق اغراضه من فرض ولاية العهد - كما يريد - على الإمام الرضا (عليه السلام) قام بدس السم إليه واغتياله وذلك في سنة ثلاث

(١) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٢ - ١١٣ .

(٢) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٢ - ١١٣ .

ومائتين^(١).

٣- أحداث سنة ست ومائتين: وفي هذه السنة استفحل أمر بابك الخرمي بجبال آذربيجان وأكثر الغارة والقتل وهزم عسكر المأمون وفعل القبائح^(٢).

٤- أحداث سنة تسع ومائتين: وفي هذه السنة ظهر نصر بن اشعث العقيلي ، وكانت بينه وبين عبد الله بن طاهر الخزاعي قائد جيش المأمون حروب كثيرة وطويلة الأمد^(٣).

٥- غزو بلاد الروم: وفي سنة خمس عشرة ومائتين غزا المأمون بلاد الروم وأقام هناك ثلاثة أشهر وافتتح عدة حصون وبث سراياه تغير وتسبي وتحرق ثم قدم دمشق ودخل إلى مصر^(٤).

وامتدت هذه الحروب أكثر من ستين ، وقد أسرت الروم قائد جيش المأمون وحاصرت جيش المسلمين عام (٢١٧ هـ) .

الإمام الجواد (عليه السلام) والمأمون العباسي

لقد انتهج المأمون سياسة خاصة تجاه الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) تباين سياسة أسلافه من ملوك بني العباس. ويُعد هذا التحول في العلاقة بين السلطة والأئمة دليلاً على اتساع المساحة التي كان يشغلها تأثير الأئمة وسط الأمة والمجتمع الإسلامي مع انشداد الغالبية المؤثرة بالأئمة (عليهم السلام) والقول

(١) إثبات الوصية : ١٨١ - ١٨٣ .

(٢) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٤ .

(٣) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٥ - ١١٧ .

(٤) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٥ - ١١٧ .

بمرجعيتهم الفكرية والروحية ، وكانت ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام) أحد أوجه هذا التحول في السياسة والذي يعبر عن ذكاء ودهاء المأمون في محاولته تلك للحد من تأثير الإمام (عليه السلام) ووضعه قريباً منه لتحديد تحركه وتحجيم دوره إضافة لرصد تحركه وتحرك القواعد الشعبية المؤمنة بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم الريادي في الأمة ، فبعد استشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) عمد المأمون إلى إشخاص الإمام الجواد من المدينة إلى بغداد وتزويجه بابنته أم الفضل مع احتجاج الاسرة العباسية على هذا التقريب والتزويج ، فالمأمون كان بعيد النظر في تعامله هذا ، وكان يرمي من ورائه إلى أهداف تخدمه وتضفي نوعاً من الشرعية على سلطته ، وقد خدع الأكثرية من أبناء الأمة بإظهاره الحب والتقدير للإمام الجواد (عليه السلام) من أجل إزالة نقيمتهم التي خلفتها عهود الخلفاء قبله لاستبدادهم وبطشهم فضلاً عن إسرافهم في اللهو والترف وخروجهم عن مبادئ الاسلام الحنيف في كثير من مظاهر حياتهم الخاصة والعامة ، ومما يؤكد لنا وجهة النظر هذه في سياسة المأمون أنه في عام (٢٠٤ هـ) وفي شهر ربيع الأول قدم بغداد ولباسه ولباس قواده وجنده والناس كلهم الخضرة فأقام جمعة - اي سبعة أيام - ثم نزعها وأعاد لباس السواد^(١). والذي كان قد أمر بنزعه بعد توليه الحكم والعهد بالولاية من بعده للإمام الرضا (عليه السلام) سنة (٢٠١ هـ)^(٢). والتي انتهت باستشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) بعد دس السم له سنة (٢٠٣ هـ).

(١) تاريخ البقوي : ٢ / ١٩٣ .

(٢) تاريخ أبي الفداء : ١ / ٣٢٨ .

زواج الإمام الجواد (عليه السلام)

واستمراراً لتوطيد علاقة المأمون بأهل البيت (عليهم السلام) كان تزويجه لابنته - أم الفضل - من الإمام الجواد (عليه السلام) ، ولما بلغ بني العباس ذلك اجتمعوا فاحتجوا ، لتخوفهم من أن يخرج السلطان عنهم وأن ينتزع منهم - بحسب زعمهم - لباس ألبسهم الله ذلك ، فقالوا للمأمون : ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا ، فإننا نخاف أن تخرج به عنا أمراً قد ملكناه الله وتنزع منا عزاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك ، فأنه الله ان تردنا إلى غمٍّ قد انحسر عنا واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون : اما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ولو أنصفتهم القوم لكانوا اولى بكم ... واما أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) فقد اخترته لتبريزه على كافة اهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه والاعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أن يظهر للناس ما عرفته منه^(١).

فخرجوا من عنده وأجمعوا رأيهم على مساءلة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي الزمان ، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب عنها ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك .

واتفقوا مع المأمون على يوم تتم فيه المسألة ، حيث يحضر معهم يحيى بن أكثم. ثم كان بعد ذلك أن جلس الإمام الجواد (عليه السلام) يستمع إلى أسئلة

(١) الارشاد : ٢٨٢/٢ وعنه في اعلام الورى : ١٠١/٢ بلا اسناد ، وفي كشف الغمة : ١٤٤/٣ بالاسناد.

يحيى بن أكتم والذي بهت حين سأل الإمام حول محرم قتل صيداً فما كان من الإمام (عليه السلام) إلا أن قرع عليه سؤاله فلم يحر جواباً وطلب من الإمام (عليه السلام) أن يوضح ذلك والمأمون جالس يستمع إلى كل ذلك ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم : أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه ؟ ثم أقبل على أبي جعفر (عليه السلام) وطلب منه أن يخطب ابنته فخطبها واحتفل المأمون بذلك.

ثم ان المأمون بعد اجراء العقد وإتمام الخطبة عاد فطلب من الإمام الجواد (عليه السلام) أن يكمل جواب ما طرحه مشكلاً به علي ابن أكتم ، فأتهم الإمام (عليه السلام) الجواب ، فالتفت المأمون إلى من حضره من أهل بيته فقال لهم ، هل فيكم احد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟ ويعرف القول فيما تقدم من السؤال ؟

قالوا: لا والله، ان أمير المؤمنين أعلم بما رأى .

فقال - المأمون - لهم : ويحكم ان أهل البيت خصوا من بين الخلق بما ترون من الفضل ، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال ومن ثم ذكر لهم ان الرسول (ﷺ) افتتح الدعوة بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين وقبل منه الاسلام .^(١)

ولا بد من الإشارة إلى ان هذا الاهتمام المبالغ فيه من قبل المأمون تجاه الإمام الجواد (عليه السلام) كان قد سلك مثله مع أبيه الإمام الرضا (عليه السلام) حتى تم له ان دس له السم وقتله ، فكان المأمون يتحرك إزاء الإمام (عليه السلام) بهدف إبعاد الإمام (عليه السلام) عن خاصته وعامة الناس ، حيث اشخصه من المدينة إلى بغداد ليكون قريباً منه وتحت رقابته وعيونه ، فيعرف الداخل عليه والخارج منه ظناً من المأمون أنه سوف يتمكن بذلك من تحجيم دور الإمام (عليه السلام)

(١) الارشاد : ٢٨١/٢ - ٢٨٧ وعنه في اعلام الوری : ١٠١/٢ - ١٠٥ ، وفي كشف الغمة : ١٤٣ / ٣ - ١٤٧ .

وابعاده عن التأثير فضلاً عن اكتساب الشرعية لحكمه من خلال وجود الإمام (عليه السلام) إلى جنبه ، ووفقاً لذلك كان موقف المأمون تجاه العباسيين الذين كانوا لا يرون في الإمام (عليه السلام) إلا صبياً لم يتفقه في الدين ولا يعرف الحلال والحرام .

وهكذا قضى الإمام الجواد (عليه السلام) خمس عشرة سنة خلال حكم المأمون حيث مات المأمون سنة (٢١٨ هـ) .

الإمام الجواد (عليه السلام) والمعتصم

والمعتصم هو محمد بن هارون الرشيد ثامن خلفاء بني العباس بُويع له بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) بعد وفاة المأمون ، وقد خرج المعتصم سنة (٢١٧ هـ) لبناء سامراء^(١). ثم نقل عاصمة الدولة إليها ، ولم تكن المدة التي قضاهَا الإمام الجواد (عليه السلام) في خلافة المعتصم طويلة فإنها لم تتجاوز السنتين حيث استشهد الإمام (عليه السلام) بعد أن استقدمه المعتصم إلى بغداد سنة (٢٢٠ هـ) .

وكان الإمام الجواد (عليه السلام) قد خَلَفَ ولده الإمام الهادي (عليه السلام) وهو صغير بالمدينة لَمَّا انصرف إلى العراق في العام الذي توفي فيه المأمون بأرض الروم^(٢). وهو عام (٢١٨ هـ) .

ونَصَّ الإمام الجواد (عليه السلام) قبل استشهاده على إمامة ابنه علي في أكثر من موقع .

(١) تاريخ أبي الفداء : ١ / ٣٤٣ .

(٢) إثبات الوصية : ١٩٢ .

نصوص الإمام الجواد (عليه السلام) على إمامة ولده الهادي (عليه السلام)

أ - النص الاول : عن اسماعيل بن مهران قال : لما اخرج أبو جعفر في الدفعة الاولى من المدينة إلى بغداد فقلت له : إني أخاف عليك في هذا الوجه فألى من الأمر بعدك ؟ قال : فكّر بوجهه إليّ ضاحكاً وقال : ليس حيث ظننت في هذه السنة ، فلما استدعاه المعتصم صرت اليه فقلت : جعلت فداك أنت خارج فألى من الأمر بعدك ؟ فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم التفت إليّ فقال : عند هذه يخاف عليّ ، الأمر من بعدي إلى ابني علي»^(١).

ب - النص الثاني : عن الخيراني ، عن ابيه - وكان يلزم أبا جعفر للخدمة التي وكل بها - قال : كان احمد بن محمد بن عيسى الاشعري يجيء في السحر ليعرف خبر علّة أبي جعفر ، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين أبي إذا حضر قام احمد بن عيسى وخلا به أبي فخرج ذات ليلة وقام احمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول واستدار احمد بن محمد ووقف حيث يسمع الكلام ، فقال الرسول لأبي : ان مولاك يقرأ عليك السلام ويقول : «أني ماض والأمر صار إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي» ، ثم مضى الرسول فرجع احمد بن محمد بن عيسى إلى موضعه وقال لأبي : ما الذي قال لك ؟ قال : خيراً ، قال : فإنني قد سمعت ما قال لك وأعاد اليه ما سمع فقال له أبي : قد حرم الله عليك ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَجَسَّوْا ﴾ فأما إذا سمعت فاحفظ هذه الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً ، وإياك أن تظهرها لأحد إلى وقتها.

(١) الكافي: ٣٢٣/١، بحار الأنوار: ١١٨/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه، الارشاد، للمفيد: ٣٠٨.

فلما أصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع بلفظها وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال لهم : إن حدث بي حدث الموت قبل أن اطلبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها .

قال : فلما مضى أبو جعفر (عليه السلام) لبث أبي في منزله فلم يخرج حتى اجتمع رؤساء الامامية عند محمد بن الفرج الرخجي يتفاوضون في القائم بعد أبي جعفر ويخوضون في ذلك ، فكتب محمد بن أبي الفرج إلى أبي يعلمه باجتماع القوم عنده وانه لولا مخافة الشهرة لصار معهم اليه وسأله أن يأتيه ، فركب أبي وصار اليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبي : ما تقول في هذا الأمر ؟ فقال أبي لمن عنده الرقاع أحضرها . فأحضرها وفضها وقال : هذا ما أمرت به . فقال بعض القوم : قد كنا نحب ان يكون معك في هذا الأمر شاهد آخر فقال لهم أبي : قد أتاكم الله ما تحبون ، هذا أبو جعفر الاشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة ، وسأله أن يشهد فتوقف أبو جعفر فدعاه أبي إلى المباهلة وخوفه بالله فلما حقق عليه القول قال : قد سمعت ذلك ولكنني توقفت لأنني احببت أن تكون هذه المكرمة لرجل من العرب فلم يبرح القوم حتى اعترفوا بإمامة أبي الحسن وزال عنهم الريب في ذلك»^(١).

ج - النص الثالث : عن محمد بن الحسين الواسطي أنه سمع أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر يحكي أنه أشهده على هذه الوصية المنسوخة « شهد احمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أشهده أنه أوصى إلى علي ابنه بنفسه واخوته وجعل أمر موسى إذا بلغ اليه ، وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والاموال والنفقات والريق وغير

(١) الكافي: ٣٢٤/١، بحار الأنوار: ١٢٠/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه، الارشاد، للمفيد: ٣٠٨.

ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد .

صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه ، يقوم بأمر نفسه وإخوانه ويصير أمر موسى إليه ، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها ، وذلك يوم الاحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وكتب احمد بن أبي خالد شهادته بخطه وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهو الجوائي على مثل شهادة احمد بن خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده . (١)

د - النص الرابع : حدثنا محمد بن علي ، قال حدثنا عبد الواحد بن محمد ابن عبدوس العطار ، قال حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري ، قال حدثنا حمدان بن سليمان ، قال حدثنا الصقر بن أبي دلف ، قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول : «الإمام بعدي ابني علي ، أمره أمري وقوله قلبي وطاعته طاعتي» (٢) ، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه . ثم سكت فقلت له : يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن ؟ فبكى (عليه السلام) بكاءً شديداً ثم قال : ان بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر ، فقلت له : يا ابن رسول الله ولم سمي القائم ؟ قال : لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بامامته . فقلت له : ولم سمي المنتظر ؟ قال : لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها ، فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ به الجاحدون ويكذب فيها الوقاتون ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلمون» (٣) .

(١) الكافي : ١ / ٣٨٣ .

(٢) في طبعة : ثم سكت فقلت يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد علي قال ابنه الحسن . قلت : بعد الحسن فبكى (عليه السلام) بكاءً شديداً ثم قال : انّ محمداً من بعد الحسن ابنه ...

(٣) اكمال الدين : ٢ / ٢٧٨ واعلام الوري : ٤٣٦ .

هـ- النص الخامس: حدثنا علي بن محمد السندي، قال محمد بن الحسن، قال حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن هلال، عن أمية بن علي القيسي، قال: قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) من الخلف من بعدك؟ قال: ابني علي. ثم قال: أنه سيكون حيرة. قال: قلت وإلى أين؟ فسكت ثم قال: إلى المدينة. قلت: وإلى أي مدينة؟ قال: مدينتنا هذه، وهل مدينة غيرها^(١)؟

و- النص السادس: قال أحمد بن هلال: فأخبرني محمد بن اسماعيل بن بزيع أنه حضر أمية بن علي وهو يسأل أبا جعفر الثاني (عليه السلام) عن ذلك، فأجابه بمثل ذلك الجواب.

وبهذا الاسناد عن أمية بن علي القيسي، عن أبي الهيثم التميمي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إذا توالى ثلاثة أسماء كان رابعهم قائمهم محمد وعلي والحسن^(٢).

ي- النص السابع: روى الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه أن أبا جعفر (عليه السلام) لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها أجلس أبا الحسن في حجره بعد النص عليه وقال له: ما الذي تحب أن أهدي إليك من طرائف العراق؟ فقال (عليه السلام): سيفاً كأنه شعلة نار، ثم التفت إلى موسى ابنه وقال له: ما تحب أنت؟ فقال: فرساً، فقال (عليه السلام): أشبهني أبو الحسن، وأشبه هذا أمه^(٣).

(١) غيبة النعماني: ١٨ باختلاف ما في اللفظ وزيادة.

(٢) اكمال الدين: ٣٣٤/٢ وكذا فيه: إذا توالى ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن كان رابعهم قائمهم.

(٣) بحار الأنوار: ١٢٣/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه (عليه السلام).

استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام)

إن تقريب الإمام الرضا (عليه السلام) والعهد إليه بولاية الأمر من قبل المأمون العباسي وكذا ما كان من المأمون تجاه الإمام الجواد (عليه السلام) يعبر عن دهاء سياسي في التعامل مع أقوى معارضي الدولة ، حيث يمتلك الإمامان القواعد الشعبية الواسعة مما كان يشكل خطراً على كيان الدولة ، فكان تصرّف المأمون معهما من أجل تطويق الخطر المحدق بالكيان السياسي للدولة العباسية وذلك من خلال عزل الإمام (عليه السلام) عن قواعده للحدّ من تأثيره في الأمة ، فتقريبه للإمام (عليه السلام) يعني إقامة جبرية ، ومراقبة دقيقة تحصي عليه حتى أنفاسه وتعرّف على مواليه ومقربيه ، لمتابعتهم والتضييق عليهم .

قال محمد بن علي الهاشمي: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) صبيحة عرسه ببنت المأمون - أي أم الفضل - وكنت تناولت من أول الليل دواء فأؤل من دخل في صبيحته أنا وقد أصابني العطش وكرهت أن أدعو بالماء ، فنظر أبو جعفر (عليه السلام) في وجهي وقال : أراك عطشاً قلت : أجل قال : يا غلام اسقنا ماء فقلت في نفسي : الساعة يأتونه بماء مسموم ، واغتممت لذلك ، فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسم في وجهي ثم قال : يا غلام ناولني الماء فتناول وشرب ، ثم ناولني الماء وشربت^(١).

فقال محمد بن علي الهاشمي لمحمد بن حمزة : والله إنني أظن أن أبا جعفر (عليه السلام) يعلم ما في النفوس كما تقول الرافضة^(٢).

فالهاشمي هذا ليس من شيعة الإمام (عليه السلام)، غير انه كان يدرك ما يدور

(١) الكافي : ٤٩٥ / ١ و ٤٩٦ .

(٢) أصول الكافي : ٤٩٥ / ١ ح ٦ ب ١٣٢ وعنه في الارشاد : ٢٩١ / ٢ .

في خلد العباسيين ويعرف وسائلهم في التخلص من معارضيتهم ، وربما يستفاد من قوله هذا تأكيد أن الإمام الرضا (عليه السلام) قد مضى مسموماً من قبل المأمون .

وروى المسعودي: أن المعتصم وجعفر بن المأمون دبّرا حيلة للتخلص من الإمام الجواد (عليه السلام) ، فاتفق جعفر مع أخته أم الفضل - زوج الإمام الجواد (عليه السلام) - أن تقدّم له عنباً مسموماً ، وقد فعلت ذلك وأكل منه الإمام (عليه السلام) ، فندمت وجعلت تبكي فقال لها الإمام (عليه السلام): ما بكأوك! والله ليضربك الله بفقر لا ينجلي وبلاء لا ينستر... فبليت بعلّة فأنفقت مالها وجميع ملكها على تلك العلة حتى احتاجت إلى رفد الناس - أي معوتتهم - وقد تردى أخوها جعفر في بئر فأخرج ميتاً وكان سكراناً .

ويروى أن ابن أبي داود القاضي كان السبب لقتل الإمام (عليه السلام) وكان سبب وشايته : أن سارقاً جاء إلى الخليفة ، وأقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة أن يطهره بإقامة الحد عليه ، فجمع المعتصم الفقهاء وسألهم عن مكان قطع اليد لإقامة الحد على السارق هذا فاختلّفوا في مكان القطع فالبعض قال من المرفق ، وآخر قال من الكرسوع ، واستشهدوا بآيات من القرآن الكريم تأولاً بغير علم ، فالتفت المعتصم إلى الإمام (عليه السلام) وقال : ما تقول يا أبا جعفر ؟ قال : قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين . قال : دعني مما تكلموا به ، أي شيء عندك ؟ قال : أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين قال : أقسمت عليك بالله لما أخبرني بما عندك فيه ، فقال : إذا أقسمت عليّ بالله ، إني أقول : إنهم أخطأوا فيه الستة ، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل الاصابع فيترك الكف . قال : لم ؟ قال لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : السجود على سبعة أعضاء : الوجه واليدين والركبتين والرجلين فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وما كان لله لم يقطع ، قال : فأعجب المعتصم ذلك فأمر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف.

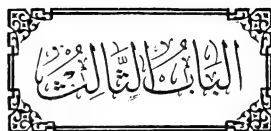
قال زرقان : إن ابن أبي داود قال لي : صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة فقلت : إن نصيحة أمير المؤمنين علي واجبة ، وأنا أكلمه بما أعلم أنني أدخل به النار قال : ما هو ؟ قلت : إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين فسألهم عن الحكم فيه ، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك . وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزرائه ، وكتابه وقد تسمع الناس بذلك من وراء بابه ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته ويدعون أنه أولى منه بمقامه ، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء .

قال ابن أبي داود : فتغير لونه - أي المعتصم - وانتبه لما نبهته له ، وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً...»^(١).

من هنا ندرك أنه كيف اندفع المعتصم للتأمر على الإمام الجواد (عليه السلام) مع جعفر ابن المأمون واخته أم الفضل فلا تعارض بين هاتين الروايتين والحال هذه .

* * *

(١) تفسير العياشي : ١ / ٣١٩ ، مدينة المعاجز : ٤٠٣/٧ ، بحار الأنوار : ١٩١/٧٦ .



وفيهِ فصول :

الفصل الأول :

المسيرة الرسالية لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر

الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

عصر الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

ملاحع عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الأول

المسيرة الرسالية لأهل البيت (عليه السلام) منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)

حتى عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

تعتبر الرسالة الإسلامية الكون مملكة لله سبحانه، والإنسان خليفة له وأميناً من قبله، ينبغي له أن يقوم بأعباء المسؤولية التي حمّله الله إياها. ومادامت الحياة الدنيا تعتبر شوطاً قصيراً في مسيرة الإنسان الطويلة فالأهداف التي ينبغي للمشروع الحكيم وللإنسان المشرّع إليه أن يستهدفها لا تتلخص في تحقيق مآرب هذه الحياة الدنيا الفانية وإنما تمتد بامتداد حياته الباقية في عالم الآخرة.

والإسلام يريد للإنسان أن يتربّى على هذه الثقافة التي تصنع منه كائناً متكاملأً سوياً دؤوباً في تحقيق الأهداف الرسالية الكبرى.

وقد كان التخطيط الربّاني لتربية الإنسان في هذا الاتجاه حكيماً ومتقناً حين تزعم الرسول الخاتم (عليه السلام) المجتمع الإنساني وهيمن على كل العلاقات الاجتماعية وغيرها ليصوغ من هذا الإنسان نموذجاً فريداً.

ولم يكن الطريق أمام عملية التغيير الجذري التي بدأها النبي (صلى الله عليه وآله) في

المجتمع الإنساني طريقاً قصيراً يمكن تحقيقه خلال عقد أو عقدين من الزمن بل كان طريقاً ممتداً بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والإسلام. ولم يكن كل ما حققه الرسول (ﷺ) في هذه البرهة المحدودة كافياً لاجتثاث كل الجذور الجاهلية من عامة أبناء الجيل الأول وإيصاله الى الدرجة اللازمة من الوعي والموضوعية والتحرز من كل رواسب الماضي الجاهلي بحيث يؤهله للقيومة على خط الرسالة .

وتكفي الأحداث المرة التي أعقبت وفاة الرسول (ﷺ) وما جرى بين صحابة الرسول من سجلات سجلها المؤرخون في المصادر التي بأيدينا لتشهد على أن جيل الصحابة لم يرتقِ الى درجة الكفاءة اللازمة ليخلف الرسول على رسالته .

من هنا كان منطق العمل التغييري يفرض على الرسول (ﷺ) أن يصون تجربته الرائدة - التي كان يريد لها الخلود والبقاء وهو الذي أعلن بأنه خاتم المرسلين وأنه لا نبي بعده.. كان يفرض عليه أن يصون تجربته - من كل ما يؤدي الى ضعفها أو إنهيارها، وذلك باعطاء القيومة والوصاية على تجربته لقيادة كفوءة معصومة قد أعدّها بنفسه كما يريد وكما ينبغي؛ لتقوم بالمهمة التغيرية الشاملة خلال فترة طبيعية من الزمن بحيث تحقق للرسالة أهدافها التي كانت تنشدها من ارسال الرسل وتقديم منهج رباني كامل للحياة .

عقبات وأخطار أمام عملية التغير الشاملة

لم يكن الإسلام نظرية بشرية لكي تتحدّد فكرياً من خلال ممارسة تجارب الخطأ والصواب في التطبيق ، وإنما هو رسالة الله التي حُدّدت فيها الأحكام والمفاهيم وزوّدت ربانياً بكل التشريعات العاقمة، فلا بدّ لزعامه هذه

التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفصيلها ووعي كامل لأحكامها ومفاهيمها، وإلا كانت مضطرة إلى استلهاهم مسبقاتها الذهنية ومركزاتها القبلية وذلك يؤدي إلى نكسة في مسيرة التجربة وبخاصة إذا لاحظنا أن الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة لرسالات السماء التي تمتد مع الزمن وتتعدى كل الحدود الإقليمية والقومية، الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته تجارب الخطأ والصواب التي تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيال^(١).

وقد برهنت الأحداث التي جرت على آل الرسول (عليه السلام) بعد وفاته (عليه السلام) استثنائاً بالخلافة دونهم على هذه الحقيقة المرة وتجلت آثارها السلبية بوضوح بعد نصف قرن أو أقل من ممارسة الحكم من قبل جيل المهاجرين الذين لم يُرشحوا من قبل الرسول (عليه السلام) للإمامة ولم يكونوا مؤهلين للقيمومة على الرسالة.

فلم يمض ربيع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة تنهار تحت وقع ضربات الشديدة التي وجهها أعداء الإسلام القدامى؛ إذ استطاعوا أن يتسللوا إلى مراكز النفوذ في قيادة التجربة بالتدريج حتى صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة وأجبروا الأمة وجيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته وتحولت الزعامة إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الأبرياء ويبيعثر الأموال ويعطل الحدود ويجمد الأحكام ويتلاعب بمقدرات الناس وأصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية^(٢).

(١) بحث حول الولاية : ٥٧ - ٥٨ .

(٢) بحث حول الولاية : ٦٠ - ٦١ .

مضاعفات الانحراف بعد الرسول (ﷺ)

لقد واجه الإسلام بعد وفاة النبي (ﷺ) انحرافاً خطيراً في صميم التجربة الإسلامية التي أنشأها هذا النبي العظيم (ﷺ) لأُمته. وهذا الانحراف في التجربة الاجتماعية والسياسية للأمة والدولة الإسلامية كان بحسب طبيعة الأشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدرّج على مرّ الزمن؛ إذ الانحراف يبدأ بذرة ثم تنمو هذه البذرة، وكلما تحققت مرحلة من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحلة لمرحلة أوسع وأرحب.

فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحنٍ طوال عملية تاريخية زمنية طويلة المدى يصل به إلى الهاوية حين تستمر التجربة الإسلامية في طريق منحرف لتصبح مليئة بالتناقضات من كل جهة، وتصبح عاجزة عن تحقيق الحد الأدنى من متطلبات الأمة ومصالحها الإسلامية. وحينما يتسلسل الانحراف في خط تصاعدي فمن المنطقي أن تتعرض التجربة لانحيار كامل ولو بعد زمن طويل. إذن فالدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانحيار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئة بالتناقضات وحين تصبح عاجزة عن مواجهة وظائفها الحقيقية؛ تصبح عاجزة عن حماية نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانيّة البقاء والاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الأمة ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الأمة لا تجني من هذه التجربة الخير الذي تفكر فيه ولا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التي تصبو إليها فلا ترتبط بأي ارتباط حياتي حقيقي معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة في مدى من الزمن كنتيجة نهائية حتمية لبذرة الانحراف التي غرست فيها.

انهيار الدولة الإسلامية ومضاعفاته

ومعنى انهيار الدولة الإسلامية أن تسقط الحضارة الإسلامية وتتخلّى عن قيادة المجتمع ويتفكك المجتمع الإسلامي، ويقتصر الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع وكقائد للأمة، لكن الأمة تبقى طبعاً، حين تفشل تجربة المجتمع والدولة، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التتري الذي واجهته الخلافة العباسية.

وهذا الانهيار يعني: أن الدولة والتجربة قد سقطت وأن الأمة بقيت، لكن هذه الأمة أيضاً بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كأمة تدين بالإسلام وتؤمن به وتتفاعل معه؛ لأن هذه الأمة قد عاشت الإسلام الصحيح زمناً قصيراً جداً وهو الزمن الذي مارس فيه الرسول الأعظم (ﷺ) زعامة التجربة وبعده عاشت الأمة التجربة المنحرفة التي لم تستطع أن تعمق الإسلام وتعمق المسؤولية تجاه عقيدتها ولم تستطع أن تثقفها وتحصنها وتزودها بالضمانات الكافية لئلا تنهار أمام الحضارة الجديدة والغزو الجديد والأفكار الجديدة التي يحملها الغازي إلى بلاد الإسلام.

ولم تجد هذه الأمة نفسها قادرة على تحصين نفسها بعد انهيار التجربة والدولة والحضارة بعدما أهينت كرامتها وحُطِّمت ارادتها وغُلَّت أياديها عن طريق الزعامات التي مارست تلك التجربة المنحرفة وبعد أن فقّدت روحها الحقيقية، لأن تلك الزعامات كانت تريد إخضاعها لزعامتها القسرية.

إن هذه الأمة من الطبيعي أن تنهار بالاندماج مع التيار الكافر الذي غزاها وسوف تذوب الأمة وتذوب الرسالة والعقيدة أيضاً وتصبح الأمة خبراً بعد أن

كانت أمراً حقيقياً على مسرح التاريخ وبهذا ينتهي دور الإسلام نهائياً^(١).
لقد كان هذا هو التسلسل المنطقي لمسيرة الدولة والأمة والرسالة بقطع
النظر عن دور الأئمة المعصومين الذين أوكلت إليهم من قبل الرسول (ﷺ)
مهمة صيانة التجربة والدولة والأمة والرسالة جميعاً.

دور الأئمة الراشدين

إن دور الأئمة الاثني عشر الذين نص عليهم وعلى إمامتهم
الرسول (ﷺ) واستخلفهم لصيانة الإسلام من أيدي العابثين الذين كانوا
يترتبون به الدوائر، وحملهم مسؤولية تطبيقه وتربية الإنسانية على أساسه
وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار والتردي يتلخص في أمرين مهمتين
وخطتين أساسيين:

١ - خط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، واعطائها من
المقومات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة وبروح
مجاهدة وبإيمان ثابت.

٢ - خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف
وارجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية الثلاثة - أعني الأمة
والشريعة والمربي الكفوء - ولتتلاحم الأمة والمجتمع مع الدولة وقيادتها
الرشيدة^(٢).

أما الخط الثاني فكان على الأئمة الراشدين أن يقوموا بإعداد طويل
المدى له، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب وتتفق مع

(١) راجع: أهل البيت (عليهم السلام) تنوع أدوار ووحدة هدف: ١٢٧ - ١٢٩.

(٢) أهل البيت (عليهم السلام) تنوع أدوار ووحدة هدف: ٥٩.

مجموعة القيم والأهداف والأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسم الإسلام القيم وباسم الله المشرع للإنسان كل ما يوصله إلى كماله اللائق.

ومن هنا كان رأي الأئمة المعصومين من أهل بيت الرسول (عليه السلام) في استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلح الآتي غير كافٍ لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وبعصمته إيماناً مطلقاً بحيث يعيش أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس كل ما يحققه للأمة من مصالح وأهداف ربانية.

وأما الخط الأول فهو الخط الذي لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة، وكان يمارسه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) حتى في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهيء الإمام (عليه السلام) لخوض معركة يتسلم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إن هذا الدور وهذا الخط هو خط تعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً في ضمير الأمة بغية إيجاد تحصين كافٍ في صفوفها ليؤثر في تحقيق مناعتها وعدم انهيارها بعد تردّي التجربة وسقوطها، وذلك بإيجاد قواعد واعية في الأمة وإيجاد روح رسالية فيها وإيجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في صفوف الأمة^(١).

واستلزم عمل الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في هذين الخطين قيامهم بدور رسالي إيجابي وفعل على مدى قرون ثلاثة تقريباً في مجال حفظ الرسالة والأمة والدولة وحمايتها باستمرار.

وكلما كان الانحراف يشتد؛ كان الأئمة الأبرار يتخذون التدابير اللازمة

(١) أهل البيت (عليهم السلام) تنوع ادوار ووحدة هدف : ١٣١ - ١٣٢ و ١٤٧ - ١٤٨.

ضد ذلك، وكلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها - بحكم عدم كفاءتها - بادر الأئمة المعصومون إلى تقديم الحل ووقاية الأمة من الأخطار التي كانت تهددها.

فالأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدي في المجتمع الإسلامي بشكل مستمر إلى درجة لا تنتهي بالأمة إلى الخطر الماحق لها^(١).

المهام الرسالية للأئمة الطاهرين

من هنا تنوعت مهام الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) في مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات وتعدد الجوانب التي كانت تهمهم كقيادة واعية رشيدة تريد تطبيق الإسلام وحفظه وضمان خلوده للإنسانية جمعاء.

لأن الأئمة مسؤولون عن صيانة تراث الرسول (صلى الله عليه وآله) الأعظم وثمار جهوده الكريمة المتمثلة في:

١ - الشريعة والرسالة التي جاء بها الرسول الأعظم من عند الله والمتمثلة في الكتاب والسنة الشريفتين.

٢ - الأمة التي كونها ورباها الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣ - المجتمع السياسي الإسلامي الذي أوجده النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أو الدولة التي أسسها وشيّد أركانها.

٤ - القيادة النموذجية التي حققها بنفسه وربّى لتجسيدها الأكفاء من أهل بيته الطاهرين.

لكن استئثار بعض الصحابة بالمركز القيادي الذي رُشّح له الأئمة

(١) أهل البيت (عليهم السلام) تنوع أدوار ووحدة هدف : ١٤٤.

المعصومون من قبل الله ورسوله (عليه السلام) ونصّ عليهم الرسول (عليه السلام) لاستلامه ولتربية الأمة من خلاله لم يكن ليمنعهم ذلك من الاهتمام بالمجتمع الإسلامي السياسي وصيانة الدولة الإسلامية من الانهيار بالقدر الممكن لهم بالفعل وبمقدار ما كانت تسمح به الظروف الواقعية المحيطة بهم.

كما أن سقوط الدولة الإسلامية لا يحول دون الاهتمام بالأمة كأمة مسلمة ودون الاهتمام بالرسالة والشريعة كرسالة إلهية وصيانتها من الانهيار والاضمحلال التام.

وعلى هذا الأساس تنوّعت مجالات عمل الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) جميعاً بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم ومن حيث درجة ثقافة الأمة ومدى وعيها وإيمانها ومعرفتها بالأئمة (عليهم السلام) ومدى انقيادها للحكام المنحرفين ومن حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامي والدولة الإسلامية ومن حيث درجة التزام الحكّام بالإسلام ومن حيث نوع الأدوات التي كان يستخدمها الحكّام لدعم حكمهم وإحكام سيطرتهم.

موقف أهل البيت (عليهم السلام) من انحراف الحكّام

كان للأئمة المعصومين (عليهم السلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفة وقد تمثل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي تارة، أو بالثورة المسلّحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطراً ماحقاً - كثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ضد يزيد بن معاوية - وإن كلّفهم ذلك حياتهم وقد عملوا للحدّ من انحراف الحكّام عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة ودعمها بشكل وآخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الكيانات الكافرة.

أهل البيت (عليهم السلام) وتربية الأمة

وكان للأئمة الأطهار (عليهم السلام) نشاط مستمر في مجال تربية الأمة عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهام كبيرة مثل نشر الوعي والفكر الإسلامي وتصحيح الأخطاء المستجدة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية السياسية المنحرفة أو الشخصيات العلمية المنحرفة التي كان يوظفها الحاكم المنحرف لدعم زعامته.

وحيث كان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يُشكّلون النموذج الحيّ للزعامة الصالحة، عملوا على تثقيف الأمة ورفع درجة وعيها بالنسبة لإمامتهم وزعامتهم ومرجعيتهم العامة.

وهكذا تفاعل الأئمة (عليهم السلام) مع الأمة ودخلوا إلى أعماق ضمير الأمة وارتبطوا بها وبكل قطاعاتها بشكل مباشر وتعاطفوا مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفة أو لمجرد الانتماء لرسول الله (ﷺ)؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله (ﷺ) ولم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الأمة لا تمنح على الأغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبها من دون عطاءٍ سخّي منه في مختلف مجالات اهتمام الأمة ومشاكلها وهمومها.

سلامة النظرية الإسلامية

وهكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف وإن تشوّهت معالم التطبيق من خلال الحكّام المنحرفين، وتحوّلت الأمة إلى أمة عقائدية تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي الكافر حتى استطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها على المدى البعيد كما لاحظناه في هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردي حيث بزغ نور الإسلام من جديد ليعود بالبشرية إلى مرفأ الحق التليد.

وقد حقق الأئمة المعصومون (عليهم السلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البالغ بتربية الجماعة الصالحة التي تؤمن بهم ويأمامتهم فأشرفوا على تنمية وعيها وإيمانها من خلال التخطيط لسلوكها وحمايتها باستمرار واسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد على ثباتها في خضمّ المحن وارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدي رسالي يعيش هموم الرسالة ويعمل على صيانتها ونشرها وتطبيقها ليل نهار.

مراحل الحركة الرسالية للأئمة الراشدين (عليهم السلام)

وإذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) والظروف التي كانت قد أحاطت بهم ولاحظنا سيرتهم ومواقفهم العامة والخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم ومواقفهم إلى مراحل وعصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف والمواقف ولكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامة التي تشكل خطأ فاصلاً ومميزاً لكل عصر.

فالمرحلة الأولى من حياة الأئمة (عليهم السلام) وهي (مرحلة تفادي صدمة

(الانحراف) بعد وفاة رسول الله (ﷺ) تجسدت في سلوك ومواقف الأئمة الأربعة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين (عليهم السلام) فقاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة وإن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة. لكنهم استطاعوا كشف زيفها والمحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها. وبالطبع إنهم لم يهملوا الأمة أو الدولة الإسلامية بشكل عام من رعايتهم واهتماماتهم فيما يرتبط بالكيان الإسلامي والأمة المسلمة فضلاً عن سعيهم البليغ في بناء وتكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم.

وتبدأ المرحلة الثانية بالشرط الثاني من حياة الإمام السجاد السياسية حتى الإمام الكاظم (عليه السلام) وتتميز بأمرين أساسيين:

الأول منهما: يرتبط بالخلافة المزيّفة، فقد تصدى هؤلاء الأئمة لتعريتها عن التحصينات التي بدأ الخلفاء يحصّنون بها أنفسهم من خلال دعم وتأيد طبقة من المحدثين والعلماء (وهم وعاظ السلاطين) لهؤلاء الخلفاء وتقديم صنوف التأييد والولاء لهم من أجل إسباغ الصبغة الشرعية على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمة في المرحلة الأولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة ويشعروا الأمة بمضاعفات الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الأعظم (ﷺ).

والثاني منهما: يرتبط ببناء الجماعة الصالحة والذي أُرسيّت دعائمه في المرحلة الأولى، فقد تصدى الأئمة المعصومون في هذه المرحلة إلى تحديد الإطار التفصيلي وإيضاح معالم الخط الرسالي الذي أوّمن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) عليه، والذي تمثّل في تبیین ونشر معالم النظرية الإسلامية وتربية عدة أجيال من العلماء على أساس الثقافة الإسلامية التي استوعبها الأئمة الأطهار في قبال الخط الثقافي الذي استحدثه وعاظ السلاطين.

هذا فضلاً عن تصديهم لدفع الشبهات وكشف زيف الفرق التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

والأئمة في هذه المرحلة لم يتوانوا عن زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض الخطوط المعارضة للسلطة ولاسيما بعض الخطوط الثورية منها والتي كانت تتصدى لمواجهة من ترعّع على كرسي خلافة الرسول (ﷺ) بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

وأما المرحلة الثالثة من حياة الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) فهي تبدأ بشرط من حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) وتنتهي بالإمام المهدي (عليه السلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمة للجماعة الصالحة ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً في المرحلة الثانية قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت (عليه السلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام الحقيقي، مما خلف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمة (عليه السلام)، وكانت مواقف الأئمة تجاه الخلفاء تختلف تبعاً لنوع موقف الخليفة تجاههم وتجاه قضيتهم.

وأما فيما يرتبط بالجماعة الصالحة التي أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمة (عليه السلام) على دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار من جهة لتحسينها من الانهيار، واعطائها درجة من الاكتفاء الذاتي من جهة أخرى. وكان يقدر الأئمة أنهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يُسمح لهم بالمكث بين ظهرائهم وسوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين زيفهم ودجلهم واتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمة المعصومين الذين كانوا يمثلون الزعامة الشرعية والواقعية للأمة الإسلامية.

ومن هنا تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم

وتدريهم على مراجعتهم للعلماء السائرين على خط أهل البيت (عليهم السلام) في كل قضاياهم وشؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه والتي أخبر الرسول (ﷺ) عن تحققها وأملت الظروف عليهم الانصياع إليها. وبهذا استطاع الأئمة (عليهم السلام) - ضمن تخطيط بعيد المدى - أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعي لهضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتي كانت تنتهي بتنازل الأمة عن الإسلام الصحيح وبالتالي ضمور الشريعة وانهييار الرسالة الالهية بشكل كامل.

موقع الإمام الهادي (عليه السلام) في عملية التغيير الشاملة

والإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يصنّف في هذه المرحلة الثالثة من مراحل حركة أهل البيت (عليهم السلام) فهو قد مارس نشاطاً مكثفاً لإعداد الجماعة الصالحة للدخول الى دور الغيبة المرتقب، وتحصين هذا الخط ضد التحديات التي كانت توجه إليه باستمرار.

وسوف نقف على تفاصيل مواقف الإمام الهادي (عليه السلام) ونشاطاته وإنجازاته التي اختص بها عصره بعد التعزف على ملامح عصره وأهم الظروف التي كانت تحيط به وبشيئته وبالأمة الإسلامية جميعاً ضمن الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

عصر الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

تحدثنا عن المرحلة الأولى من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) في ظلال والده الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وقد كانت فترة قصيرة جداً لم تتجاوز ثماني سنين - على أكثر التقادير - وقد قضاها في المدينة المنورة، وكان في شطر منها بعيداً عن والده، وذلك لأن المعتصم العباسي قد استدعاه في سنة (٢١٨ هـ) إلى بغداد.

والمرحلة الثانية من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) تناهز أربعاً وثلاثين سنة حيث تحمّل فيها أعباء منصب الإمامة منذ سنة (٢٢٠ هـ) إلى سنة (٢٥٤ هـ) واستمرت (٣٤ سنة).

وعاصر فيها كلاً من: المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) والواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ). والمتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) والمنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ). والمعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ).

المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)

هو محمد بن الرشيد، ولد سنة (١٨٠ أو ١٧٨)، واستولى على كرسي الخلافة سنة (٢١٨ هـ) أمه ماردة كانت أحظى الناس عند الرشيد. وقالوا عنه: أنه كان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان عرياً من العلم. وكان إذا غضب لا يبالي من

قتل، وكان من أشد الناس بطشاً، كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره.
وهو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان وكان يتشبّه بملوك الأعاجم
ويمشي مشيتهم، وبلغت غلمانته الأتراك بضعة عشر ألفاً.

وهجاه دعبل الخزاعي بالأبيات التالية:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم يأتنا في ثامنٍ منهم الكتُبُ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة غداة نَوَوْا فيه وثامنهم كلب
وإنني لأزهيّ كلبهم عنك رغبةً لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم وصيف واشناس وقد عظم الخطب
وسار على ما كان عليه المؤمنون من امتحان الناس بخلق القرآن وقاسى
الناس منه مشقة في ذلك وقتل عليه خلقاً من العلماء وضرب الإمام أحمد بن
حنبل في سنة عشرين ومائتين. وفيها تحوّل المعتصم من بغداد وبنى سز من
رأى بعد أن اعتنى باقتناء الترك وبذل الأموال الطائلة فيهم حتى ألبسهم الديباج
ومناطق الذهب وأصبحوا يؤذون الناس ببغداد حتى هدّده أهل بغداد بمحاربتهم
إن لم يخرجهم منها.. ولهذا بنى سامراء وأخرجهم من بغداد.

وغزا المعتصم الروم سنة (٢٢٣ هـ) وفتح عمورية ومات في ربيع
الأول سنة (٢٢٧ هـ) ودامت حكومة المعتصم ثماني سنين وثمانية أشهر.

الإمام الهادي (عليه السلام) والمعتصم العباسي

بعد اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام) من قبل المعتصم عهد المعتصم إلى
عمر بن الفرج أن يشخص بنفسه إلى المدينة ليختار معلماً لأبي الحسن
الهادي (عليه السلام) البالغ من العمر آنذاك ست سنين وأشهرًا، وقد عهد إليه أن
يكون المعلم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت (عليهم السلام) ليغذيه
ببغضهم .

ولما انتهى عمر إلى يثرب التقى بالوالي وعرفه بمهمته فأرشده الوالي وغيره إلى الجنيدي الذي كان شديد البغض للعلويين، فأرسل خلفه وعرفه بالأمر فاستجاب له بعد أن عتِن له راتباً شهرياً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتصال به.

بادر الجنيدي إلى ما كان أمر به من مهمة تعليم الإمام (عليه السلام) إلا أنه قد ذهل لما كان يراه من حدة ذكائه، والتقى محمد بن جعفر بالجنيدي فقال له: «ما حال هذا الصبي الذي تؤدبه؟» فأنكر الجنيدي ذلك وراح يقول: «أتقول: هذا الصبي؟! ولا تقول هذا الشيخ؟ انشدك بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف مني بالأدب والعلم؟» .
قال: لا.

فقال الجنيدي: «إني والله لأذكر الحرف في الأدب، وأظن أني قد بالغت، ثم إنه يملي أبواباً استفيده منه، فيظن الناس اني أعلمه، وأنا والله أتعلم منه» .

وانطوت الأيام فالتقى محمد بن جعفر مرة أخرى بالجنيدي، فقال له: ما حال هذا الصبي؟

فأنكر عليه الجنيدي ذلك وقال: «دع عنك هذا القول، والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى، وإنه لربما هم بدخول الحجرة فأقول له: حتى تقرأ سورة، فيقول: أي سورة تريد أن أقرأها؟ فاذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليها فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصح منها، وكان يقرأها بصوتٍ أطيب من مزامير داود، أنه حافظ القرآن من أوله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله .

وأضاف الجنيدي قائلاً: هذا الصبي صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود فمن أين عِلِمَ هذا العلم الكبير؟ يا سبحان الله !!
ثم نزع عن نفسه النصب لأهل البيت (عليهم السلام) ودان بالولاء لهم واعتقد بالامامة «(١)».

لقد كان لأدب الإمام الهادي (عليه السلام) وحسن تعامله مع معلمه «الناصبي» أثر كبير في تحوله الاعتقادي وإيمانه بزعامة أهل البيت (عليهم السلام).
ثم إنَّ الجنيدي نفسه صرح لغيره أنه تعلم من الإمام (عليه السلام) ولم يأخذ الإمام (عليه السلام) العلم منه ، وتلك خاصة للإمام وآبائه (عليهم السلام) ، فإنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) لما سُئل عن الخلف بعده أشار إلى الإمام الجواد (عليه السلام) وهو صغير ربّما في عمرِ كعمر الإمام الهادي (عليه السلام)، واحتج الرضا (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صِغَارًا﴾ فالصغر والكبر ليس مورداً للإشكال فإنَّ الله سبحانه جعل الامامة امتداداً للنبوّة لتقتدي الناس بحملة الرسالة فهم القِيَمون عليها والمجسدون لها تجسيدا كاملاً ليتيسر للناس تطبيق أحكام الله تعالى بالاعتداء بالائمة (عليهم السلام) .

وتعكس لنا هذه الرواية الاهتمام المبكر من قبل المعتصم بالامام الهادي (عليه السلام) من أجل تطويق تحرّكه وعزله عن شيعته ومريديه كما يتضح ذلك من أمره بأن يمنع اتصال الشيعة به. يُضاف الى ذلك أنَّ المبادرة لتعليم الإمام في سنٍّ مبكّرة لا يبعد أن يكون للتعليم على علم الإمام وهو في هذا العمر كما حدث لأبيه الجواد (عليه السلام) حين تحدّى كبار العلماء ولم يعهد منه أنه كان قد تعلّم عند أحد.

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامراء : ٩١ - ٩٥ .

فهذا الإسراع يعدّ محاولة للحيلولة دون بزوغ اسم الإمام الهادي (عليه السلام) وسطوع فضله عند الخاص والعام، لأنّ ما سوف يصدر منه يمكن أن يُنسب إلى معلّمه ومربّيه.

غير أن الإمام (عليه السلام) بخلقه وهدوئه استطاع أن يَفوّت الفرصة على الخليفة وبلاطه ويُظهر للناس علمه وإمامته التي عيّنها الله له.

الوائق (٢٢٧-٢٣٢ هـ)

هو هارون بن المعتصم، أمه رومية، ولد في شعبان (١٩٦ هـ) واستولى على الخلافة في ربيع الأوّل (٢٢٧ هـ). وفي سنة (٢٢٨ هـ) استخلف على السلطة أشناس التركي وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهرًا.

وكان كثير الأكل جداً حتى قال ابن فهم: أنه كان يأكل في خوانٍ من ذهب وكان يحمل كل قطعة منه عشرون رجلاً.

وكان الواثق كأسلافه الحاكمين في الإسراف وقضاء الوقت باللهو والمفاسد .

وقيل عنه أنه كان وافر الأدب مليح الشعر ، وكان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله اصوات وألحان عملها نحو مائة صوت وكان حاذقاً بضرب العود ، راوية للأشعار والأخبار .

وكان يحب خادماً له أهدي له من مصر فأغضبه الواثق يوماً ثم انه سمعه يقول لبعض الخدم: والله انه ليروم ان أكلمه - اي الواثق - من أمس فما أفعل، فقال الواثق في ذلك شعراً :

يا ذا الذي بعد أبي ظل مختفراً ما أنت إلا مليك جاد إذ قدرا

لولا الهوى لتحاربنا على قدر وان أقف منه يوماً فسوف ترى^(١)
وفي سنة (٢٢٩ هـ) حبس الواصل كتاب دولته وألزمهم أموالاً عظيمة،
فأخذ من أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار ومن سليمان بن وهب - كاتب
إيتاخ - أربع مائة ألف دينار، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار، ومن
إبراهيم بن رباح وكتابه مائة ألف دينار، ومن أحمد بن الخصيب مليوناً من
الدنانير، ومن نجاح ستين ألف دينار، ومن أبي الوزير مائة وأربعين
ألف دينار^(٢).

فكم كان مجموع ثرواتهم بحيث أمكنهم دفع تلك الضرائب؟
وإذا كانت هذه ثروة الكاتب العادي، فكم هي ثروة الوزير نفسه؟
ولعل من نافلة القول أن هذه الأموال إنما اجتمعت عند هؤلاء على
حساب سائر أبناء الأمة الإسلامية الذين كانوا يعانون من الفقر وحياة التقشف
التي أنتجها الظلم إلى جانب التفاضل الطبقي الفاحش.

الإمام الهادي (عليه السلام) وبغا الكبير

وفي سنة (٢٣٠ هـ) أغار الأعراب من بني سليم على المدينة ونهبوا
الأسواق وقتلوا النفوس، ولم يفلح حاكم المدينة في دفعهم حتى ازداد شرهم
واستفحل فوجه إليهم الواصل ببغا الكبير ففرقهم وقتل منهم وأسر آخرين
وانهزم الباقون^(٣).

وللإمام حين ورود بغا بجيشه إلى المدينة موقف تجدر الإشارة إليه، فإن

(١) تاريخ الخلفاء : ٣٤٣ - ٣٤٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٦٩/٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ٢٧٠/٥.

أبا هاشم الجعفري يقول: كنت بالمدينة حين مر بها بغا أيام الواثق في طلب الأعراب.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): «أخرجوا بنا حتى ننظر الى تعبئة هذا التركي». فخرجنا فوقفنا فمّرت بنا تعبته فمّر بنا تركي فكلمه أبو الحسن (عليه السلام) بالتركية فنزل عن فرسه فقبّل حافر دابته، قال (أبو هاشم) فحلّفت التركي وقلت له: ما قال لك الرجل؟ فقال: هذا نبي؟ قلت: ليس هذا نبي. قال: دعاني باسم سُميت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحد الساعة^(١).

وهذه الوثيقة التاريخية تتضمن بيان مجموعة من فضائل الإمام الهادي (عليه السلام) وكمالاته واهتماماته العسكرية والتربوية لأصحابه، وتشجيعه لبغا الذي واجه هذا الهجوم التخريبي للأعراب على مدينة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وبالإضافة الى كرامات الإمام (عليه السلام) المتعددة لا تستبعد أن يكون الإمام (عليه السلام) قد استفاد من هذه الفرصة لكسب فرد في جيش بغا إذ بإمكانه أن يكون حامل صورة ايجابية ورسالة خاصة عن الإمام (عليه السلام) يمكنه إيصالها في الموقع المناسب الى قائده بغا. وسوف نرى مواقف خاصة لبغا تجاه الإمام الهادي (عليه السلام) في المستقبل الذي ينتظره، فضلاً عن موقف له مع أحد الطالبين بعد أن حاول قتل عامل المعتصم فتمرد بغا على أمر المعتصم ولم يلق هذا الطالب الى السباع^(٢). ومن هنا قال المسعودي عنه: كان بغا كثير التعطف والبر على الطالبين.

(١) أعلام الوري: ٣٤٣.

(٢) مروج الذهب: ٧٦/٤.

الوائق ومحنة خلق القرآن

وامتحن الواثق الناس في قضية خلق القرآن فكتب إلى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد، فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً.

وفي سنة إحدى وثلاثين [بعد المائتين] ورد كتاب إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في ذلك ثم رجع في آخر أمره.

وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي وكان من أهل الحديث وقد استفتى الواثق جماعة من فقهاء المعتزلة بقتله فأجازوا له ذلك ، وقال: إذا قمت إليه فلا يقوم من أحد معي فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فمشى إليه فضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فصلب بها ، وصلبت جثته في سر من رأى، واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه ، ولما صلب كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها : «هذا رأس أحمد ابن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره» ووكل بالرأس من يحفظه.

وفي هذه السنة استفك من الروم ألفاً وستمائة أسير مسلم فقال ابن داود - قبحه الله - ! من قال من الأسارى « القرآن مخلوق » خلصوه واعطوه

دينارين ومن امتنع دعوه في الاسر^(١).

قال الخطيب : كان احمد بن أبي داود قد استولى على الوثائق وحمله على التشدد في المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن .

ومن جملة من شملهم ظلم الوثائق أبو يعقوب بن يوسف بن يحيى البوطي صاحب الشافعي الذي مات سنة (٢٣١ هـ) محبوساً في محنة الناس بالقرآن ، ولم يجب إلى القول بأنه مخلوق وكان من الصالحين^(٢).

وجيء بأبي عبدالرحمن عبدالدين محمد الأذرمي (شيخ أبي داود والنسائي) مقيداً إلى الوثائق وابن أبي داود حاضر، فقال له: أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتكم الناس إليه، أعلمه رسول الله ﷺ فلم يدعُ الناس إليه أم شيء لم يعلمه؟ فقال ابن أبي داود: بل علمه. فقال: فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم؟ قال: فبهتوا وضحك الوثائق وقام قابضاً على فمه ودخل بيتاً ومدّ رجله وهو يقول: وسع النبي ﷺ أن يسكت عنه ولا يسعنا! فأمر له أن يعطى ثلاثمائة دينار وأن يرد إلى بلده ولم يمتحن أحداً بعدها ومقت ابن أبي داود من يومئذٍ.

وعن يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى أبي طالب ما أحسن إليهم الوثائق، ما مات وفيهم فقير^(٣).

(١) يراجع تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٨٢ - ٤٨٣، وتاريخ الخلفاء: ٤٠١ .

(٢) تاريخ ابن الوردي: ١ / ٣٣٥ .

(٣) تاريخ الخلفاء: ٣٤٢ .

موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من مسألة خلق القرآن

لقد عمت الأمة فتنة كبرى زمن المأمون والمعتصم والوائق بامتحان الناس بخلق القرآن وكانت هذه المسألة مسألة يتوقف عليها مصير الأمة الإسلامية ، وقد بين الإمام الهادي (عليه السلام) الرأي السديد في هذه المناورة السياسية التي ابتدعتها السلطة فقد روي عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطين أنه قال: كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى بعض شيعته ببغداد :

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فاعظم بها نعمة وإلا يفعل فهي الهلكة. نحن نرى ان الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه ، وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين. جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»^(١).

إخبار الإمام الهادي (عليه السلام) بموت الواثق

كان الإمام الهادي (عليه السلام) يتابع التطورات السياسية ويرصد الأحداث بدقة. فعن خيران الخادم قال : قدمت على أبي الحسن (عليه السلام) المدينة فقال لي : ما خبر الواثق عندك ؟ قلت : جعلت فداك خلفته في عافية، انا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام قال : فقال لي : ان اهل المدينة يقولون انه مات، فلما ان قال لي : (الناس)، علمت انه هو ، ثم قال لي : ما فعل جعفر ؟

(١) أمالي الشيخ الصدوق : ٤٨٩ .

قلت: تركته أسوء الناس حالاً في السجن، فقال: أما إنه صاحب الأمر. ما فعل ابن الزيات؟ قلت: جعلت فداك الناس معه والأمر أمره. فقال: أما انه شؤم عليه. ثم سكت وقال لي: لا بد أن تجري مقادير الله تعالى وأحكامه. يا خيران، مات الواثق وقد قعد المتوكل جعفر وقد قتل ابن الزيات. فقلت: متى جعلت فداك؟ قال: بعد خروجه بستة أيام^(١).

وهذه الرواية دون شك تظهر لنا حدة الصراع والتنافس على السلطة داخل الأسرة العباسية الحاكمة، كما تظهر لنا مدى متابعة الإمام (عليه السلام) للاوضاع العامة والسياسية أولاً بأول. واهتمامه الكبير هذا يوضح مستوى الحالة السياسية التي كانت تعيشها قواعد الإمام (عليه السلام) الشعبية ومواليه، فكان يوافيهم بمآل الاحداث السياسية، ليكونوا على حذر أولاً؛ ولينمتي قابلياتهم في المتابعة وتحليل الظواهر ثانياً.

المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)

هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد اسمها شجاع. أظهر الميل الى السنة، ورفع المحنة وكتب بذلك الى الآفاق سنة (٢٣٤ هـ)، واستقدم المحدثين الى سامراء وأجزل عطاياهم وأمرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية.

وقالوا عنه: انه كان منهمكاً في اللذات والشراب، وكان له أربعة آلاف سُريّة (أمة يتسرى بها). وقال علي بن الجهم: كان المتوكل مشغولاً بقبيحة أم المعتز، والتي كانت أم ولد له، ومن أجل شغفه بها أراد تقديم ابنها المعتز على

(١) أصول الكافي: ١ / ٤٩٨ ح ١ ب ١٢٢.

ابنه المنتصر بعد أن كان قد بايع له بولاية العهد، وسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى، فكان يُحضره مجلس العامة ويحطّ منزلته ويتهدّده ويشتمه ويتوعّده^(١).

وكان المتوكل مسرفاً جداً في صرف بيت المال على الشعراء الذين يتقربون إليه بالمديح - في الوقت الذي كان عامة الناس يشتكون الفقر والحاجة - حتى قالوا: ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطى المتوكل، وفيه قال مردان ابن أبي الجنوب:

فامسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد خفتُ أن أطغى وأن اتجبرا
فقال المتوكل: لا أمسك حتى يغرقك جودي، وكان قد أجازته على قصيدة بمائة ألف وعشرين ألفاً^(٢).

ولعل من وصف المتوكل بالجوذ سوف يتراجع عن وصفه إذا سمع أن المتوكل قال للبحثري: قل في شعراً وفي الفتح بن خاقان، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني، فقل في هذا المعنى، فقال البحثري: يا سيدي كيف أخلفت وعدي وثاقلت عن وفاء بعهدي؟ لا أرtnي الأيام فقدك يا فت حُ ولا عرقتك ما عشت فقدي
أعظم الرزء أن تقدّم قبلي ومن الرزء أن تؤخر بعدي
حذراً أن تكون إفساً لغيري إذ تفردت بالهوى فيك وحدي
وقد قتل المتوكل والفتح بن خاقان في مجلس لهوهما في ساعة واحدة وفي جوف الليل في الخامس من شوال سنة (٢٤٧ هـ) كما سوف يأتي بيانه.

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩ - ٣٥٠.

الإمام الهادي (عليه السلام) والمتوكل العباسي

وقد عُرف المتوكل ببغضه لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولآل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم ، ففي سنة (٢٣٦ هـ) أمر بهدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وهدم ما حوله من الدور. ومنع الناس من زيارته وأمر بمعاينة من يتمرد على المنع.

قال السيوطي: وكان المتوكل معروفاً بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء. فمما قيل في ذلك:

بالله إن كانت أُمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما^(١)

ولم يقف المتوكل عند حدّ في عداائه ونصبه لأهل البيت (عليهم السلام) وايداء شيعتهم فقد قتل معلّم أولاده إمام العربية يعقوب ابن السكيت حين سأله: من أحب إليك؟ هما - يعني ولديه المعتز والمؤيد - أو الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: قنبر - يعني مولى علي - خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل أمر بسلّ لسانه فمات، وذلك في سنة (٢٤٤ هـ)^(٢).

وأهم حدث في زمن المتوكل فيما يخص حياة أهل البيت (عليهم السلام) بحيث يكشف عمّا وصل إليه الرأي العام الإسلامي من التوجه إليهم والاهتمام بهم في الوقت الذي كان العباسيون يفقدون فيه موقعهم في النفوس هو حدث

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٣٤٧.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٨.

إشخاص المتوكل للإمام علي الهادي (عليه السلام) من مدينة جدّه ووطنه الى سجون سرّ من رأى بعيداً عن حواضر العلم والدين والأدب.

ففي سنة (٢٣٤ هـ) أي بعد سنتين^(١) من سيطرته على كرسي الخلافة أمر المتوكل يحيى بن هرثمة بالذهاب إلى المدينة والشيوخ بالامام إلى سامراء ، وكانت للإمام (عليه السلام) مكانة رفيعة بين أهل المدينة ، ولما هم يحيى بإشخاصه اضطربت المدينة وضج أهلها كما ينقل يحيى نفسه، حيث قال : دخلت المدينة فضج أهلها ضجيجاً عظيماً ، ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي - اي الإمام الهادي (عليه السلام) - وقامت الدنيا على ساق ، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً المسجد ، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا فجعلت أسكتهم ، وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف وأدعية ، وكتب علم، فعظم في عيني^(٢). ونستفيد من هذه الرواية أموراً منها :

١ - قوة تأثير الإمام الهادي (عليه السلام) وانشداد الناس إليه وتعلقهم به لكثرة احسانه إليهم، ولأنه يجسد الرسول والرسالة في هديه وسلوكه.

٢ - خشية السلطة العباسية من تعاضم أمر الإمام (عليه السلام) ومن سهولة اتصال الجماعة الصالحة به ، وإشخاصه إلى سامراء يعتبر إبعاداً له عنهم ومن ثم يمكن وضعه تحت المراقبة الشديدة .

٣ - تأثر قائد الجيش العباسي - يحيى بن هرثمة - بالامام (عليه السلام) وتعظيمه له؛ لكذب الاتهامات حوله بالنسبة لعدّة العدة والسلاح للإطاحة

(١) أن تاريخ الرسالة التي استقدم بها المتوكل الإمام الهادي (عليه السلام) على ما في جملة من المصادر هو سنة (٢٤٤ هـ) وليس (٢٣٤ هـ)، ويشهد لذلك ما صرح به الشيخ المفيد (رحمته الله) من أن مدة إقامة الإمام الهادي بسرّ من رأى عشر سنين وأشهرًا، وحيث استشهد في سنة (٢٥٤ هـ) فيظهر من ذلك أن استقدمه كان سنة (٢٤٤ هـ) أي بعد اثنتي عشرة سنة من حكم المتوكل، وهو غير بعيد.

(٢) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٢٠٣.

بالخليفة العباسي.

٤- عزوف الإمام (عليه السلام) عن الدنيا وملازمة المسجد متخذاً من سيرة آبائه نبزاً له ، ومن المسجد طريقاً لبث علوم أهل البيت (عليهم السلام) وتصحيح معتقدات الأمة .

٥- عزل الإمام (عليه السلام) عن شيعته ومحبيه ، فسامراء مدينة أسسها المعتصم العباسي وكانت تسكنها غالبية تركية (قَوَاد وجنود) ولم يكونوا يعبؤون بالدين والقيم قدر اهتمامهم بالسيطرة والسلطة .

الوشاية بالإمام (عليه السلام)

يبدو من بعض المصادر أن أحد أسباب إشخاص المتوكل العباسي للإمام الهادي (عليه السلام) الى سامراء هو وشاية إمام الحرمين الذي كان معروفاً بالنصب لأهل البيت (عليهم السلام) وقد كانت هذه الوشايات متتابعة ومتكررة وهذا دليل على عدم الارتياح لتواجد الإمام الهادي (عليه السلام) بالمدينة وتأثيره الكبير على الحرمين معاً وهما مركز الثقل العلمي والديني في الحاضرة الإسلامية. ويشهد لذلك ما قالوا: من أنه كتب بريجة العباسي^(١) صاحب الصلاة بالحرمين إلى المتوكل: «إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منهما فإنه قد دعا إلى نفسه واتبعه خلق كثير».

وتابع بريجة الكتب في هذا المعنى فوجه المتوكل بيحيى بن هرثمة في سنة (٢٣٤ هـ) وكتب معه إلى أبي الحسن (عليه السلام) كتاباً جميلاً يعرفه انه قد اشتاقه ويسأله القدوم عليه وأمر يحيى بالمسير معه كما يحب، وكتب إلى بريجة

(١) وقيل اسمه «تريخه»، وعن الطريحي في مجمع البحرين: «بريمة». بينما ذكر آخرون أن اسمه عبدالله بن محمد وكان يتولى الحرب والصلاة بمدينة الرسول (ﷺ)، أنظر الارشاد: ٣٠٩/٢.

يعرفه ذلك.

وإليك نص رسالة المتوكل الى الإمام الهادي (عليه السلام)، حسبما رواه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني :

عن محمد بن يحيى ، عن بعض اصحابنا قال : اخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث واربعين ومائتين وهذه نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك ، راع لقربانتك ، موجباً لحقك يقدر الأمور فيك وفي أهل بيتك ، ما اصلح الله به حالك وحالهم وثبت به عزك وعزهم ، وأدخل اليمن والأمن عليك وعليهم . يبتغي بذلك رضى ربه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم ، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبدالله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك ، وعندما قرفك^(١) به ، ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في ترك محاولته ، وأنت لم تؤهل نفسك له . وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل ، وأمره بإكرامك وتبجيلك . والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك .

فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما رأيت، شخصت ومن أحببت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمانينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا

(١) قرف: عابه أو اتهمه.

شئت ، وتسير كيف شئت، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند مشيعين لك ، يرحلون برحيلك ، ويسيرون بسيرك ، والأمر في ذلك إليك حتى توفي أمير المؤمنين .

فما أحد من اخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ولا أحد له أثره ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق ، وبهم أبر وإليهم أسكن منه إليك إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(١).

إن المتوكل قد كان يهدف في رسالته أموراً إعلامية ودعائية أولاً تأثيراً في أهل المدينة، محاولة منه لتغيير انطباعهم من جهة فالغالبية من أهل المدينة تعرف المتوكل وعداءه لأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم .

وحاول ثانياً أن يُبدي للإمام الهادي (عليه السلام) أنه يحترم رأيه ويقدره ويعزه لذا فقد أبدل والي المدينة بغيره ومن ثم جعل له الحرية في الشخوص إلى الخليفة كيف يشاء الإمام (عليه السلام). وتلك أساليب إن كانت تغري العامة فالإمام (عليه السلام) كان يدرك ما يرومه المتوكل ويهدف إليه في استدعائه.

وعلى أية حال فقد قدم يحيى بن هرثمة المدينة فأوصل الكتاب إلى بريجة، وركبا جميعاً إلى أبي الحسن (عليه السلام) فأوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلهما ثلاثاً ، فلما كان بعد ثلاث عاد إلى داره فوجد الدواب مسرجة والأثقال مشدودة قد فرغ منها.

ولا نغفل عن تفتيش يحيى لدار الإمام (عليه السلام) مما يعني أنه كان مأموراً بذلك في الوقت الذي كان الكتاب ينفي عن الإمام أي اتهام ضده.

ومن هنا نعلم أن استقدام الإمام (عليه السلام) كان أمراً إلزامياً له وإن كان بصيغة

الاستدعاء وإلا فلم هذا التفتيش الذي يكشف عن وجود سوء ظن بالإمام (عليه السلام) بعد تلك الوشائات؟!

وخرج (عليه السلام) بولده الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وهو صبي مع يحيى ابن هرثمة متوجهاً نحو العراق واتبعه بريحة مشياً فلما صار في بعض الطريق قال له بريحة: قد علمت وقوفك على أنني كنت السبب في حملك وعليّ حلف بأيمان مغلظة: لئن شكوتني إلى أمير المؤمنين أو أحد من خاصته وأبنائه لأجمرنّ نخلك ولاقتلنّ مواليك ولأعورنّ عيون ضيعتك ولأفعلنّ ولأصنعنّ، فالتفت إليه أبو الحسن فقال له: ان أقرب عرضي إياك على الله البارحة وما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكوك إلى غيره من خلقه. قال: فانكبت عليه بريحة وضرع إليه واستعفاه فقال له: قد عفوت عنك (١).

وأهم الاشارات ذات الدلالة في هذه الرواية: أن المتوكل أمر يحيى بن هرثمة برعاية الإمام (عليه السلام) وعدم التشديد عليه، وقد بلغ ذلك بريحة وخشي ان يشتكيه الإمام للمتوكل، فتوعد الإمام فعمد الإمام (عليه السلام) إلى تركيز مفهوم اسلامي وهو مسألة الارتباط بالله سبحانه، فإنه هو الذي ينفع ويضر ويدفع عن عباده، لذا اجاب الإمام (عليه السلام) بريحة بأنه قد شكاه إلى الله تعالى قبل يوم من سفره وان الإمام (عليه السلام) ليس في نيته أن يشتكي بريحة عند الخليفة مما اضطر بريحة أن يعتذر من الإمام (عليه السلام) ويطلب العفو منه، فهو يعرف منزلة الإمام وآبائه (عليهم السلام) وصلتهم الوثيقة بالله سبحانه، فأخبره الإمام (عليه السلام) بأنه قد عفى عنه، وكان الإمام يدرك أبعاد سلوك الخليفة إزاءه وما يرمي إليه من تفتيش داره وإشخاصه من المدينة إلى سامراء، وإبعاده عن أهله ومواليه ومن

(١) اثبات الوصية: ١٩٦ - ١٩٧.

ثم وضعه تحت الرقابة المشددة ومعرفة الداخلين على الإمام المرتبطين به وبالتالي ضبط كل حركات الإمام (عليه السلام) وتحركات قواعده، فوجوده (عليه السلام) في المدينة يعني بالنسبة للخليفة تمتع الإمام (عليه السلام) بحرية في التحرك، فضلاً عن سهولة وتيسر سبل الاتصال به من قبل القواعد الموالية للإمام (عليه السلام).

وقد كان الإمام (عليه السلام) في كل تحركاته وحتى في كتبه ووصاياه إلى شيعته يتصف باليقظة والحذر، ومن هنا كانت الوشايات به تبوء بالفشل، وحينما كانت تكبس داره - كما حصل ذلك مراراً - لا يجد جلاوزة السلطان فيها غير كتب الأدعية والزيارات والقرآن الكريم، حتى حينما تسوروا عليه الدار لم يجدوه إلا مصلياً أو قارئاً للقرآن.

وقال ابن الجوزي: ان السبب في اشخاص الإمام (عليه السلام) من المدينة إلى سامراء - كما يقول علماء السير - هو ان المتوكل كان يبغض علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) وذريته وخشي تأثيره في أهل المدينة وميلهم إليه^(١). وهذا التعليل ينسجم مع كل تحفظات الإمام (عليه السلام) تجاه السلطان.

الإمام في طريقه الى سامراء

وحاول ابن هرثمة في الطريق إحسان عشرة الإمام (عليه السلام) وكان يرى من الإمام (عليه السلام) الكرامات التي ترشده الى عظمة الإمام ومكانته وحقيقة أمره وتوضح له الجريمة التي يرتكبها في إزعاج الإمام (عليه السلام) والتجسس عليه. عن يحيى بن هرثمة قال: رأيت من دلائل أبي الحسن الأعاجيب في طريقنا، منها: انا نزلنا منزلاً لا ماء فيه، فأشفينا دوابنا وجمالنا من العطش على

(١) تذكرة الخواص : ٣٢٢.

التلف وكان معنا جماعة وقوم قد تبعونا من أهل المدينة، فقال أبو الحسن: كآتي أعرف على أميال موضع ماء. فقلنا له: ان نشطت وتفضلت عدلت بنا إليه وكنا معك فعدل بنا عن الطريق.

فسرنا نحو ستة أميال فأشرفنا على وادٍ كأنه زهو الرياض فيه عيون وأشجار وزروع وليس فيها زراع ولا فلاح ولا أحد من الناس، فنزلنا وشربنا وسقينا دوابنا واقمنا إلى بعد العصر، ثم تزودنا وارتويننا وما معنا من القرب ورحنا راحلين فلم نبعد أن عطشت.

وكان لي مع بعض غلماني كوز فضة يشده في منطقتة وقد استسقيته فلجلج لسانه بالكلام ونظرت فإذا هو قد أنسى الكوز في المنزل الذي كنا فيه فرجعت اضرب بالسوط على فرس لي، جواد سريع واغد السير حتى أشرفت على الوادي، فرأيته جذباً يابساً قاعاً محلاً لا ماء ولا زرع ولا خضرة ورأيت موضع رحالنا ورؤث دوابنا وبعر الجمال ومناخاتهم والكوز موضوع في موضعه الذي تركه الغلام فأخذته وانصرفت ولم أعرفه شيئاً من الخبر.

فلما قربت من القطر والعسكر وجدته (عليه السلام) ينتظرني فتبسم ولم يقل لي شيئاً ولا قلت له سوى ما سألت من وجود الكوز، فأعلمته أنني وجدته.

قال يحيى: وخرج في يوم صائف آخر ونحن في ضحو وشمس حامية تحرق فركب من مضربه وعليه ممطر وذنب دابته معقود وتحتة لبد طويل.

فجعل كل من في العسكر وأهل القافلة يضحكون ويقولون هذا الحجازي ليس يعرف الري فسرنا أميالاً حتى ارتفعت سحابة من ناحية القبلة واطلمت واضلطنا بسرعة وأتى من المطر الهاطل كأفواه القرب فكدنا نتلف وغرقنا حتى جرى الماء من ثيابنا إلى ابداننا وامتلاأت خفافنا وكان أسرع وأعجل من أن يمكن أن نحط ونخرج اللبايد، فصرنا شهرة ومازال (عليه السلام)

تبسماً ظاهراً تعجباً من أمرنا.

قال يحيى: وصارت إليه في بعض المنازل امرأة معها ابن لها أرمم العين ولم تزل تستذل وتقول معكم رجل علوي دلوني عليه حتى يرقى عين ابني هذا. فدللناها عليه، ففتح عين الصبي حتى رأيتها ولم أشك أنها ذاهبة فوضع يدها عليها لحظة يحرك شفثيه ثم نحاها فإذا عين الغلام مفتوحة صحيحة ما بها علة^(١).

ومرّ الركب ببغداد - في طريقه الى سامراء - فقابل ابن هرثمة واليه اسحاق بن ابراهيم الطاهري فأوصاه بالإمام (عليه السلام) خيراً واستوثق من حياته بقوله: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله (ﷺ)، والمتوكل من تعلم، وإن حرّضته على قتله كان رسول الله (ﷺ) خصمك. فأجابه يحيى: والله ما وقفت له إلا على كل أمرٍ جميل^(٢).

وحين وصل الركب الى سامراء بدأ ابن هرثمة بمقابلة وصيف التركي - وهو ممن كان يشارك في تنصيب الخليفة وعزله ومناقشته في أعماله - ومما قاله وصيف ليحيى: والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل - ويقصد به الإمام الهادي (عليه السلام) - شعرة لا يكون المطالب بها غيري.

قال ابن هرثمة: فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه من حسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وإن أهل المدينة خافوا عليه، فأحسن جائزته وأجزل برّه^(٣).

(١) إثبات الوصية: ٢٢٥.

(٢) مروج الذهب: ٨٥/٤.

(٣) مروج الذهب: ٨٥/٤، وتذكرة الخواص: ٣٥٩.

غير أن هذا الإكرام الذي ادّعاه ابن هرثمة يتنافى مع ما أمر به المتوكل من حجب الإمام (عليه السلام) عنه في يوم وروده إلى سامراء، ويزيد الأمر إبهاماً وتساؤلاً هو أمره بإنزال الإمام (عليه السلام) في مكان متواضع جداً يُدعى بخان الصعاليك^(١).

قال صالح بن سعيد: دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك في كل الأمور أرادوا اطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك^(٢).

وليس ببعيد أن تكون الصورة التي نقلها يحيى للمتوكل عن الإمام (عليه السلام) ومدى نفوذ شخصيته حتى عند الولاة والقواد مدعاة للضغط على الإمام (عليه السلام) والسعي للتضييق الحقيقي عليه من خلال الحيلولة بينه وبين ارتباطه بقواعده وإن كان ذلك بالتظاهر بالإكرام كما نراه في النص الذي نُقل عن يحيى، ولا يغيب عن مثل يحيى مدى كره المتوكل لآل أبي طالب بشكل عام وللإمام الهادي (عليه السلام) بشكل خاص.

الإمام (عليه السلام) في سامراء

إنّ حجب المتوكل للإمام الهادي (عليه السلام) لدى وروده والأمر بإنزاله في خان الصعاليك لو لاحظناه مع ما جاء في رسالة المتوكل للإمام الهادي (عليه السلام) يحمل بين طياته صورة واضحة من نظرة المتوكل إلى الإمام (عليه السلام). فهو لا يأبى من تحقير الإمام وإذلاله كلما سنحت له الفرصة. ولكنه كان يحاول التعتيم على ما يدور في قرارة نفسه ولهذا أمر بعد ذلك بإفراد دار له فانتقل

(١) الارشاد: ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) الكافي: ٤٩٨/١.

العلم بأن المتوكل هو الذي كان قد استدعى الإمام (عليه السلام) وكان يعلم بقدومه عليه، ولا بد أن يكون قد استعد لذلك.

وعلى أية حال فالذي يبدو من سير الأحداث أن المتوكل حاول بكل جهده ليكسب ودة الإمام ويورثه فيما يشتهي من القبايح التي كان يرتكبها المتوكل.

وحاول المتوكل غير مرة إفحام الإمام (عليه السلام) بالرغم من أنه كان يضطر الى الالتجاء إليه حين كان يعجز علماء البلاط أو وعاظ السلاطين عن تقديم الأجوبة الشافية في الموارد الحرجة. وإليك جملة من هذه الموارد:

١- إن نصرانياً كان قد فجر بامرأة مسلمة فأراد المتوكل أن يقيم عليه الحد فأسلم. فقال ابن الأكثم: قد هدم إيمانه شركه وفعله. وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود. وقال آخرون غير ذلك، فأمر المتوكل بأن يكتب الى الإمام الهادي (عليه السلام) وسأله عن ذلك فلما قرأ الكتاب، كتب: يضرب حتى يموت. فأنكر ابن الأكثم وسائر فقهاء العسكر وطالبوا الإمام بالحجة من الكتاب والسنة فكتب (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾. فأمر المتوكل فضرب حتى مات (١).

٢- وحين نذر المتوكل أن يتصدق بمال كثير واختلف الفقهاء في تحديد المال الكثير، أشار عليه أحد ندمائه بالسؤال من الإمام (عليه السلام) قائلاً: ألا تبعث الى هذا الأسود فتسأله عنه؟ فقال له المتوكل: من تعني؟ ويحك! فقال له: ابن

الرضا. فقال له: وهو يحسن من هذا شيئاً؟ فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا وإلا فاضربني مائة قرعة. فبعث من يسأل له ذلك من الإمام فأجاب الإمام بأن الكثير ثمانون. فلما سُئل عن دليل ذلك أجاب قائلاً: ﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ فعددها فكانت ثمانين^(١).

إنّ هذا التنكر من المتوكل للإمام (عليه السلام) أو هذا التعجب من أنه قادر على الإجابة وقد عرفنا موارد منها ليشير الى مدى حقد المتوكل وتعمّده في تسقيط الإمام (عليه السلام) أمام الآخرين. ولكنه لم يفلح حتى أنه كان يبادر للتعتيم الإعلامي على فضائل الإمام (عليه السلام) ومناقبه، كما نرى ذلك بعد ردّه على اسئلة ابن الأكثم حيث قال ابن الأكثم للمتوكل: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسألتي هذه وإنّه لا يرد عليه شيء بعدها إلاّ دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة^(٢).

٣- ومن جملة القضايا التي حاول إحراج الإمام فيها قضية زينب الكذّابة حيث أمر الإمام (عليه السلام) بالنزول الى بركة السباع.

قال أبو هاشم الجعفري: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدّعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) فقال المتوكل: أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله (ﷺ) ما مضى من السنين، فقالت: إنّ رسول الله (ﷺ) مسح عليّ وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس الى هذه الغاية فلحققتني الحاجة فصرت اليهم.

فدعا المتوكل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعزّفهم حالها فروى جماعة وفاة زينب في سنة كذا، فقال لها: ما تقولين في

(١) الكافي: ٤٦٣/٧.

(٢) المناقب: ٤٤٣/٢.

هذه الرواية؟

فقالت: كذب وزور، فإنّ أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت، فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟ فقالوا: لا، فقال: هو بريء من العباس إن لا أنزلها عمّا ادّعت إلا بحجة.

قالوا: فأحضر ابن الرضا (عليه السلام) فلعلّ عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا. فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة فقال: كذبت فإنّ زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا، قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلا بحجة تلزمها.

قال: ولا عليك فهنا حجة تلزمها وتلزم غيرها، قال: وما هي؟ قال: لحوم بني فاطمة محرّمة على السباع فأنزلها الى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضربها، فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنّّه يريد قتلي، قال: فهنا جماعة ولد الحسن والحسين (عليه السلام) فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لم لا يكون هو؟

فمال المتوكل الى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع فقال: يا أبا الحسن لم لا تكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك قال: فافعل، قال: أفعّل. فأتي بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسود فنزل أبو الحسن إليها فلما دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كل واحد منها، ثم يشير اليه بيده الى الاعتزال فتعتزل ناحية حتى اعتزلت كلّها وأقامت بازائه.

فقال له الوزير: ما هذا صواباً فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر

خبره فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت فأحب أن تصعد، فقام وصار إلى السلم وهي حوله تتمسح بشيابه. فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع، فرجعت وصعد فقال: كل من زعم أنه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس، فقال لها المتوكل: انزلي، قالت: الله الله أذعيتُ الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت، قال المتوكل: ألقيوها إلى السباع، فاستوهبتها والدته^(١). إن هذه المواقف من الإمام (عليه السلام) لم تكن لتثني المتوكل عما كان يراوده من الضغط على الإمام (عليه السلام) ومحاولة تسقيطه وعزله عن عامة الناس وخواص أتباعه. وكان رصده للإمام (عليه السلام) لا يشفي غليله فكان يفتش دار الإمام (عليه السلام) بشكل مستمر وكان ذلك واحداً من أساليبه لإهانة الإمام (عليه السلام) أو طريقاً للعثور على مستمسك يسوق له الفتك بالإمام (عليه السلام).

تفتيش دار الإمام (عليه السلام)

لم تحقق وسائل السلطة - في التضييق على الإمام ومراقبته - أهدافها في ضبط بعض القضايا التي تؤكد صحة الوشايا بالإمام، فكثيراً ما سعى بعض المتزلفين للخليفة بالإمام (عليه السلام) وأوغروا صدره ضد الإمام (عليه السلام) وخابروا الخليفة كذباً وزوراً بأن لديه السلاح وتجبى إليه الاموال من الأقاليم، إلى غيرها من الأكاذيب التي كانت تدفع بالخليفة إلى إرسال جنده وبعض قواده إلى دار الإمام (عليه السلام) وتفتيشها، ثم استدعاء الإمام (عليه السلام) إلى بلاط المتوكل الذي كان ثملاً على مائدة شرابه، حتى أن المتوكل الشمل بعد أن أعظم الإمام وأجلسه إلى جانبه ناوله الكأس.

(١) بحار الأنوار: ١٤٩/٥٠.

فقال له الإمام (عليه السلام): يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني فأعفاه.

ثم قال له المتوكل : أنشدني شعراً .

فأجابه الإمام (عليه السلام) : اني لقليل الرواية للشعر .

فقال له المتوكل : لا بد من ذلك .

فأنشده الإمام (عليه السلام) الأبيات التالية :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغتتهم القُللُ

واستزلوا من بعد عزٍ من معاقلهم فاودعوا حفراً يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الاسرة والتيجان والحللُ

أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ

قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل ، ثم أمر برفع الشراب وقال : يا ابا الحسن أعليك دين ؟

قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فدفعها إليه ورده إلى منزله مكرماً .

ومرة أخرى حين مرض المتوكل من خُراج خرج به وأشرف منه على

الهلاك، فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى

أبي الحسن علي بن محمد ملاً جليلاً من مالها وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت

الى هذا الرجل فسألته فإنه لا يخلو أن يكون عنده صفة يفرج بها عنك.

فبعث إليه ووصف له علته، فرد إليه الرسول بأن يؤخذ كسب الشاة

فيداف بماء ورد فيوضع عليه. فلما رجع الرسول فأخبرهم أقبِلوا يهزؤون من

قوله، فقال له الفتح: هو والله أعلم بما قال، وأحضر الكسبُ وعمل كما قال

ووضع عليه فغلبه النوم وسكن، ثم انفتح وخرج منه ما كان فيه وبشرت أمه

بعافيته، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها.

ثم استقل من علته فسعى إليه البطحائي العلوي بأن أموالاً تحمل إليه وسلاحاً، فقال لسعيد الحاجب: اهاجم عليه بالليل وخذ ما تجد عنده من الأموال والسلاح واحمله إليّ، قال إبراهيم بن محمد: فقال لي سعيد الحاجب: صرت إلى داره بالليل ومعني سلم فصعدت السطح، فلما نزلت على بعض الدرج في الظلمة لم أدر كيف أصل إلى الدار.

فناداني: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدته عليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادة على حصير بين يديه، فلم أشك أنه كان يصلي، فقال لي: دونك البيوت، فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدره في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً وقال لي: دونك المصلّى، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبس، فأخذت ذلك وصرت إليه.

فلما نظر إلى خاتم أمه على البدره بعث إليها فخرجت إليه، فأخبرني بعض خدم الخاصة أنها قالت له: كنت قد نذرت في علتك لما آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمئة دينار.

فضمّ إلى البدره بدره أخرى وأمرني بحمل ذلك إليه فحملته ورددت السيف والكيسين وقلت له: يا سيدي عزّ عليّ، فقال لي: ﴿سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾.

غير أنّ الإمام (عليه السلام) لم يأبه لكل أدوات المراقبة والتضييق عليه بل كانت أساليبه أدقّ وكان نفوذه في جهاز السلطة يمكنه من التحرك بالشكل الذي يراه مناسباً مع تلك الظروف.

ومما يعزز ذلك ما رواه الشيخ الطوسي (عليه السلام) بإسناده عن محمد بن الفحام ، ان الفتح بن خاقان قال : قد ذكر الرجل - يعني المتوكل - خبر مال يجيء من قم ، وقد أمرني أن أرصده لأخبره ، فقلت له ، فقل لي : من أي طريق يجيء حتى أجيئه؟ فبحثت إلى الإمام علي بن محمد (عليه السلام) فصادفت عنده من احتشمه فتبسم وقال لي :

لا يكون إلا خيراً يا أبا موسى ، لم تعد الرسالة الاولى ؟

فقلت : أجللتك يا سيدي . فقال لي : المال يجيء الليلة وليس يصلون إليه فبت عندي .

فلما كان من الليل وقام إلى ورده قطع الركوع بالسلام وقال لي : قد جاء الرجل ومعه المال ، وقد منعه الخادم الوصول إليّ فأخرج وخذ ما معه .

فخرجت فإذا معه زنبيلجه^(١) فيها المال : فأخذته ودخلت به إليه ، فقال : قل له هات المحنقة التي قالت له القمية انها ذخيرة جدتها ، فخرجت له فأعطانيها ، فدخلت بها إليه ، فقال لي : قل له العجة التي أبدلتها منها ردها إليها . فخرجت إليه فقلت له ذلك ، فقال : نعم كانت ابنتي استحسنتها فأبدلتها بهذه العجة وأنا أمضي فأجيء بها .

فقال : اخرج فقل له : ان الله يحفظ ما لنا وعلينا . هاتها من كتفك ، فخرجت الى الرجل فأخرجها من كتفه فغشي عليه ، فخرج إليه (عليه السلام) ، فقال له : قد كنت شاكاً فتيقنت^(٢) .

وفي الرواية دلالات كثيرة لكن أهم ما يلفت النظر فيها هو :
أولاً : إن الإمام كان يعرف شك السلطة وهو آخذ حذره ومستيقظ

(١) معرب . زنبيلجه : زنبيل صغير .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي : ٢٧٦ ح ٥٢٨ ، والمناقب ٤ / ٤٤٤

ومتأهب للأمر؛ لذا أجاب من سأله عن المال بأنه سيصل ولا سبيل للمتوكل وجلاوزته عليه ، وفعلاً وصل المال سالماً .

ثانياً: إن حامل المال إلى الإمام (عليه السلام) كان يُريد ان يختبر الإمام (عليه السلام) أو يبحث عن وسيلة لليقين بإمامته (عليه السلام) لذا نجد الإمام يرشد مستلم المال إلى أمور لا يعرفها إلا حامله كالجبة التي كان قد أخفاها تحت كتفه وزاد (عليه السلام) الأمر وضوحاً بقوله: أتيقنت؟ مشيراً إلى ما كان يكتنه هذا الرجل في نفسه ، وما يروم أن يصل إليه وهو معرفة الإمام بهذه الأمور وقد أيقن واطمأن حينما أخبره رسول الإمام (عليه السلام) بما كان يضمه .

ثالثاً: إن أنصار الإمام (عليه السلام) وأتباعه كان لهم حضور فاعل في البلاط وهم عيون الإمام بدل أن يكونوا عملاء السلطة. وفيما يلي من خبر اعتقال الإمام (عليه السلام) أيضاً شواهد أخرى على هذه الحقيقة.

اعتقال الإمام الهادي (عليه السلام)

إن المتوكل بعد رصده الدائم للإمام وتفتيشه المستمر والمتكرر لدار الإمام (عليه السلام) أمر باعتقال الإمام (عليه السلام) وزجّه في السجن ، فبقي فيه أياماً وجاء لزيارته صقر بن أبي دلف فاستقبله الحاجب وكانت له معرفة به ، كما كان عالماً بتشيعه ، وبادر الحاجب قائلاً : ما شأنك ؟ وفيم جئت ؟ قال صقر: بخير.

قال الحاجب: لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك ؟

قال صقر: مولاي أمير المؤمنين - يعني المتوكل - .

فتبسم الحاجب وقال : اسكت مولاك هو الحق (يعني الإمام

الهادي (عليه السلام)) فلا تحتشمني فإني على مذهبك.

قال صقر: الحمد لله .

فقال الحاجب: تحب أن تراه؟

قال صقر: نعم.

فقال الحاجب: أجلس حتى يخرج صاحب البريد.

ولما خرج صاحب البريد ، التفت الحاجب إلى غلامه فقال له : خذ بيد الصقر حتى تدخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس ، وخل بينه وبينه . فأخذه الغلام حتى أدخله الحجرة وأوماً إلى بيت فيه الإمام ، فدخل عليه الصقر ، وكان الإمام جالساً على حصير وبازائه قبر محفور قد أمر به المتوكل لارهاب الإمام ، والتفت (عليه السلام) قائلاً بحنان ولطف :

يا صقر ما أتى بك ؟

قال صقر: جئت لأتعرّف على خبرك.

وأجهش الصقر بالبكاء رحمة بالإمام وخوفاً عليه :

فقال (عليه السلام) : « يا صقر لا عليك ، لن يصلوا إلينا بسوء ...

فهذا روعه وحمد الله على ذلك ، ثم سأل الإمام عن بعض المسائل الشرعية فأجاب عنها ، وانصرف مودعاً للإمام^(١) ، ولم يلبث الإمام في السجن إلا قليلاً ثم أطلق سراحه» .

محاولة اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام)

وقد دبرت السلطة الحاكمة آنذاك مؤامرة لقتل الإمام (عليه السلام) ولكنها لم تنجح فقد روي : أنّ أبا سعيد قال: حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل

(١) رواه الصدوق في الخصال : ٣٩٤ ومعالی الأخبار : ١٣٥ وكمال الدين ط النجف الأشرف : ٣٦٥ و ط الغفاري : ٣٨٢ ج ٩ ب ٣٧ وعنه الطبرسي في اعلام الوری : ٢٤٥/٢ . وعن الخصال وعلل الشرائع في بحار الأنوار : ١٩٤/٥٠ .

الكاتب ونحن بداره بسر من رأى فجرى ذكر أبي الحسن (عليه السلام) فقال : يا أبا سعيد أحدثك بشيء حدثني به أبي ؟

قال : كنا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكل على سريريه فسلم المنتصر ووقف ووقفت خلفه وكان إذا دخل رحب به وأجلسه فأطال القيام وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى وهو لا يأذن له في القعود ورأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقول للفتح بن خاقان :

هذا الذي يقول فيه ما تقول ؟ ويرد عليه القول ، والفتح يسكته ويقول : هو مكذوب عليه ، وهو يتلظى ويستشيط ويقول : والله لاقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب ويطعن في دولتي . ثم طلب أربعة من الخزر أجلاً فادفع إليهم أسيفاً ، وأمرهم أن يقتلوا أبا الحسن إذا دخل وقال : والله لأحرقنه بعد قتله ، وأنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر ، فدخل أبو الحسن وشفته تتحركان وهو غير مكترث ولا جازع ، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه ، وانكب عليه يقبل بين عينيه ويديه ، وسيفه شقه بيده وهو يقول :

يا سيدي يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا بن عمي يا مولاي
يا أبا الحسن . وأبو الحسن (عليه السلام) يقول : اعيزك يا أمير المؤمنين من هذا .

فقال : ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟

قال : جاءني رسولك .

قال : كذب ابن الفاعلة .

فقال له : ارجع يا سيدي ، يا فتح يا عبيد الله يا منتصر شيعوا سيدكم

وسيدي، فلما بصر به الخزر خرّوا سجداً، فدعاهم المتوكل وقال: لِمَ لم تفعلوا ما امرتكم به؟

قالوا: شدة هيئته، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم، وامتلات قلوبنا من ذلك.

فقال: يا فتح هذا صاحبك وضحك في وجهه.

وقال: الحمد لله الذي بيض وجهه وأثار حجته» (١).

إنّ هذا النص قد كشف لنا بوضوح عن كل نوازع المتوكل التي تدور حول القتل والحرق للإمام (عليه السلام) فضلاً عن الاتهام بالزندقة والطعن في دولته.

والمتوكل بعد كل هذه المحاولات التي باءت بالفشل لم يهدأ له بال وهو يريد إذلال الإمام (عليه السلام) بأي نحو كان، من هنا بادر في يوم الفطر - وفي السنة التي قتل فيها - إلى الأمر بالترجل والمشي بين يديه قاصداً بذلك أن يترجل الإمام الهادي (عليه السلام) بين يديه، فترجل الإمام (عليه السلام) كسائر بني هاشم واتكأ على رجل من مواليه فأقبل عليه الهاشميون وقالوا: يا سيدنا ما في هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه ويكفينا الله به من تعزّر هذا؟ قال لهم أبو الحسن (عليه السلام): في هذا العالم من قلامة ظفّره أكرم على الله من ناقة ثمود، لما عقرت الناقة صاح الفضيل إلى الله تعالى فقال الله سبحانه: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ (٢).

دعاء الإمام (عليه السلام) على المتوكل

والتجأ الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) إلى الله تعالى، وانقطع إليه، وقد

(١) الخرائج والجرائح: ٤١٧/١ - ٤١٩ ح ١ ب ١١ وعنه في كشف الغمة: ١٨٥/٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٩/٥٠.

دعاه بالدعاء الشريف الذي عرف (بدعاء المظلوم على الظالم) وهو من الكنوز المشرقة عند أهل البيت (عليه السلام) (١)

هلاك المتوكل

واستجاب الله دعاء وليه الإمام الهادي (عليه السلام) ، فلم يلبث المتوكل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيام حتى هلك .

وتم ذلك باتفاق المنتصر ابن المتوكل مع مجموعة من الاتراك حيث هجم الاتراك على المتوكل ليلة الاربعاء المصادف لاربع خلون من شوال (٢٤٧ هـ) يتقدمهم باغر التركي وقد شهروا سيوفهم ، وكان المتوكل ثملاً سكراناً ، وذعر الفتح بن خاقان فصاح بهم: ويلكم أمير المؤمنين؟!

فلم يعتنوا به ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلا انه لم يغني عن نفسه ولا عنه شيئاً ، وأسرعوا إليهما ، فقطعوهما إرباً إرباً ، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر - كما يقول بعض المؤرخين - ودفنا معاً .

وبذلك انطوت أيام المتوكل الذي كان من أعدى الناس لأهل البيت (عليه السلام) .

وخرج الاتراك ، وكان المنتصر بانتظارهم فسلموا عليه بالخلافة وأشاع المنتصر ان الفتح بن خاقان قد قتل أباه ، وانه أخذ بثأره فقتله ، ثم أخذ البيعة لنفسه من أبناء الاسرة العباسية وسائر قطعات الجيش .

واستقبل العلويون وشيعتهم النبأ بهلاك المتوكل بمزيد من الابتهاج والافراح فقد هلك الطاغية الذي صير حياتهم إلى مآسي لا تطاق . (٢)

(١) مهج الدعوات: ٢٠٩/٥٠ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣٤٩ / ١٠ .

المنتصر بالله (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ)

هو محمد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد، أمه أم ولد رومية اسمها حبشية. بُوع له بعد قتل أبيه في شوال سنة (٢٤٧ هـ) وخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد وقالوا عنه: أنه أظهر العدل والانصاف في الرعية فمالَت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له، وكان كريماً حليماً ومما نقل عنه قوله: لذة العفو أعذب من لذة التشقي وأقبح أفعال المقتدر الانتقام. ولكنه لم يمتنع بالخلافة إلا أشهراً معدودة دون ستة أشهر.

وقال الثعالبي: ومن العجائب أن أعرق الأكاسرة في الملك - وهو شيرويه - قتل أباه فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر. وأعرق الخلفاء في الخلافة - وهو المنتصر - قتل أباه فلم يمتع بعده سوى ستة أشهر^(١)

المنتصر والعلويين

وكان المنتصر ليتناً مع العلويين المظلومين في عهد أبيه. فعطف عليهم ووجه بمال فزقه عليهم وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع احواله ومضادة مذهبه طعناً عليه ونصرةً لفعله. (٢)

وكان محسناً لآل أبي طالب حيث رفع عنهم ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين (عليه السلام) ورد على آل الحسين فداً. فقال يزيد المهلب في ذلك :

ولقد بررت الطالبة بعدما ذموا زماناً بعدها وزماناً

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٥٦ - ٣٥٨.

(٢) مقاتل الطالبين: ٣٩٦ ونحوه في تاريخ الخلفاء: ٤١٧.

ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخواناً^(١)
يقول أبو الفرج عنه : وكان المنتصر يظهر الميل إلى أهل البيت (عليه السلام)
ويخالف أباه في أفعاله فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه^(٢).
ولما ولي المنتصر صار يسب الاتراك ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء
فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه لأنه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً فتحيلا
إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه فأشار بفسده
ثم فسده بريشة مسمومة فمات^(٣).

المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ)

هو أحمد بن المعتصم بن الرشيد فهو أخو المتوكل، ولد سنة (٢٢١ هـ)
وأمه أم ولد اسمها مخارق، اختاره القواد بعد موت المنتصر، ثم تنكر له
الأترك لما نفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل، وقتل وصيفاً وبغى. ولهذا
خافهم وانحدر من سامراء الى بغداد، فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له
ويسألونه الرجوع فامتنع، فقصدوا الحبس وأخرجوا المعتز وباعوه
وخلعوا المستعين، ثم جهز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل
بغداد للقتال مع المستعين.

الثورات في عصره

لم يدم حكم المستعين سوى أربع سنوات وأشهر، وقد تميزت فترة

(١) تاريخ الخلفاء : ٤١٧، ٤١٨ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٤١٩ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ٤١٩ .

حكمه بالاضطرابات التي تعود الى قوة الأتراك وضعفه أمامهم، كما تعود الى الظلم والإجحاف بالأمة الى جانب تنازع العباسيين على السلطة، وإليك فهرساً بما وقع في أيام حكم من وثبات وثورات:

- ١- وثبة في الاردن بقيادة رجل من لخم .
 - ٢- وثب في حمص اهلها بعاملهم كيدر الاشروسي .
 - ٣- وثبة الجند في سامراء وضربة لاوناش التركي وهو احد القادة .
 - ٤- وثبة المعرة بقيادة القصيص وهو يوسف بن ابراهيم التَّنُوخي .
 - ٥- وثبة الجند بفارس بعاملهم الحسين بن خالد .
 - ٦- وثبة اسماعيل بن يوسف الجعفري الطالبي في المدينة .
- فوقعت بينهما وقعات ودام القتال شهراً وغلّت الأسعار وعظم البلاء وانحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلعه وقام في ذلك اسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة ، فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وأشهد عليه القضاة وغيرهم فأحدر إلى واسط فأقام بها تسعة اشهر محبوساً موكلاً به أمينٌ ثم رُدَّ إلى سامراء.
- وأرسل المعتز إلى احمد بن طولون ان يذهب إلى المستعين فيقتله فقال : والله لا اقتل أولاد الخلفاء ، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة وله احدى وثلاثون سنة^(١).

المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ)

هو محمد بن المتوكل، ولد سنة (٢٣٢ هـ)، ببيع له وعمره تسع عشرة سنة، ولم يزل الخلافة قبله أحد أصغر منه، وهو أول خليفة أحدث

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٥٨ - ٣٥٩.

الركوب بحلية الذهب، فقد كان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة.

كان المعتز مستضعفاً من قبل الأتراك والعوبة بأيديهم. وأول سنة تولى فيها السلطة مات اشناس الذي كان الواثق قد استخلفه على السلطة وخلف خمسمائة ألف دينار ، فأخذها المعتز وخلع خلعة الملك على محمد بن عبد الله ابن طاهر ، وقلده سيفين ، ثم عزله وخلع خلعة الملك على أخيه وتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهره ، ووشاحين مجوهرين وقلده سيفين ، ثم عزله من عامه ونفاه إلى واسط ، وخلع على بغا الشرابي وألبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنة فقتل وجيء إليه برأسه .

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد وضربه وقيده فمات بعد أيام ، فخشى المعتز ان يتحدث عنه انه قتله او احتال عليه ، فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به اثر ، وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك ، فاتفق ان جماعة من كبارهم أتوه وقالوا :

يا أمير المؤمنين اعطنا ارزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخاف منهم فطلب من أمه (قبيحة) مالاً لينفقه فيهم ، فأبت عليه وشخت نفسها ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء بينما كانت أمه تملك الأموال العظيمة، حيث انفقت على صالح بن وصيف مالاً عظيماً بعد قتله ، ولهذا اجتمع الأتراك على خلعه ، ووافقهم صالح بن وصيف ، ومحمد بن بُغا ، فلبسوا السلاح وجاءوا إلى دار الخلافة فبعثوا إلى المعتز أن اخرج إلينا ، فبعث

يقول : قد شربت الدواء وأنا ضعيف ، فهجم عليه جماعة وجروا برجله وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف ، وهم يلطمون وجهه ويقولون : اخلع نفسك ، ثم احضروا القاضي بن أبي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم احضروا من بغداد إلى دار الخلافة - وهي يومئذ سامراء - محمد ابن الواثق ، وكان المعتز قد أبعدته إلى بغداد فسلم المعتز إليه الخلافة وبايعه^(١). ومات المعتز بعد خلعه من الخلافة بطريقة غريبة؛ بعد خمس ليال من خلعه ، حيث أدخلوه الحمام ، فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ، ثم اخرج فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتاً ، وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين .

اضطهاد الشيعة:

لقد ذكر المؤرخون موقف المعتز المعادي لآل محمد (ﷺ) واضطهادهم واضطهاد شيعتهم ومن نماذج سيرته أنه أعمل السيف في العلويين وآخرين حتى ماتوا في سجونهم، وممن قتل في عهده:

١ - جعفر بن محمد الحسيني وقد قتل في وقعة حدثت بالري بينه وبين احمد بن عيسى عامل محمد بن طاهر^(٢) .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٤٣٤ .

٢ - ابراهيم بن محمد العلوي فقد قتله طاهر بن عبد الله في وقعة كانت بينه وبين الكوكبي بقزوين^(١)، وغير هؤلاء كثير ممن أعمل ولاية العباسيين فيهم السيف والقتل .

أما من مات في الحبس فكثير أيضاً ، منهم: عيسى بن اسماعيل الحضرمي واحمد بن محمد الحسيني^(٢) .

(١) المصدر السابق : ٤٣٣ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٤٣٤ .

الفصل الثالث

ملاحع عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

١- الحالة السياسية العامّة

مارس الإمام الهادي (عليه السلام) مهامه القيادية في حكم المعتصم سنة (٢٢٠هـ) واستشهد في حكم المعتز سنة (٢٥٤هـ) وخلال هذه السنوات الأربعة والثلاثين قد عاصر ستة من ملوك بني العباس الذين لم يتمتعوا بلذة الحكم والخلافة كما تمتّع آبأؤهم حيث تراوحت فترة خلافة كل منهم بين ستة أشهر وخمسة الى ثمان سنوات سوى المتوكل الذي دام حكمه خمسة عشر عاماً.

ويعتبر عهد المتوكل العباسي بدء العصر العباسي الثاني وهو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) واعتبره البعض بدء عصر انحلال الدولة العباسية ، الذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة (٦٥٦ هـ) . وكان لسياسة المتوكل وأسلافه الاثر البالغ في انفصال بعض أمصار الدولة واستقلالها عن السلطة المركزية بالتدريج، حيث نشأت دويلات صغيرة وكيانات متنافسة فيما بينها ، كالسامانية والبويهية والحمدانية والغزنوية والسلجوقية بعد هذا العصر^(١).

وكما كان لهذه الدويلات تأثير في تقدم الحضارة الإسلامية باعتبار

(١) تاريخ الاسلام السياسي : ٣ / ١ بتصرف .

انفتاح بعض الأمراء على العلم والعلماء لكنها أضعفت كيان الدولة العباسية سياسياً لأنها قد ساهمت في إيجاد شرخ في وحدة الدولة الإسلامية الكبرى. وقد يعزى هذا الانفصال وتشكيل هذه الدويلات - إضافة إلى الاضطهاد وتعسف سلاطين الدولة العباسية - إلى استخدام الأتراك في مناصب الدولة الحساسة ، واعتمادهم كقوة رادعة ضد معارضي الدولة العباسية إذ أصبح الجيش يتكون منهم قيادة وأفراداً ، بينما أبعد العرب وسواهم عن تلك المناصب مما أثار حفيظة العرب ضد السلوك السياسي للدولة العباسية وبالتالي أدى إلى الانفصال عنها .

وكان المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك وأسندوا إليهم مناصب الدولة وأقطعوهم الولايات الإسلامية^(١).

وقد انتهج المتوكل سياسة العنف تجاه العلويين وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) فضلاً عن أهل البيت (عليهم السلام) أنفسهم وتجلّى ذلك بوضوح في أمره بهدم قبر الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وما حوله من الدور بل أمر بحرقه وبذره وسقي موضع القبر ومنع الناس من زيارته وتوعد بالسجن على من زاره^(٢).

وقد أثار المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين بشكل عام، وأهل بغداد بشكل خاص وقد ردوا على الإهانات التي ألحقها بالعلويين فستوه في المساجد والطرق^(٣).

وفي زمن المتوكل أصابت مدن العراق مجاعة شديدة وهلك كثير من الناس، وانتهز الروم فرصة ضعف الدولة فاستأنفوا غاراتهم على أراضيها فأغاروا على دمياط وفتكوا بأهلها وأحرقوا دورهم ، ثم غزوا فيليفيا جنوبي

(١) تاريخ الإسلام السياسي : ٣ / ٢ ويراجع تاريخ الطبري : ٧ حول ازدياد نفوذ الأتراك في عصر المعتصم.

(٢) تاريخ الطبري : ٤٤ / ١١ .

(٣) تاريخ الإسلام السياسي : ٥ / ٣ .

آسيا الصغرى وهزموا أهلها هزيمة منكرة^(١).

وفي عام (٢٣٥ هـ) عهد المتوكل إلى أولاده الثلاثة المنتصر والمعتز والمؤيد، بيد أنه رأى أن يقدم المعتز على أخويه لمحبه أم المعتز (قبيصة) ولكن المنتصر غضب لذلك فدبر مع أخواله الأتراك مؤامرة لاغتيال أبيه ، وحاول بعض الأتراك في دمشق اغتيال المتوكل غير أن محاولتهم تلك باءت بالفشل بفضل ما عمله بغا الكبير والفتح بن خاقان^(٢).

ولم ينج المتوكل من الاغتيال فقد قتل فيما بعد، بعد اتفاق بغا الصغير وباغر التركي للتخلص منه وتنصيب ابنه المنتصر عام (٢٤٧ هـ) .
وكان المنتصر يحسن للعلويين مخالفاً بذلك سياسة أبيه ، وتجلت سياسته في إزالة الخوف عنهم والسماح لهم بزيارة قبر الحسين (عليه السلام) .
ولم يدم حكم المنتصر طويلاً فقد تأمر عليه الأتراك وقتلوه عن طريق طبيبه طيفور في سنة (٢٤٨ هـ)^(٣).

وبعد مقتل المنتصر تولّى كرسي الخلافة المستعين بالله سنة (٢٤٨ هـ) وأرجع عاصمته الى بغداد غير أن الأتراك لم يأمنوا جانبه ، فاتفق باغر التركي مع جماعته على خلع المستعين ونصب المعتز مكانه^(٤).
ووقعت بينهما حرب دامت عدة اشهر انتهت بابعاد المستعين إلى واسط ثم قتله غيلة^(٥).

كما أن المعتز لم ينج من أعمال العنف والتعسف التي قام بها قواد الدولة العباسية من الأتراك فقتل شرّ قتلة على أيديهم وذلك سنة (٢٥٥ هـ).

(١) تاريخ الإسلام السياسي: ٥/٣ .

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٩٠ .

(٣) تاريخ الطبري: ٧ أحداث عام ٢٤٨ هـ .

(٤) مروج الذهب: ٢ / ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٥) الكامل في التاريخ: ٧ / ٥٠ وما بعدها .

وكان اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام) في حكم المعتز في سنة (٢٥٤ هـ).^(١) إن ضعف شخصية الحكام هو أحد عوامل التفكك والانحيار الذي أصاب الدولة الإسلامية، وقد رافقه نفوذ زوجاتهم وأمهاتهم الى جانب سيطرة الأتراك الذين اعتمدوا عليهم للتخلص من نفوذ الإيرانيين والعرب، كما كان لظلم الأمراء والوزراء دوره البالغ في زعزعة ثقة الناس بالحكام وإثارة الفتن والشغب داخل بلاد المسلمين^(٢). تمرّداً على ظلم الظالمين ونهب ثروات المسلمين والاستهتار بالقيم الإسلامية والتبذير في بيت مال المسلمين.

إن ضعف شخصية الحكام أذى الى سقوط هيبتهم عند الولاة ممّا دعاهم الى الاتجاه نحو الاستقلال بشكل تدريجي لعلمهم بضعف مركز الخلافة وانهماك الحكام بالملاهي والملذات.

وقد شجّع الحكام الأمراء وعمّالهم على الاهتمام بجمع الأموال وارسالها الى الخليفة ونيل رضاه واثقاء تساؤلاته عن تصرفات الأمراء. وأدت هذه الظاهرة الى طغيان المقاييس المادية واستقرارها في مختلف الشرائح الاجتماعية.

وقد ساعدت الفتوحات - التي كانت أشبه بالغزو لإحكام السيطرة على الأراضي بدل فتح القلوب والعقول - على استحكام المقاييس المادية لأنها كانت تدرّ الأموال والغنائم على الجيش الفاتح فكانت مصدراً من مصادر الثروة التي يفكر بها الحكام والأمراء.

(١) تاريخ العقبوي: ٥٠٣ / ٢.

(٢) لقد توالى حوادث الشغب في بغداد من سنة (٢٤٩ هـ) وتجذدت أربع مرات حتى سنة (٢٥٢ هـ) وبدأت مشاغبات الخوارج من سنة (٢٥٢ هـ) واستمرت الى سنة (٢٦٢ هـ). ورافقها ظهور صاحب الزنج سنة (٢٥٥ هـ)، وهذه سوى ما سيأتي من انتفاضات العلويين خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري.

٢- الحالة الثقافية

كان لترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية أثر كبير في ثقافة هذا العصر ، وكانت ظاهرة الترجمة قد ابتدأت منذ أيام المأمون ، وقد أسهمت في رفد الثقافة الإسلامية من جهة والانفتاح على الثقافات الأخرى التي قد تتقاطع مع ما أفرزته الحضارة الإسلامية من اتجاهات فكرية وثقافية من جهة أخرى.

كما كان لارتحال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أثر كبير في التبادل والتعاطي الثقافي بين شرق البلاد الإسلامية وغربها وأنتج ذلك نشاطاً ثقافياً متميزاً وحركة فكرية، أعطت للعلماء والفقهاء دوراً كبيراً وموقعاً مرموقاً عند الخلفاء والحكام حتى عُدَّ القرن الرابع الهجري فيما بعد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

وقد حظي الشعراء والأدباء بمكانة رفيعة عند الأمراء ممّا أدى الى ازدهار الأدب في هذا العصر .

ولا ينبغي أن نغفل عن محنة خلق القرآن وما رافقها من توتر في المجتمع الإسلامي طيلة عقود ثلاثة^(١).

٣- الحالة الاقتصادية

إن الاضطرابات السياسية والصراع على السلطة وبدء انفصال أجزاء عن الدولة العباسية واستقلالها قد أثر في تدهور الوضع الاقتصادي. وكان لظهور الطبقة في المجتمع الإسلامي آثار سلبية أدت الى سرعة الانهيار الاقتصادي فضلاً عن المجاعة وارتفاع الأسعار، مما كان له أثر كبير

(١) تاريخ الاسلام السياسي : ٣ / ٣٣٢ وما بعدها .

في اضطراب الأمن وفقدان السيطرة من قبل الدولة، وقد تجلّى ذلك في قصر فترة حكم الخلفاء الى جانب انتقال ادارة الدولة إلى القواد الأتراك بدل الخلفاء وهو دليل واضح على ضعف شوكتهم وفقدان هيبتهم أمام قوّاد الجيش ووزرائهم وكتابهم^(١).

٤- الموقع الاجتماعي والسياسي للإمام الهادي (عليه السلام)

إن حادثة إشخاص الإمام (عليه السلام) من قبل المتوكل من المدينة إلى سامراء وإيكال ذلك الامر إلى يحيى بن هرثمة، وما نقله يحيى هذا عن حالة اهل المدينة المنورة، وما انتابهم وما أحدثوا من ضجيج واضطراب لإبعاد الإمام (عليه السلام) عنهم يصوّر لنا مدى تأثر أهل المدينة بأخلاقية الإمام (عليه السلام) المثلى وحسن سلوكه وتعامله معهم وشدة اندماجه في حياتهم، ولا غرو فهو سليل دوحة النبوة وثمره شجرة الإمامة التي هي فرع النبوة، فالإمام هو حجة الله سبحانه على خلقه وهو المثل والقُدوة التي يقتدى بها وهو القيم والحافظ لرسالة الاسلام.

وهذا عبيد الله بن خاقان المعاصر للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كان يصف الإمام الهادي لرجل قائلاً له:

لو رأيت أباه -أي الإمام الهادي (عليه السلام)- لرأيت رجلاً جليلاً نبيلاً خيراً فاضلاً^(٢).
وكان للإمام (عليه السلام) نفوذ في عمق البلاط بحيث نجد أمّ المتوكل تبعث بصرة للإمام (عليه السلام) بعد التوسّل به لتوصيف دواء لداء المتوكل وهو كاشف عن إيمانها بمكانة هذا الإمام عند الله تعالى.

وقد شاع خبره وذاع صيته عند أصحاب البلاط فضلاً عن عامة الناس،

(١) يُراجع تاريخ الطبري : ج ٧، أحداث السنوات ٢٤٧ - ٢٥٤ هـ.

(٢) كمال الدين للشيخ الصدوق : ١ / ٤٢.

في الوقت الذي كان المتوكل قد أحكم الرقابة الدقيقة على تصرفات الإمام (عليه السلام) وارتباطاته لئلا يتسع نفوذه وتمتد زعامته، بل كان يخطط لسجنه واغتياله.

وتكفي نظرة سريعة على ما صدر من معاصريه من تصريحات حول مكانته وسمو منزلته لتقف عند الموقع الاجتماعي المتميز للإمام (عليه السلام) بالرغم من كل محاولات التسقيط^(١).

٥- العباسيون والإمام الهادي (عليه السلام)

تدرجت سياسة الحكّام العباسيين في مناهضة أهل البيت (عليهم السلام) بعد أن عرفوا موقعهم الديني والاجتماعي المتميز وأنهم لا يداهنون من أجل الحكم والملك بل إنهم أصحاب مبدأ وعقيدة وقيم، فكانت سياسة السقّاح والمنصور والرشيد تتلخص في الرقابة المشدّدة والتضييق مع فسح المجال للتحرك المحدود ورافقها خلق البدائل العلمية لئلا ينفرّد أهل البيت (عليهم السلام) بالمرجعية العلمية والدينية في الساحة الاجتماعية فكان الدعم المباشر من الحكّام لأئمة المذاهب وتبني بعضها والدعوة إليها في هذا الطريق.

ولكن كل هذه الأساليب لم تفلح في التعطيم الاعلامي وتوجيه الأنظار عن أهل البيت (عليهم السلام) الى غيرهم فكانت سياسة المأمون هي سياسة الاحتواء التي نقّدها مع الإمام الرضا (عليه السلام).

غير أن المأمون حين أدرك عدم امكان احتواء الإمام (عليه السلام) قضى عليه، لكنه بتزويجه لابنته أم الفضل من الإمام الجواد (عليه السلام) قد أحكم الرقابة على

(١) راجع الفصل الثّاني من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

ولده الإمام الجواد (عليه السلام) بشكل ذكي جداً، ولم يسمح المعتصم للإمام الجواد (عليه السلام) - وهو في ريعان شبابه - ليبقى في مدينة جدّه بل استدعاه وقضى عليه بالسّم لأنه قد أدرك أيضاً عدم إمكان احتوائه بل عدم إمكان احكام الرقابة عليه من داخل بيته وخارجه.

وهنا جاء دور المتوكل ومن تبعه لسجن الإمام والتضييق عليه بأنحاء شتى، فتم استدعاء الإمام الهادي (عليه السلام) وعُرض لأنواع الاحتقار والتسقيط والتضييق - كما لاحظنا - وأُحكمت الرقابة على كل تصرفاته داخل البيت وخارجه، بنحوٍ قد تجنّبوا فيه إثارة الرأي العام حيث تظاهروا بإكرام الإمام واحترامه واعزازه (عليه السلام)، بينما وصلت الرقابة الى أبعد حدّ. وكانت قضية الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) من الأسباب المهمة التي دعت السلطة لإحكام الرقابة عليه لئلا يولد الإمام المهدي (عليه السلام) إن أمكن أو للاطلاع على وجوده إن كان قد وُلد، ومن ثم القضاء عليه.

وقد بقي الإمام الهادي (عليه السلام) تحت رقابة الحكّام العباسيين مدة طويلة تزيد على العشرين عاماً^(١)، وهي فترة طويلة جداً إذا ما قسناها مع فترة ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام) أو فترة بقاء الإمام الجواد (عليه السلام) في بغداد في زمن المعتصم.

وفي هذا مؤثر واضح لتغيير العباسيين سياستهم العامة تجاه أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

٦ - اضطهاد أتباع أهل البيت (عليهم السلام)

إذا استثنينا سياسة المنتصر التي لم تدم سوى ستة أشهر والتي تمثّلت

(١) وقد عرفت أن بعض المصادر صرّحت بأن مدة إقامته (عليه السلام) في سامراء عشر سنوات وأشهر.

في اللين مع العلويين وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) فإننا نجد السياسة العباسية العامة هي مناهضة أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، وممارسة سياسة العنف معهم بالرغم من اتساع رقعة التشيع بعد تظاهر المأمون باحترامه الخاص للإمام الرضا (عليه السلام).

إن حرمان أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم من الوضع المعيشي اللائق بهم إنما كان باعتبار قلقهم من توظيف المال للإطاحة بملكهم. ومن هنا كانت سياسة التقشف بالنسبة لهم سياسة عامة قد سار عليها عامة ملوك بني العباس، وهم أعرف بالمكانة الاجتماعية لأهل البيت (عليهم السلام) في قلوب المؤمنين. وكان الحرمان يمتد إلى إخراجهم من الوظائف الحكومية إن عثروا على موالٍ لأهل البيت (عليهم السلام) كان قد حظي بوظيفة حكومية، بل تعدى ذلك إلى تحديد أملاكهم وغلماهم حتى بان الفقر والحرمان على كثير من العلويين في هذا العصر.

٧- انتفاضات العلويين :

لقد تمادى المتوكل في إيذاء العلويين ومنعهم حقوقهم التي منحهم الله إياها حتى أشرفوا على الهلاك من شدة الفقر بل تمادى في الجور عليهم حتى قدم دعوى غير العلوي على دعوى العلوي إذا تحاكما عند القضاة .

ولم نجد من العباسيين عامة إلا العداء والبغض لأهل البيت (عليهم السلام) لأسباب شتى، منها: تفرد أهل البيت (عليهم السلام) بالنص عليهم من قبل جدّهم الرسول (ﷺ) وتفردهم بالزعامة الروحية والعلمية، وتأثيرهم على قلوب المسلمين ووجدانهم، والاهتمام بشؤونهم، وإيثارهم للدين على الدنيا، والموت في سبيل الله على الحياة مع الذل والهوان في غير طاعة الله. إن عواطف المسلمين وقلوبهم قد اتجهت نحو أبناء الرسول (ﷺ)

وشيعتهم الذين يحذون حذوهم، وأخذت هذه الظاهرة تنمو وتظهر على الساحة الإسلامية وهذا مما لا يرتاح له الحكام العباسيون وعملاؤهم الذين جلسوا على مؤاندهم التي جسدت أفضع أنواع التبذير في بيت مال المسلمين. وأهل البيت (عليهم السلام) بعد ثورة الحسين (عليه السلام) وإن لم يتصدوا للثورة المسلحة ضد الطغاة لأسباب تعود الى سياستهم المبدئية لمعالجة أنواع الانحراف في المجتمع الإسلامي، لكنهم قد فتحوا الطريق أمام الثوار العلويين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف والسلاح حين لا يثمر الكلام والحجاج.

ومن هنا لم تخل الساحة الإسلامية من الثورات التي قام بها قادة علويون على طول الخط بعد ثورة الحسين (عليه السلام).

وقد استمرت هذه الثورات حتى عصر الغيبة وانتهت فيما بعد الى تأسيس دويلات وإمارات يحكمها قادة علويون أو علماء يحملون ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) ويحاولون تجسيد قيمهم وسيرتهم في الحياة الإسلامية. ولم تكن اغتياالات الخلفاء للأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) إلا باعتبار دعمهم لهذه الثورات المسلحة وتأييدهم لها من قريب أو من بعيد.

وهذا الخط الثوري في هذه الظروف الحرجة يعد أحد الأسباب التي حتمت على الإمام الثاني - عشر باعتباره آخر القادة المعصومين - أن يتستر بستار الغيبة لئلا تخلو الأرض من حجج الله وبيئاته.

وقد خرج على حكام هذا العصر من العلويين مجموعة تمثل استمرار الخط الثوري ضد الظلم والظالمين وإليك قائمة بأسمائهم مع ذكر تاريخ ومنطقة تحرّكهم وخروجهم :

١ - محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، خرج في حكومة المعتصم واعتقل في سنة (٢١٩ هـ) وروي

أنه قتل بالسم.

٢- محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام) خرج على المتوكل في المدينة وأسر وسجن في سامراء.

٣- يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). خرج على المستعين في الكوفة سنة (٢٥٠ هـ)، ارتضاه أهل بغداد ولياً للأمر كما بايعه جملة من أهل الحل والعقد في الكوفة. وضج الناس لقتله وحزنوا عليه حزناً لم ير مثله.

٤- الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن حسن بن زيد بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، خرج في طبرستان سنة (٢٥٠ هـ) واستولى على الري وآمل وامتد نفوذه إلى جرجان في سنة (٢٥٧ هـ) واستمر في الحكم حتى سنة (٢٧٠ هـ) ثم خلفه أخوه محمد بن زيد وكان فقيهاً أديباً وجواداً.

٥- محمد بن جعفر بن حسن، خرج في الري سنة (٢٥٠ هـ) ودعا أهل الري إلى حكم الحسن بن زيد الذي كان قد سيطر على طبرستان.

٦- الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبدالله بن علي بن حسين بن علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ثار في قزوین سنة (٢٥٠ هـ).

٧- الحسين بن محمد بن حمزة بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثار في الكوفة سنة (٢٥١ هـ).

٨- اسماعيل بن يونس بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثار في مكة سنة (٢٥١ هـ).

٩- أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن طباطبا ثار في سنة (٢٥٥ هـ) بين برقة والاسكندرية.

١٠ و ١١ - عيسى بن جعفر العلوي، ثار مع علي بن زيد في الكوفة سنة (٢٥٥ هـ).

١٢ - علي بن زيد بن حسين بن عيسى بن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثار في الكوفة سنة (٢٥٦ هـ) للمرة الثانية.

١٣ - إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) المعروف بابن الصوفي ثار في مصر سنة (٢٥٦ هـ) (١).

هذه صورة موجزة عن الحركات المناهضة للحكام الذين تربعوا على كرسي الخلافة وحكموا باسم الرسول (ﷺ) وهم بعيدون كل البعد عن هديه وسننه .

وفي مثل هذه الظروف السياسية العامة والفتن الدينية التي أججها الخلفاء وسقتها الثقافات المستوردة، ماذا كانت تتطلبه الساحة الإسلامية العامة من معالجات؟ وماذا كانت تتطلبه الساحة الخاصة باتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين أخذوا يقتربون من عصر الغيبة الذي أخبر عنه الرسول (ﷺ) والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وبدأت تتكشف علائمه وتتهيا أسبابه؟ هذا ما سوف ندرسه خلال الفصول التالية إن شاء الله تعالى .



(١) راجع مقاتل الطالبين : ٤٧٨ - ٥٣٦ ومروج الذهب : ٤ / ٥٠ - ١٨٠ ، والكامل في التاريخ، الجزء السابع.



وفيهِ فصول :

الفصل الأول :

متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

الإمام الهادي (عليه السلام) وتكامل بناء الجماعة الصالحة وتحسينها

الفصل الثالث :

الإمام الهادي (عليه السلام) في ذمة الخلود

الفصل الرابع :

مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وتراثه

الفصل الأول

متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

بعد أن عرفنا المهم من ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام) نستطيع الآن أن نقف على متطلبات عصره. وسوف نبحث عنها في حقلين. الأول: متطلبات الساحة الإسلامية العامة. والثاني: متطلبات الجماعة الصالحة بعد تمهيد عام لكلا الحقلين.

وذلك أن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) قد تولّى الإمامة بعد استشهاد أبيه الجواد (عليه السلام) سنة (٢٢٠ هـ) وهو لما يبلغ الحلم إذ لم يتعدّ عمره الثامنة - على أكبر الفروض - فهو قد شابه أباه الجواد (عليه السلام) في تولّى الإمامة في سنّ مبكرة.

وقد كان لتولّي الإمام الجواد (عليه السلام) الإمامة في سنّ مبكرة بعد استشهاد أبيه الرضا (عليه السلام) مغزى ديني ودلالات وآثار سياسية واجتماعية عديدة، وإليك جملة منها:

الدلالة الأولى:

أن أهل البيت (عليهم السلام) قد أضافوا دليلاً حسيّاً جديداً بعد الأدلة العقائدية التي تمثلت في النصوص النبوية أولاً والواقع العملي الذي جسّد جدارتهم

لتولي شؤون المسلمين وقيادة العالم الإسلامي فكرياً وعملياً.
والأئمة بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) قد اتجهوا لتربية الأجيال الطليعية
ليحصنوا الأمة الإسلامية من تبعات التلاحق الفكري أو الاختراق الثقافي الذي
حصل من الانفتاح على ثقافات جديدة بعد الفتوح.
وقد عادت الهمينة الفكرية والريادة العلمية لأهل البيت (عليهم السلام) بالرغم
من التخطيط الذي كان من ورائه الأمويون ومن سار في خطهم لإعادة
الجاهلية بكل مظاهرها إلى الحياة الإسلامية الجديدة.

فالإمام زين العابدين (عليه السلام) وابنه الباقر (عليه السلام) الذي عرف بأنه يقر العلم
بقراً وحفيده جعفر الصادق (عليه السلام) الذي دانت له أبواب المذاهب الأربعة ومن
سواهم بالمرجعية العلمية والروحية في أرجاء العالم الإسلامي. قد أثبتوا
بشكل عملي وحسي جدارة أهل البيت (عليهم السلام) للريادة الفكرية التي هي روح
الريادة الاجتماعية والسياسية إلى جانب نص الرسول على أنهم الخلفاء
الحقيقيون له.

واستمر هذا الخط الريادي في عصري الإمامين الكاظم والرضا (عليهم السلام)
وأبرز آثاره الاجتماعية والسياسية حيث هيمن حب أهل البيت (عليهم السلام) على
قلوب المسلمين من جديد وراحوا يشيدون بهم وبمثلهم وعلو منزلتهم في
الحياة الإسلامية، وانعكس هذا الأمر على الحكام انعكاساً لا يُطاق فلم يتحمل
هارون الرشيد وجود الإمام الكاظم (عليه السلام) إذ اعتبره منافساً حقيقياً له حتى
قضى عليه بعد سجنه مسموماً شهيداً.

كما لم يتحمل ابنه المأمون الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) كذلك
بالرغم من تغييره لسياسة أسلافه حيث حاول احتواءه وتجديد نشاطه بشكل
ذكي ثم جد في اطفاء نوره بما أجراه من الحوارات والتحديات العلمية الصعبة

بعد أن أيس من سلب ثقة الناس منه بفرض ولاية العهد عليه إذ كان قد خطط لإظهاره بمظهر الإنسان الحريص على الملك وحب الدنيا الذي كان هو شأن عامة الملوك من بني أمية وبني العباس.

وبعد اليأس من نجاح آخر محاولات التسقيط بادر الى تصفيته جسدياً ليقتضي على أكبر منافس له . فإن الإمام الرضا (عليه السلام) كان يرى هو وكثير من المسلمين بأن المأمون لا يستحق الخلافة وإنما هي رداء ألبسه الله من اصطفاة من عباده وهم أهل بيت الرحمة والرسالة.

فالمأمون يفتقد الرصيد الشرعي والشعبي بينما الإمام الرضا (عليه السلام) ولا سيما بعد فرض ولاية العهد عليه لم يسقط من القلوب، بل قد تألقت نجمه فهو يحظى بالرصيدين الشرعي والشعبي أكثر من ذي قبل ولا سيما بعد الحوارات العلمية التي أجريت معه.

إن نقاط القوة التي كان يفتقدها المأمون رغم ذكائه وحنكته السياسية، قد سوّلت له وجرّته الى اغتيال الإمام الرضا (عليه السلام).

وهنا جاءت إمامة الجواد (عليه السلام) المبكرة لتضفي رقماً جديداً ودليلاً واضحاً وقوياً آخر على جدارة أهل البيت (عليهم السلام) للقيادة الإسلامية يللمسه عاقبة المسلمين بما فيهم الحكام. وشكّلت هذه الإمامة تحدياً صارخاً لا يمكن غض الطرف عنه ولا يمكن مواجهته بأي شكل من الاشكال، فقد عرّض المأمون الإمام الجواد (عليه السلام) لأصناف الحوارات والتحديات العلمية وأيقن بعجزه عن مواجهته، ولكنه كان لا يملك أيّ عذر للقضاء عليه.

ولكنّ المعتصم قد دّنس يديه بهذه الجريمة البشعة التي قضت على الإمام الجواد وهو في عمر الزهور حيث لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ولم تدم أيام إمامته سوى سبع عشرة سنة.

والقضاء على الإمام الجواد (عليه السلام) في هذه الظروف كاشف عن مدى عمق الهيمنة الروحية والعلمية للإمام الجواد (عليه السلام) وهو عميد أهل البيت وكبيرهم روحياً وعلمياً وقيادياً حيث طأطأ لعظمة علماء الطائفة وتعلقت به قلوب شيعته ومحتيته فضلاً عن قلوب من سواهم ودانت له بالولاء أعداد غفيرة من المسلمين.

وإلا فلماذا هذا التسرع في القضاء عليه وهو لم يحاول القيام بأية حركة أو ثورة ضد النظام الحاكم؟!

وقد جاءت الإمامة المبكرة للإمام الهادي (عليه السلام) في هذا الظرف وبعد هذه التحديات وإفرازاتها السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية. فهل نصدق بأنّ الحكّام بعد المعتصم، وبعد ما رأوه من هذه الهيمنة الروحية والعلمية لأهل البيت (عليهم السلام) على الساحة الإسلامية - سوف يتركونهم أحراراً وهم المتقمّصون لرداء خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) والموقع القيادي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين قد اشتهر عنهم وعن جدّهم أنّهم المنصوبون لهذا الموقع الديني والسياسي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

وقد أثبتوا جدارتهم العلمية والفكرية والروحية لتولّي قيادة الأمر وإدارة شؤون المسلمين وهمنوا على قلوب الناس وعقولهم؟

إنّ هذه النقطة تشكّل مفرق طريق واضح بين خطين خطأ الحاكمين وخط أهل البيت (عليهم السلام).

ولم يرتدع هؤلاء الحكام عمّا سلف عليه آبائهم من مقارعة من ينافسهم وهم يرون وجود المنافس الحقيقي لهم حتى وهو لم يبادر الى الثورة ضدّهم، ولم يثبت لديهم أنّهم وراء الانتفاضات التي كانت تنطلق بين آونة وأخرى.

فما هو المخرج في رأيهم وبحسب مقاييسهم؟

وكما علمنا سابقاً، أن الإمام الهادي (عليه السلام) في كل مراحل حياته التي قضاها في مدينة جدّه أو في سامراء كانت تحت رقابة شديدة، وقد جرّعه ما استطاعوا من الغصص التي كانت تتمثل في محاولات الاحتواء تارة والتسقيط العلمي تارة أخرى ثم التحجيم بشتى أشكاله التي تمثّلت في الاستدعاء والتحقيق والرقابة المكثفة والسجن ومحاولات الاغتيال المتكررة خلال ثلاثة عقود ونصف تقريباً من سني عمره المبارك.

فما الذي كان ينتظره الإمام (عليه السلام) من هؤلاء الحكّام في هذا الظرف ومع هذه المحاسبات؟ وما الذي كان ينبغي له أن يقوم به والفرص التي بين يديه محدودة جداً وهي تمر مرّ السحاب؟

فعلى ضوء هذه الحقائق لابد أن نبحث عن متطلبات المرحلة في كلا الحقلين - كما سيأتي بيانه -.

الدلالة الثانية:

إنّ إمامة الجواد (عليه السلام) المبكّرة والتي تلتها إمامة ولده الهادي المبكّرة أيضاً ذات علاقة وطيدة بقضية الإمام المهدي المنتظر الذي سيتولى الإمامة في ظرف عصيب جداً وعمره دون عمر هذين الإمامين (عليه السلام)، كما أخبر بذلك الرسول (ﷺ) والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

إنّ التمهيد الذي قام به الرسول (ﷺ) - تبعاً للقرآن الكريم - بالنسبة لقضية المصلح الإسلامي العالمي والتصريح بأنه سيولد من أبناء الرسول (ﷺ) من فاطمة وعلي (عليه السلام) وإنّه التاسع من أبناء الحسين الشهيد، كان ضرورة اسلامية تفرضها العقيدة لأنها نقطة إشعاع ومركز الأمل الكبير للمسلمين في

أحلّك الظروف الظالمة التي سيمرون بها ، وقد أيدت الظروف التي حلّت بالمسلمين بعد وفاته (عليه السلام) هذه الأخبار السابقة لأوانها.

إنّ هذا التمهيد النبوي الواسع قد بلغت نصوصه - لدى الفريقين - ما يزيد على الـ (٥٠٠) نص حول حتمية ظهور المهدي (عليه السلام) وولادته وغيبته وظهوره وعلائم ظهوره وعدله وحكمه الإسلامي النموذجي.

وقد سار على درب الرسول (صلى الله عليه وآله) الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) خلال قرنين - وعملوا على تأكيد هذا الأصل وتأييده وإقراره في النفوس وجعله معلماً من معالم عقيدة المسلمين فضلاً عن الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم. وقد زرع هذا المبدأ ألغاماً تهدّد الظالمين بالخطر وتنذرهم بالفناء والقضاء عليهم وعلى خطّهم المنحرف، فهو مصدر إشعاع لعامة المسلمين كما أنه مصدر رعب للظالمين المتحكمين في رقاب المسلمين.

ولو لم يصدر من أهل البيت (عليهم السلام) إلا التأكيد على هذا المبدأ فقط - وإن لم يمارسوا أي نشاط سياسي ملحوظ - لكان هذا كافياً في نظر الحكّام للقضاء عليهم مادام هذا المبدأ يقض مضاجعهم.

ولكن اضطرارهم لمراعاة الرأي العام الإسلامي حال بينهم وبين ما يشتهونه ويخطّطون ضد أهل البيت (عليهم السلام) فكانت إرادة الله تفوق إرادتهم. غير أنهم لم يتركوا التخطيط للقضاء على أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله).

فعن الحسين أشاعوا أنه قد خرج على دين جدّه وهو الذي كان يطلب الإصلاح في أمة جدّه.

والإمام الكاظم (عليه السلام) - ومن سبقه - قد اتهم بأنه يُجبنّ له الخراج وهو يخطط للثورة على السلطان.

والإمام الرضا والجواد (عليهم السلام) قد قضي عليهما بشكل ما كر وخبيث

بالرغم من علم المأمون بأنه المتهم في اغتيال الرضا (عليه السلام) والمعتصم قد وظف ابنة المأمون لارتكاب جريمة الاغتيال.

إذن كان التمهيد النبوي لقضية الإمام المهدي الإسلامية يشكل نقطة أساسية ومعلماً لا يمكن تجاوزه ، حرصاً على مستقبل الأمة الإسلامية التي قدّر لها أن تكون أمة شاهدة وأمة وسطاً يفىء إليها الغالي ويرجع إليها التالي حتى ترفرف راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على ربوع الأرض ويظهر دينه الحق على الدين كله ولو كره الكافرون.

وقد ضحى أهل البيت (عليهم السلام) لهذا المبدأ القرآني الذي بيّنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتمده أهل البيت (عليهم السلام) كخط عام وعملوا على تثبيته في نفوس المسلمين. ويشهد لذلك ما ألفه العلماء من كتب الملاحم التي اهتمت بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) في القرنين الأول والثاني الهجريين بشكل ملفت للنظر.

فالإمام المهدي (عليه السلام) قبل ولادته بأكثر من قرنين كان قد تلاً اسمَه وتناقلت الرواة أهدافه وخصائصه ونسبه وكل ما يمت إلى ثورته الإسلامية بصلة.

واستمر التبليغ لذلك طوال قرنين ونصف قرن من الزمن. والمسلمون يسمعون كل ذلك ويتناقلون نصوصه جيلاً بعد جيل بل يعكفون على ضبطه والتأليف المستقل بشأنه.

والمتيقن أن عصر الإمامين الباقر والصادق (عليهم السلام) ومن تلاهما من الأئمة (عليهم السلام) قد حفل بهذا التأكيد. فقد أحصيت نصوص الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن المهدي فناهزت الـ (٣٠٠) نصاً. واستمر التأكيد على ذلك خلال العقود التي تلتها.

فما هي إفرزات هذا الواقع الذي ذكرناه من الناحيتين السياسية والاجتماعية؟ وما هي النتائج المتوقعة لمثل هذه القضية التي لا بد من إقرارها في نفوس المسلمين؟

وهنا نصّ جدير بالدراسة والتأمل قد وصلنا من الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في هذا الشأن بالخصوص وفيه تأييده لهذه الحقيقة الكبرى.

«قال أبو محمد بن شاذان - عليه الرحمة - حدّثنا أبو عبد الله بن الحسين ابن سعد الكاتب (عليه السلام) قال أبو محمد (عليه السلام): قد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلّتين: إحداهما: أنّهم كانوا يعلمون (أنّ) ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادّعائنا إياها وتستقرّ في مركزها. وثانيهما: أنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجابرة الظلمة على يد القائم ممّا، وكانوا لا يشكّون أنّهم من الجابرة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت سول الله (صلى الله عليه وآله) وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول الى منع تولد القائم (عليه السلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون»^(١).

ومن هنا نفهم السرّ في تسرّع الحكّام للقضاء على الثلث الأخير من أئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام).

كما نفهم السرّ في تشديد الرقابة على تصرّفاتهم حتى قاموا بزرع العيون في داخل بيوتهم واستعانوا بشكل مكثّف بالعنصر النسوي لتحقيق هذه المراقبة الدقيقة والشاملة.

كما أننا يمكن أن نكتشف السرّ في أن الأئمة بعد الإمام الصادق (عليه السلام) لماذا لم يولدوا من نساء هاشميات يُشار إليهنّ بالبنان؟ بل ولدوا من اماء

(١) منتخب الأثر: ٣٥٩ ط ثانية عن أربعين الخاتون آبادي (كشف الحق).

طاهرات عفيفات مصطفاة ، فلم يكن هناك زواج رسمي وعلمي وعليه فلا يكون الإمام المولود ملفتاً للنظر سوى للخواص والمعتمدين من أصحاب أهل البيت (عليهم السلام) .

وحين كان يقوم الإمام السابق بالتمهيد لإمامته وطرح اسمه على الساحة بالتدريج، حينئذٍ كان ينتبه الحكام لذلك وربما كانت تفوت عليهم الفرص لاغتiale والقضاء عليه.

ولهذا حين كان يشار إليه بالبنان وتوجه إليه القلوب والنفوس كانت الدوائر الحاكمة تبدأ بالكيد له باستمرار .

قال أيوب بن نوح، قلت للرضا (عليه السلام): نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وإن يردّه الله إليك من غير سيف فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك، فقال: ما ممّا أحد اختلفت إليه الكتب وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع وحملت إليه الأموال إلّا اعتلّ ومات على فراشه حتى يبعث الله عزّ وجل لهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ حتى خفي في نفسه^(١).

فالإمام الكاظم والإمام الرضا (عليهما السلام) قد استشهدا وهما في الخامسة والخمسين من عمرهما بينما الإمام الجواد (عليه السلام) قد استشهد وهو في الخامسة والعشرين من عمره من دون أن يكون كل واحد منهم قد أصيب بمرض يوجب موته، بل كانوا أصحاء بحيث كانت صحتهم وسلامتهم الجسمية مثاراً لاتهام الحكّام الحاقدين عليهم.

إذن فالإمام الجواد (عليه السلام) بإمامته المبكرة التي أصبحت حدثاً فريداً تتناقله الألسن سواء بين الأحبة أو الأعداء قد ضرب الرقم القياسي في القيادة

(١) كمال الدين: ٣٥٤.

الربانية وذكر الأمة بما كانت قد سمعته من إخبار القرآن الكريم بأن الله قد أتى كلاً من يحيى وعيسى الكتاب والحكم والنبوة في مرحلة الصبا. بل لمست ذلك بكل وجودها وهي ترى طفلاً لا يتجاوز العقد الواحد وإذا به يهيمن على عقول وقلوب الملايين.

وفي هذا نوع إعداد لإمامة من يليه من الأئمة (عليهم السلام) الذين يتولون الإمامة وهم في مرحلة الصبا خلافاً لما اعتاده الناس في الحياة.

وقد كانت إمامة ابنه الهادي (عليه السلام) ثاني مصداق لهذا الحدث الفريد الذي سوف لا يكون في تلك الغرابة بل سوف يعطي للخط الرسالي لأهل البيت (عليهم السلام) زخماً جديداً وفاعلية كبيرة إذ يحظى أتباعهم بمثل هذه النماذج الفريدة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

والإمام المهدي الذي كان يتم التمهيد لولادته وإمامته رغم مراقبة الطغاة وترقبهم لذلك، كان المصداق الثالث للإمامة المبكرة، فلا غرابة في ذلك بعد استيناس الأمة بنموذجين من هذا النوع من الإمامة، على الصعيد الإسلامي العام وعلى الصعيد الشيعي الخاص.

من هنا كان الظرف الذي يحيط بالإمام الهادي (عليه السلام) ظرفاً انتقالياً من مرحلة الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة التي يُراد لها أن تدبر الأمر ومن وراء الستار ويراد للأئمة أن تنفتح على هذا الإمام وتعتقد به وتتفاعل معه رغم حرجة الظروف.

فهو الظرف الوحيد لأعداد الأمة لاستقبال الظرف الجديد. ولا سيما إذا عرفنا أن الإمام الهادي هو السابع من تسعة أئمة من أبناء الحسين، والمهدي الموعود هو التاسع منهم وهو الذي مهد لولادة حفيده من خلال ما خطط له من زواج خاص لولده الحسن العسكري دون أي إعلان عن ذلك، فلا توجد إلا مسافة زمنية قصيرة جداً ينبغي له اغتنامها للإعداد اللازم والشامل.

إذن ما أقلّ الفرص المتاحة للإمام الهادي (عليه السلام) للقيام بهذا العبء الثقيل حيث إنه لا بد له أن يجمع بين الدقة والحذر من جهة والابلاغ العام ليفوت الفرص على الحكّام ويعمّق للأمة مفهوم الانتظار والاستعداد للظهور والنهوض بوجه الظالمين. ولا أقلّ من إتمام الحجة على المسلمين ولو بواسطة المخلصين من أتباعه (عليه السلام).

ومن هنا كان على الإمام الهادي (عليه السلام) تحقيقاً للأهداف الكبرى أن يتجنب كل إثارة أو سوء ظن قد يوجه له من قبل الحكّام المتربّصين له ولابنائه من أجل أن يقوم بانجاز الدور المرتقب منه. وهو تحقيق همزة الوصل الحقيقية بين ما حققه الأئمة الطاهرون من آباءه الكرام وما سوف ينبغي تحقيقه بواسطة ابنه وحفيده (عليه السلام)، ولهذا لم يُمهّل الإمام الحسن العسكري سوى ست سنين فقط وهي أقصر عمر للإمامة في تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) إذ دامت إمامة الإمام علي (عليه السلام) ثلاثين سنة والإمام الحسن السبط عشر سنين والإمام الحسين عشرين سنة والإمام زين العابدين خمساً أو أربعاً وثلاثين سنة. والإمام الباقر تسع عشرة سنة والإمام الصادق أربعاً وثلاثين سنة والإمام الكاظم خمساً وثلاثين سنة والإمام الرضا عشرين سنة والإمام الجواد رغم قصر عمره كانت إمامته سبع عشرة سنة والإمام الهادي أربعاً وثلاثين سنة.

وتأتي في هذا السياق كل الاجراءات التي قام بها الإمام الهادي (عليه السلام) من الحضور الرتيب في دار الخلافة وما حظي به من مقام رفيع عند جميع الأصناف والطبقات بدءاً بالأمرأ والوزراء وقادة الجيش والكتاب وعامة المرتبطين بالبلاط كما سوف يأتي توضيحه فيما بعد ان شاء الله تعالى وهكذا كل ما قام به بالنسبة للجماعة الصالحة التي سوف نفصل الحديث عنها في فصل لاحق إن شاء الله تعالى.

متطلبات الساحة الإسلامية في عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

- ١- ترك مقارعة الحاكّمين وتجنّب إثارتهم.
- ٢- الردّ على الإثارات الفكرية والشبهات الدينية.
- ٣- التحذير العلمي للسلطة وعلمائها.
- ٤- توسيع دائرة النفوذ في جهاز السلطة.

١- تجنّب إثارة الحكّام وعمّالهم

اتّسم سلوك الإمام الهادي (عليه السلام) طوال فترة إمامته بالتجنّب من أيّة إثارة للسلطة بدءاً بما فرض عليه من مؤدّب يتولى أمره ثم الاستجابة لدعوة المتوكل واستقدامه الى سامراء وفسح المجال للتفتيش الذي قد تكرر في المدينة وسامراء بل تعدى ذلك الى تطمين المتوكل بأنّ الإمام (عليه السلام) لا يقصد الثورة عليه حين استعرض المتوكل قواته وقدرته العسكرية وأحضر الإمام في هذا الاستعراض ليطلعه على ما يملكه من قوّة لئلا يفكر واحد من أهل بيته (عليه السلام) بالخروج على الخليفة. وإذا بالإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه بأنّ لا نناقشكم في الدنيا نحن مشغولون بأمر الآخرة فلا عليك شيء ممّا تظن^(١).

ولم يحصل المتوكل على أيّ مستمسك ضد الإمام بالرغم من التفتيش المفاجئ والمتكرر.

وقد لاحظنا كيف يتجنّب الإمام (عليه السلام) مثل هذه الإثارات الى جانب تقديمه للنصح والارشاد والموعظة للمتوكل.

(١) بحار الأنوار: ١٥٥/٥٠.

روى ابن شهر آشوب باسناده عن أبي محمد الفحام أنه قال : سألت المتوكل ابن الجهم من أشعر الناس ؟ فذكر الجاهلية والإسلام. ثم أنه سأل أبا الحسن (عليه السلام) ، فقال (عليه السلام) الحماني حيث يقول :

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمدّ خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتاً والشّهد بفضلنا عليهم جهير الصوت في كل جامع
فإن رسول الله احمد جدّنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع
قال : وما نداء الصوامع يا أبا الحسن ؟

قال : أشهد ان لا إله إلا الله، وأشهد ان محمداً رسول الله جدي أم جدّك ؟ فضحك المتوكل ثم قال : هو جدّك لا ندفعك عنه (١).

ولم يخل الإمام الهادي (عليه السلام) بالإجابة العلمية فيما كان يشكل عليهم أمره كما لاحظنا، بل تعدّى ذلك الى وصف دواء ناجع لداء عدوّه المتوكل حين أيس من معالجات أطبائه بالرغم من تظاهره بالعداء للعلويين (٢).

٢- الردّ على الإثارات الفكرية والشبهات الدينية

وقد لاحظنا في عصر الإمام (عليه السلام) ما امتحنت به الأمة الإسلامية بما عرف بمحنة خلق القرآن، والإثارات المستمرة حول الجبر والتفويض والاختيار. وكانت للإمام الهادي (عليه السلام) مساهمات جادة في كيفية معالجة الموقف بشكل ذكي، والرسالة التي أثّرت عن الإمام الهادي (عليه السلام) لأهل الأهواز

(١) أمالي الطوسي: ٢٨٧ ح ٥٥٧ ومناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٨ .

(٢) راجع الكافي: ٤٩٩/١ .

تضمنت ردّاً علمياً تفصيلياً على شبهة الجبر والتفويض، بل تضمنت بيان منهج بديع سلكه الإمام (عليه السلام) في مقام الرد. وحيث كان الغلو والتصرف من الظواهر المنحرفة في المجتمع الإسلامي، فقد واجههما الإمام الهادي (عليه السلام) بالشكل المناسب مع هاتين الظاهرتين^(١).

٣- التحدي العلمي للسلطة وعلمائها

لقد كان الاختبار العلمي لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) أقصر طريق للحكام لمعرفة ماهم عليه من الجدارة العلمية التي هي إحدى مقومات الإمامة. وهو في نفس الوقت أقصر طريق لأهل البيت (عليهم السلام) للتألق العلمي في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا كانت السلطة بعد اجراء أي اختبار علمي تحاول التعقيم عليه لئلا يستفيد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من هذه الورقة المهمة ضد السلطة الحاكمة.

ولكن المصادر التاريخية قد حفظت لنا نصوص هذه الاختبارات وفيها ما يدل على الرد القاطع من أهل البيت (عليهم السلام) على جميع التحديات العلمية التي خططت لهم وانتصارهم في هذا الميدان الذي كان يعيد لهم مرجعيتهم الدينية في الأمة الإسلامية.

وإليك نموذجاً من هذا الاختبار الذي أجراه ابن الأکثم في عصر المتوكل ثم حاول التعقيم عليه.

فقد روى ابن شهر آشوب أنه: قال المتوكل لابن السكيت اسأل ابن

(١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول مبحث «التحذير من مجادلة الصوفيين». وراجع أيضاً مبحث «الإمام والغلاة» في الفصل الثاني من الباب الرابع.

الرضا مسألة عوصاء بحضرتي. فسأله، فقال: لم بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بإبراء الأكمة والأبرص وأحياء الموتى، وبعث محمداً بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر، فاتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الأكمة والأبرص وأحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطب فاتاهم من إبراء الأكمة والأبرص وأحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم.

وبعث محمداً بالقرآن في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فاتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم، فقال ابن السكيت: فما الحجة الآن؟ قال: العقل، يعرف به الكاذب على الله فيكذب.

فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته؟! وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل فأملى عليّ بن محمد (عليه السلام) على ابن السكيت جوابها^(١).

وجاء في رواية أخرى أن هذه الاسئلة قد كتبها ابن الأكثم لموسى بن محمد بن الرضا، ومن الواضح أن المقصود بها هو الإمام الهادي (عليه السلام) بلاريب. ولهذا جاء بها أخوه موسى إليه فأجاب عنها الإمام (عليه السلام)، وإليك نص الرواية:

عن موسى بن محمد بن الرضا قال: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي علي بن محمد (عليه السلام) فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك إن ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك (عليه السلام) ثم قال: وما هي؟

(١) مسند الإمام الهادي (عليه السلام): ٢٥.

قلت :

كتب يسألني عن قول الله : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد إليك طرفك ﴾ ^(١) نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف ؟
وعن قوله : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخزوا له سجداً ﴾ ^(٢) سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء ؟

وعن قوله : ﴿ فإن كنت في شكّ ممّا انزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب ﴾ ^(٣) ، من المخاطب بالآية ؟ فإن كان المخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) فقد شكّ ، وإن كان المخاطب غيره ، فعلى من إذن انزل الكتاب .

وعن قوله : ﴿ ولو أنما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ﴾ ^(٤) ما هذه الأبحر ؟ وأين هي ؟

وعن قوله : ﴿ وفيها ما تشتهي النفس وتلدّ الاعين ﴾ ^(٥) فاشتهد نفس آدم (عليه السلام) أكل البر فأكل واطعم وفيها ما تشتهي الأنفس ، فكيف عوقب ؟
وعن قوله ﴿ أويزوجهم ذكراً واناثاً ﴾ ^(٦) يزوج الله عباده الذكران وقد عوقب قوم فعلوا ذلك ؟

وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ ^(٧) ؟

(١) النمل (٢٧) : ٤٠ .

(٢) يوسف (١٢) : ١٠٠ .

(٣) يونس (١٠) : ٩٤ .

(٤) لقمان : (٣١) : ٣٧ .

(٥) الزخرف (٤٣) : ٧١ .

(٦) الشورى (٤٢) : ٥٠ .

(٧) الطلاق (٦٥) : ٢ .

وعن الخنثى، وقول علي (عليه السلام) : يورث من المبال، فمن ينظر - إذا بال - إليه؟ مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرجال ، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء ، وهذا ما لا يحل . وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل.

وعن رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها ، فدخلت بين الغنم كيف تذيب؟ وهل يجوز أكلها أم لا؟

وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار؟ وإنما يجهر في صلاة الليل.

وعن قول علي (عليه السلام) لابن جرموز : بشر قاتل ابن صفية بالنار، فلم لم يقتله وهو إمام؟!

وأخبرني عن علي (عليه السلام) لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومديرين وأجاز على الجرحى؟ وكان حكمه يوم الجمل انه لم يقتل مؤلياً ولم يجهز على جريح ولم يأمر بذلك ، وقال من دخل داره فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن. لم فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأ . وأخبرني عن رجل أقر باللواط على نفسه أيحد أم يدرأ عنه الحد؟

قال (عليه السلام) : اكتب إليه: قلت : وما اكتب؟ قال (عليه السلام) : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأنت فألهمك الله الرشd، أتاني كتابك فامتحتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها والله يكافيك على نيتك ، وقد شرحنا مسائلك فاصغ إليها سمعك وذلل لها فهمك ، واشغل بها قلبك ، فقد لزمتك الحجة والسلام. سألت عن قول الله عز وجل : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ فهو آصف بن برخيا ، ولم يعجز سليمان (عليه السلام) عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أُمته من الجن والانس انه الحجة من

بعده ، وذلك من علم سليمان (عليه السلام) أودعه عند آصف بأمر الله ، ففهمه ذلك لثلا يختلف عليه في امامته ودلالته ، كما فهم سليمان (عليه السلام) في حياة داود (عليه السلام) لتعرف نبوته وامامته من بعد لتأكد الحجة على الخلق.

وأما سجود يعقوب (عليه السلام) وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف (عليه السلام) ، كما أن السجود من الملائكة لآدم (عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام) وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم (عليه السلام) ، فسجود يعقوب وولده ويوسف (عليه السلام) معهم كان شكراً لله واجتماع شملهم ، ألم تراه يقول في شكره ذلك الوقت : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث - الى آخر الآية - ﴾ (١).

وأما قوله : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرءون الكتاب ﴾ . فإن المخاطب به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق؟! فأوحى الله إلى نبيه ، ﴿ فسل الذين يقرءون الكتاب ﴾ بمحضر الجهلة ، هل بعث الله رسولاً قبلك إلا هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة ، وإنما قال: فإن كنت في شك ولم يكن شك ولكن للمتفعة كما قال : ﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾ (٢).

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة ، وقد علم الله ان نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين ، فكذلك عرف النبي انه صادق فيما يقول ولكن أحب ان ينصف من نفسه .

وأما قوله : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر

(١) يوسف (١٢): ١٠٢ .

(٢) آل عمران (٣) : ٦١ .

ما نفدت كلمات الله ﷻ . فهو كذلك لو أن اشجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله وهي عين الكبريت وعين التمر وعين الـ (برهوت) وعين طبرية وحمّة ماسبندان وحمّة افريقية يدعى لسان وعين بحرون ، ونحن كلمات الله لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا .

وأما الجنة فإن فيها من المأكّل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله ذلك كلّ لآدم (عليه السلام) والشجرة التي نهى الله عنها آدم (عليه السلام) وزوجته ان يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما ان لا ينظرا إلى من فضّل الله على خلّاقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما .

وأما قوله : ﴿ أو يزوجهم ذكراً واناثاً ﴾ أي يولد له ذكور ويولد له اناث يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج ، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ، ﴿ ... ومن يفعل ذلك يلقِ اثاماً ﴾ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلّد فيه مهاناً ﴿ ^(١) إن لم يتب .

وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا ، فإن لم يكن رضاً فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة ، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها ، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها .

وأما قول علي (عليه السلام) في الخنثى فهي كما قال : ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرأة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه .

وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها ، وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر ، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها

ذبحت واحرقت ونجا سائر الغنم.

وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة ، لأن النبي (ﷺ) كان يغلس بها فقراءتها من الليل .

وأما قول علي (عليه السلام) : بشر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله (ﷺ) وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصرة لأنه علم أنه يقتل في فتنة نهروان .

وأما قولك : ان علياً (عليه السلام) قتل أهل صفين مُقبلين ومُدبرين وأجاز على جريحهم وانه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه ، فإن أهل الجمل قتل امامهم ولم تكن لهم فتنة يرجعون إليها وانما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا متناذبين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيها رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه اعواناً .

وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وامام يجمع لهم السلاح: الدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ، يهيء لهم الأنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتل أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم ، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك .

وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بينة وإنما تطوع بالاقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله ان يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله ، أما ما سمعت قول الله : ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ ، قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك^(١) .

وقد أوضحت هذه الرواية الموقع العلمي للإمام (عليه السلام) ومدى تحذيه لعلماء عصره

(١) تحف العقول : ٣٥٢ .

ولاسيما علماء البلاط الذين لا يروق لهم مثل هذا التحدي.

ولهذا قال ابن أكتم للمتوكل بعد ما قرأ هذه الأجوبة: ما نحب أن نسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسألتي هذه وآته لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة^(١).

٤ - توسيع دائرة النفوذ في جهاز السلطة

إن النفوذ الذي نجده للإمام الهادي (عليه السلام) هو النفوذ المعنوي على عامة رجال السلطة بما فيهم من لا يدين بالولاية لأهل البيت (عليهم السلام). وقد كانت أساليب الإمام (عليه السلام) في هذا المجال متنوعة وواسعة فإنه كان مطالباً بالحضور في دار الخلافة بشكل مستمر. ومن هنا كان التعرف على شخص الإمام (عليه السلام) وهديه وسكونه واتزانه أمراً طبيعياً وقر له هذه الفرصة والتي لم يلتفت الحكام الى مدى تبعاتها وآثارها التي تركتها في الساحة الإسلامية العامة ورواد البلاط بشكل خاص.

وقد كانت للإمام (عليه السلام) كرامات شتى كلما دخل وخرج من دار الخلافة. وقد قال أحد ندماء المتوكل للمتوكل: ما يعمل أحد بك أكثر مما تعمله بنفسك في علي بن محمد، فلا يبقى في الدار إلا من يخدمه ولا يتبعونه بشيل ستر ولا فتح باب ولا شيء، وهذا إذا علمه الناس قالوا: لو لم يعلم استحقاقه للأمر ما فعل به هذا، دعه إذا دخل عليه يشيل الستر لنفسه ويمشي كما يمشي غيره فيمسه بعض الجفوة.

فتقدم ألا يخدم ولا يشال بين يديه ستر، وكان المتوكل ما رأى أحداً ممن يهتم بالخبر مثله. قال: فكتب صاحب الخبر إليه: أن علي بن محمد

دخل الدار فلم يخدم ولم يشل أحد بين يديه ستر فهب هواء رفع الستر له فدخل. فقال: اعرفوا حين خروجه، فذكر صاحب الخبر أن هواء خالف ذلك الهواء شال الستر له حتى خرج، فقال: ليس نريد هواء يشيل الستر، شيلوا الستر بين يديه^(١).

كما نجد جملة من الكتاب والحجاب والعيون وحتى السجّان فضلاً عن بعض القادة والأمرء كانوا يدينون بالولاء والحبّ الخاص للإمام الهادي (عليه السلام)، وقد رأينا في قصة مرض المتوكل ونذر أمه للإمام الهادي (عليه السلام)^(٢) ما يدل دلالة واضحة على مدى نفوذ الإمام (عليه السلام) في هذه الأوساط، بينما كان المتوكل قد خطّط لإبعاد الإمام عن شيعته ومحبيه وإذا بالإمام (عليه السلام) يكتسح نفوذه المعنوي أرباب البلاط ويستبصر على يديه مجموعة ممّن لم يكن يعرف الإمام (عليه السلام) أو لم يكن ليواليه، وكان الإمام (عليه السلام) يستفيد من هؤلاء في تحرّكه وارتباطاته التي خطّط للحكّام لمراقبتها أو قطعها وإبعاد الإمام (عليه السلام) عن قواعده وعن الوسط الاجتماعي الذي يريد أن يتحرّك فيه.

(١) مسند الإمام الهادي (عليه السلام): ٣٩.

(٢) راجع بحث تفتيش دار الإمام (عليه السلام) في حكم المتوكل.

الفصل الثاني

الإمام الهادي (عليه السلام) وتكامل بناء الجماعة الصالحة وتحسينها

١- الإمام الهادي (عليه السلام) وقضية حفيده المهدي (عليه السلام)

عرفنا أن قضية الإمام المهدي (عليه السلام) في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) تعدّ قضية أساسية للمسلمين بشكل عام ولأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص والظروف التي كانت تحيط بالإمام الهادي (عليه السلام) كانت تزداد حرجاً كلما اقتربت أيام ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته.

ولابد أن نبحث عن هذه القضية في محورين: الأول منهما خاص بالإمام المهدي (عليه السلام)، والثاني منهما يرتبط بأتباعه وشيعته.

أما المحور الأول، فالإمام الهادي (عليه السلام) مسؤول عن ترتيب التمهيدات اللازمة لولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بحيث يطّلع الأعداء عليها وهم يراقبون بدقة كل تصرفات الإمام الهادي ونشاط ابنه الحسن العسكري (عليه السلام).

وتشير النصوص إلى كيفية تدخّل الإمام الهادي (عليه السلام) لاختيار زوجة صالحة للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بحيث تقوم بالدور المطلوب منها في إخفاء ولادة ابنها المنتظر^(١).

وقد تظافرت نصوص الإمام الهادي (عليه السلام) على أن المهدي الذي ينتظر

(١) راجع القصة في كمال الدين: ٤١٧، ومسند الإمام الهادي: ٩٨ - ١٠٤.

هو حفيده وولد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وأنه الذي يولد خفية ويقول الناس عنه أنه لم يولد بعد، وأنه الذي لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه. وهكذا، وتضمنت هذه النصوص جملة من التعليمات الكفيلة بتحقيق غطاء ينسجم مع مهمة الاختفاء والغيبة من قبل الإمام المهدي (عليه السلام).

ومن أجل تحقيق عنصر الارتباط بالإمام في مرحلة الغيبة الأولى والتي تعرف بالصغرى عمل الإمام على ربط شيعته ببعض وكلائه بشكل خاص وجعله حلقة الوصل بعد كسب ثقة شيعته بهذا الوكيل الذي تولّى مهمة الوكالة للإمام الهادي والعسكري والمهدي (عليه السلام) معاً، وبذلك يكون قد مهّد لسفارة أول سفراء الإمام المهدي (عليه السلام) من دون حدوث مضاعفات خاصة. لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) قد اعتادوا على الارتباط بالإمام المعصوم من خلاله.

وإليك نصوص الإمام الهادي (عليه السلام) حول قضية الإمام المهدي (عليه السلام):

١- الكليني، عن علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن أيوب بن نوح، عن أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال: إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم.

٢- الصدوق قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق؛ وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهما قالا: حدثنا محمد بن هارون الصوفي قال: حدثنا أبو تراب عبد الله بن موسى الزوياني، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنّي قال: دخلت على سيدي علي بن محمد (عليه السلام) فلما بصري قال لي: مرحباً بك يا أبا القسم أنت ولينا حقاً قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً ثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل.

فقال: هات يا أبا القاسم، فقلت: إني أقول: إن الله تبارك وتعالى واحد، ليس

كمثله شيء، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وإنّه ليس بجسم ولا صورة، وعرض ولا جوهر، بل هو مجسم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله خاتم النبيين فلا نبيّ بعده الى يوم القيامة، وإن شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها الى يوم القيامة.

وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم أنت يا مولاي، فقال (عليه السلام): ومن بعدي الحسن ابني فكيف للناس بالخلق من بعده؟ قال: قلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه، ولا يحلّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليّهم ولي الله، وعدوّهم عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله. وأقول: إنّ المعراج حقّ، والمساءلة في القبر حقّ، وإنّ الجنة حقّ، والنار حقّ، والميزان حقّ، ﴿وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها﴾ * وإنّ الله يبعث من في القبور. وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية: الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال علي بن محمد (عليه السلام): يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فائتبه عليه، تبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا و [في الآخرة] (١).

٣- عنه قال: حدثنا أبي (عليه السلام) قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عمر الكاتب، عن علي بن محمد الصيمري، عن علي بن

مهزيار قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) أسأله عن الفرج، فكتب إلي: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج (١).

٤ - عنه قال: حدّثنا أبي (عليه السلام) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثني إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي بن مهزيار، عن علي بن محمد بن زياد قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) أسأله عن الفرج، فكتب إلي: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج (٢).

٥ - عنه قال: حدّثنا أبي (عليه السلام) قال: حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثنا محمد بن عبدالله بن أبي غانم القزويني قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن فارس قال: كنت أنا [ونوح] وأيوب بن نوح في طريق مكة فنزلنا على وادي زباله فجلسنا نتحدّث فجرى ذكر ما نحن فيه وبعد الأمر علينا فقال أيوب بن نوح: كتبت في هذه السنة أذكر شيئاً من هذا، فكتب إلي: إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم (٣).

٦ - عن أبي جعفر محمد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: الخلف بعدي ابني الحسن فكيف بالخلف بعد الخلف؟! فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: انكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه قلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا الحجة من آل محمد (عليه السلام) (٤).

٧ - عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السلام) يقول: الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ

(١) كمال الدين: ٣٨٠.

(٢) كمال الدين: ٣٨١.

(٣) كمال الدين: ٣٨١.

(٤) اثبات الوصية: ٢٠٨.

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^(١).

٨- روى علي بن ابراهيم عن ابيه عن علي بن صدقة عن علي بن عبد الغفار قال : لما مات أبو جعفر الثاني كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر يسألونه عن الآخر فكتب (عليه السلام): (الأمري ما دمت حياً فإذا نزلت بي مقادير الله تبارك وتعالى أتاكم الخلف مني، فأتى لكم بالخلف بعد الخلف؟!)

٩- وروى اسحاق بن محمد بن ايوب قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : صاحب هذا الأمر من يقول الناس لم يولد بعد «^(٢)».

وأما المحور الثاني فهو الأعداد النفسي وتحقيق الاستعداد الواقعي لدور غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) من قبل شيعة الإمام (عليه السلام). وقد حقق الإمام هذا الاستعداد وأخرجه من عالم القوة الى عالم الفعلية بما خططه لشيعة من تعويدهم على الاحتجاب عنهم والارتباط بهم من خلال وكلائه ونوابه، وتوعيتهم على الوضع المستقبلي لئلا يُفاجأوا بما سيطر عليهم من ظروف جديدة لم يألّفوها من ذي قبل.

وكان للإمام الهادي (عليه السلام) أسلوب خاص لطرح إمامة ابنه الحسن العسكري (عليه السلام) بما يتناسب مع مهمته المستقبلية في الحفاظ على حجة الله ووليّه الذي سيولد في ظرف حرج جدّاً، ليتسنى لأتباعه الانقياد للإمام من بعده والتسليم له فيما سيخبر به من وقوع الولادة وتحقيق الغيبة وتحقيق الارتباط به عبر سفيره الذي تعرّفت عليه الشيعة ووثقت به.

ولهذا تفتّن الإمام الهادي (عليه السلام) في كيفية طرح إمامة الحسن (عليه السلام) وزمن طرح ذلك وكيفية الإشهاد عليه.

(١) كمال الدين : ٣٨٣ ح ١٠ وعنه في اعلام الورى : ٢٤٧/٢.

(٢) اعلام الورى: ٢٤٧/٢ الحديث الأخير وقبله .

ومنه يبدو أن التعظيم الإعلامي حتى على إمامة الحسن العسكري (عليه السلام) كان مقصوداً للإمام الهادي (عليه السلام)، فتارة ينفي إمامة غيره وأخرى يكتيه وثالثة يصفه ببعض الصفات التي قد توهم ارادة غيره في بادئ النظر وترشد إليه في نهاية المطاف كما ورد عنه أن هذا الأمر في الكبير من ولدي. حيث إن الكبير هو (محمد) المكنى بأبي جعفر غير أنه قد مات في حياة والده فلم يكن الكبير سوى الحسن (عليه السلام).

وإليك جملة من هذه النصوص التي يمكن تصنيفها بحسب تسلسلها الزماني الى ما صدر من الإمام الهادي (عليه السلام) قبل وفاة أبي جعفر، وما صدر حين وفاته، وما صدر بعدها، وما صدر منه قبيل استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام). ويكفي الاطلاع عليها بتسلسلها التاريخي لنطمئن بتخطيط الإمام الهادي (عليه السلام) من أجل تحصين الجماعة الصالحة من كل إبهام أو تشكيك أو فراغ عقائدي أو انهيار، بعد إيضاح الحق وتبليجه لأهله الذين عرفوا أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهر مشهور أو خائف مستور.

وإليك هذه النصوص كالاتي:

١- عن علي بن عمرو العطار قال : دخلت على أبي الحسن العسكري (عليه السلام) وأبو جعفر ابنه في الاحياء ، وأنا أظن انه هو فقلت : جعلت فداك من أخص من ولدك ؟ فقال : لا تخصوا أحداً حتى يخرج إليكم أمري . قال : فكتبت إليه بعد : فيمن يكون هذا الامر ؟ قال : فكتب إلي : في الكبير من ولدي^(١).

ولا تعني إشارة الإمام إلى ولده أبي جعفر فهو يعلم أنه سيمضي في حياته وسيكون الكبير أبا محمد العسكري (عليه السلام) وهو المؤهل لها دون غيره من إخوته .

(١) أصول الكافي : ١ / ٣٢٦ ح ٧ .

٢- وعن علي بن عمر النوفلي قال : كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) في صحن داره فمرّ محمد ابنه فقلت له جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك ؟ فقال : لا ، صاحبكم بعدي الحسن ^(١).

٣- عن اسحق بن محمد عن محمد بن يحيى بن رثاب قال: حدثني أبو بكر الفهفكي قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عن مسائل فلما نفذ الكتاب قلت في نفسي: إني كتبت فيما كتب أسأله عن الخلف من بعده وذلك بعد مضي محمد ابنه فأجابني عن مسألي: وكنت أردت ان تسألني عن الخلف، أبو محمد ابني اصح آل محمد صلى الله عليه وآله غريزة واوثقهم عقيدة بعدي وهو الاكبر من ولدي إليه تنتهي عرى الامامة واحكامها فما كنت سائلاً عنه فسله فعنده علم ما يحتاج إليه والحمد لله ^(٢).

٤- عن علان الكلابي عن اسحق بن اسماعيل النيشابوري قال حدثني شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كنت رويت دلائل كثيرة عن أبي الحسن (عليه السلام) في ابنه محمد فلما مضى بقيت متحيراً وخفت ان اكتب في ذلك فلا ادري ما يكون فكتبت اسأل الدعاء، فخرج الجواب بالدعاء لي وفي آخر الكتاب: اردت ان تسأل عن الخلف وقلقت لذلك فلا تغتم فإن الله عزوجل لا يضل قوماً بعد ان هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وصاحبك بعدي أبو محمد ابني عنده علم ما تحتاجون إليه يقدم الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء قد كتبت بما فيه تبيان لذي لب يقظان ^(٣).

٥- حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (عليه السلام) قال : حدثنا الصقر بن أبي دلف قال : سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السلام) يقول : ان الإمام بعدي الحسن ابني ، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض

(١) أصول الكافي : ١ / ٣٢٥ ح ٢ .

(٢) اثبات الوصية : ٢٠٨ .

(٣) اثبات الوصية : ٢٠٩ .

قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^(١).

٦ - عن علي بن محمد ، عن محمد بن أحمد النهدي ، عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن (عليه السلام) إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر ، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي^(٢).

٢ - تحصين الجماعة الصالحة وإعدادها لمرحلة الغيبة

إنّ هذا الترصين وإكمال البناء الذي نريد الحديث عنه قد قام به الإمام الهادي (عليه السلام) في كل المجالات التي تهتم الجماعة الصالحة التي سوف تفقد نعمة الارتباط بالإمام المعصوم (عليه السلام) في وقت لاحق وقريب جداً. فلا بد أن يتكامل بناؤها بحيث تكتفي بما لديها من نصوص وتراث علمي وعلماء بالله تعالى يمارسون مهمة الريادة الاجتماعية والفكرية والدينية ويسهرون على مصالح وشؤون هذه الجماعة لتستمر في مسيرتها التكاملية باتجاه الأهداف الرسالية المرسومة لها.

ونلخص هذا التحصين في المجالات التالية:

الف: التحصين العقائدي.

ب: التحصين العلمي.

ج: التحصين التربوي.

د: التحصين الأمني.

هـ: التحصين الاقتصادي

(١) كمال الدين : ٣٨٢ ح ٨ وعنه في اعلام الورى: ٢ / ٢٤٧ .

(٢) أصول الكافي : ١ / ٣٢٥ ح ١ ب النص على إمامة أبي محمد (عليه السلام).

التحصين العقائدي

تمثّل التحصين العقائدي الذي مارسه الإمام (عليه السلام) في تبيان وشرح وتعميق المفاهيم العقائدية بشكل خاص والدينية بشكل عام. كما تمثّل في دفع الشبهات والإثارات الفكرية كانت تتداولها المدارس الفكرية آنذاك.

والنصوص التي أثّرت عن الإمام (عليه السلام) حول الرؤية والجبر والاختيار والتفويض والرد على الشبهات المثارة حول آيات القرآن الكريم تفيد تصدّي الإمام (عليه السلام) لهذا التحصين العقائدي في الساحة الإسلامية العامة والخاصة معاً. ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بالرد على الشبهات العامة بل تصدّى للردّ الخاص على ما كان يثار من تساؤلات خاصة تعرض لافراد من أتباعه أو ممن كان يتوسّم فيهم الإمام (عليه السلام) الانقياد للحقّ كبعض الواقفة الذين اهتمدوا بفضل توجيهات الإمام (عليه السلام).

قال علي بن مهزيار: وردت العسكر وأنا شاكّ في الإمامة فرأيت السلطان قد خرج الى الصيد في يوم الربيع إلّا أنّه صائف والناس عليهم ثبات الصيف وعلى أبي الحسن لباد وعلى فرسه تجفاف لبود وقد عقد ذنب الفرس، والناس يتعجبون منه ويقولون ألا ترون هذا المدني ما قد فعل بنفسه، فقلت في نفسي: لو كان هذا إماماً، ما فعل هذا.

فلما خرج الناس الى الصحراء لم يلبثوا ان ارتفعت سحابة عظيمة هطلت فلم يبق أحد إلّا ابتلّ حتى غرق بالمطر وعاد (عليه السلام) وهو سالم من جميعه، فقلت في نفسي: يوشك أن يكون هو الإمام، ثم قلت: أريد أن أسأله عن الجنب إذا غرق في الثوب فقلت في نفسي: ان كشف وجهه فهو الإمام.

فلما قرب مني كشف وجهه ثم قال: إن كان عرق الجنب في الثوب

وجنابته من حرام لا يجوز الصلاة فيه وإن كان جنابته من حلال فلا بأس. فلم يبق في نفسي بعد ذلك شبهة^(١).

وروى هبة الله بن أبي منصور الموصلي أنه كان بديار ربيعة كاتب نصراني وكان من أهل كفر ثوثة يسمى يوسف بن يعقوب وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافي فنزل عند والدي فقال له: ما شألك قدمت في هذا الوقت؟ قال: دعيت إلى حضرة المتوكل ولا أدري ما يراد مني إلا أنني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار، وقد حملتها علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام) معي فقال له والدي: قد وقفت في هذا.

قال: وخرج إلى حضرة المتوكل وانصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً فقال له والدي: حدثني حديثك، قال: صرت إلى سر من رأى وما دخلتها قط فنزلت في دار وقلت أحب أن أوصل المائة إلى ابن الرضا (عليه السلام) قبل مصيري إلى باب المتوكل وقبل أن يعرف أحد قدومي، قال: فعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب وأنه ملازم لداره، فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا؟ لا آمن أن يبدر بي فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره.

قال: ففكرت ساعة في ذلك فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد ولا أمنعه من حيث يذهب لعلّي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً، قال: فجعلت الدنانير في كاغذة وجعلتها في كمي وركبت فكان الحمار يتخرق الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار، فقيل: هذه

دار ابن الرضا! فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة.

قال: وإذا خادم أسود قد خرج، فقال: أنت يوسف بن يعقوب؟ قلت: نعم. قال: إنزل، فنزلت فأقعدني في الدهليز فدخل، فقلت في نفسي: هذه دلالة أخرى من أين عرف هذا الغلام اسمي وليس في هذا البلد من يعرفني ولا دخلته قط.

قال: فخرج الخادم فقال: مائة دينار التي في كمك في الكاغذ هاتها! فناولته إيّاها، قلت: وهذه ثالثة. ثم رجع إليّ وقال: ادخل فدخلت إليه وهو في مجلسه وحده فقال: يا يوسف ما آن لك؟ فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى.

فقال: هيهات إنك لا تسلم ولكن سيسلم ولدك فلان، وهو من شيعتنا، يا يوسف إن أقواماً يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالكم، كذبوا والله إنها لتنفع أمثالك امض فيما وافيت له فأنك ستري ما تحب. قال: فمضيت الى باب المتوكل فقلت كلّ ما أردت فانصرفت.

قال هبة الله: فلقيت ابنه بعد هذا - يعني بعد موت والده - والله وهو مسلم حسن التشيع فأخبرني أن أباه مات على النصرانية، وأنه أسلم بعد موت أبيه، وكان يقول: أنا بشارة مولاي (عليه السلام) (١).

وروى أبو القاسم البغدادى عن زرارة قال: أراد المتوكل: أن يمشي علي ابن محمد بن الرضا (عليه السلام) يوم السلام فقال له وزيره: إنّ في هذا شناعة عليك وسوء قالة فلا تفعل، قال: لا بد من هذا. قال: فان لم يكن بد من هذا فتقدم بأن يمشي القواد والأشراف كلهم، حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا دون

(١) بحار الأنوار: ١٤٢/٥٠.

غيره، ففعل و مشى (عليه السلام) وكان الصيف فوافى الدهليز وقد عرق. قال: فلقيته فأجلسته في الدهليز ومسحت وجهه بمنديل وقلت: ابن عمك لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجد عليك في قلبك.

فقال: إيهًا عنك ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب﴾.

قال زرارة: وكان عندي معلم يتشيع وكنت كثيراً أمارحه بالرافضي فأنصرف إلى منزلي وقت العشاء وقلت: تعال يا رافضي حتى أحدثك بشيء سمعته اليوم من إمامكم، قال لي: وما سمعت؟ فأخبرته بما قال، فقال: أقول لك فاقبل نصيحتي. قلت: هاتها، قال: إن كان علي بن محمد قال بما قلت فاحترز واخزن كل ما تملكه فإن المتوكل يموت أو يقتل بعد ثلاثة أيام. فغضبت عليه وشمته وطرده من بين يدي فخرج.

فلما خلوت بنفسي، تفكرت وقلت: ما يضرنني أن أخذ بالحزم، فإن كان من هذا شيء كنت قد أخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرنني ذلك، قال: فركبت إلى دار المتوكل فأخرجت كل ما كان لي فيها وفترت كل ما كان في داري إلى عند أقوام أثق بهم، ولم أترك في داري إلا حصيراً أقعد عليه.

فلما كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل وسلمت أنا ومالي وتشيعت عند ذلك، فصرت إليه، ولزمت خدمته، وسألته أن يدعو لي وتوالياً حق الولاية^(١). وبأسناده عنه قال: اجتمعنا أيضاً في وليمة لبعض أهل سر من رأى وأبو الحسن معنا فجعل رجل يعبث ويمزح ولا نرى له أجلاً، فاقبل على جعفر وقال: انه لا يأكل من هذا الطعام وسوف يرد عليه من خبر أهله ما ينقص عليه عيشه، فقدمت المائدة فقال: ليس بعد هذا خبر، وقد بطل قوله فوالله لقد

(١) بحار الأنوار: ١٤٧/٥٠.

غسل الرجل يده وأهوى الى الطعام فإذا غلامه قد دخل من باب البيت يبكي وقال: الحق أُمك فقد وقعت من فوق البيت وهي بالموت فقال جعفر: قلت: والله لا وقفت بعد هذا وقطعت عليه^(١).

الموقف من الغلاة والفرق المنحرفة

ويعتبر موقف الإمام الهادي (عليه السلام) الصارم مع الغلاة خطوة من خطوات التحسين العقائدي للجماعة الصالحة وإبعادها من عوامل الانحراف والزيغ العقائدي الذي ينتهي الى الكفر بالله تعالى أو الشرك به. ويكمن نشاطه (عليه السلام) في فضح حقيقة هذا الخط المنحرف كما تجلّى في فضح عناصره.

والنصوص التي بأيدينا أشارت الى أن الذين عرفوا بالغلو في عصره هم: أحمد بن هلال العبرطائي البغدادي والحسين بن عبيدالله القمي الذي أخرج من قم لآتهامه بالغلو، ومحمد بن أرومة، وعلى بن حسكة القمي، والقاسم اليقطيني، والفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي وفارس بن حاتم القزويني.

وأما كيفية تعامل الجماعة الصالحة، مع هؤلاء فقد بيّنه (عليه السلام) فيما يلي: فعن أحمد بن محمد بن عيسى قال: كتبت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) في قوم يتكلمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب... وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها.. فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمن عليّ مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من هذه الأقاويل

التي تصيرهم إلى العطب والهلاك؟ والذين ادّعوا هذه الأشياء، ادّعوا انهم أولياء، ودعوا إلى طاعتهم منهم علي بن حسكة والقاسم اليعقوبي فما تقول في القبول منهم جميعاً؟

فكتب الإمام الهادي (عليه السلام): «ليس هذا ديننا فاعتزله»^(١)

ظاهرة الزيارة ودورها في التحصين العقائدي

إنّ ظاهرة الاهتمام بالزيارة لأهل البيت (عليهم السلام) جميعاً أو لأحد من الأئمة (عليهم السلام) كالزيارة المعروفة بالجامعة الكبيرة أو زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) هي خطوة مهمة في مجال تعميق الوعي وترسيخ الولاء والانشداد لأهل بيت الرسالة (عليهم السلام) وفي هذا التعميق الواعي والانشداد العاطفي تحصين عقائدي واضح تميّز به الإمام الهادي (عليه السلام).

وحين نقف على جملة المفاهيم التي وردت في هذه الزيارات نلمس بوضوح هذا الخط من التحصين العقائدي فيها.

ولنقف بعض الوقت متأمّلين عند هاتين الزيارتين المأثورتين عن الإمام الهادي (عليه السلام):

أولاً: الزيارة الجامعة الكبيرة

عن موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن

(١) رجال الكشي: ٥١٧ ح ٩٩٤ و ٩٩٥.

أبي طالب (عليه السلام) : علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال (عليه السلام) :

قل: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، ومعدن الرسالة ، وخزان العلم ، ومنتهى الحلم ، وأصول الكرم ، وقادة الأمم ، وأولياء النعم ، وعناصر الأبرار ، ودعائم الأخيار ، وساسة العباد ، وأركان البلاد ، وأبواب الايمان ، وأمناء الرحمن ، وسلالة النبين ، وصفوة المرسلين ، وعتره خيرة رب العالمين ، ورحمة الله وبركاته .

وتعتبر هذه الزيارة من المصادر الفكرية المهمة ومن الوثائق التي نستل منها ملامح التصور السليم.
ولذا نشير الى بعض ما جاء فيها من مفاهيم:

١- اصطفاء أهل البيت (عليهم السلام)

في المقطع الأول الذي بدأت به الزيارة حدّد الإمام (عليه السلام) المعاني التالية :

أ - ان الله اختص أهل البيت (عليهم السلام) بكرامته فجعلهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي .

ب - ان هذا الجعل الإلهي نابع من الصفات الكمالية التي يبلغون القمة فيها كالعلم والحلم والكرم والرحمة .

ج - إنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم موضع الرسالة لأنّ الله قد اختارهم لمنصب القيادة العليا للبشرية فضلاً عن قيادة المسلمين .

٢- حركة أهل البيت (عليهم السلام)

وقال الإمام الهادي (عليه السلام): «السلام على أئمة الهدى؛ ومصايح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النهى، وأولي الحجى، وكهف الورى، وورثة الانبياء، والمثل الاعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على اهل الدنيا والآخرة والاولى ورحمة الله وبركاته، السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، واوصياء نبي الله، وذرية رسول الله (ﷺ) ورحمة الله وبركاته. السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضات الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته».

وقد دل هذا النص على ما يلي:

أ- في المسيرة البشرية ينفرز دائماً خطان هما خط الهدى وخط الضلالة ولكل من الخطين قيادته، وأئمة أهل البيت هم أئمة الهدى اما غيرهم ممن يتصدى للإمامة مخالفاً لخط الهدى فهو من أئمة الضلال فلذلك لا يكون التلقي إلا منهم ولا يكون نهج التحرك إلا نهجهم.

ب- اما واقع الأئمة فهم ذوو العقول التامة وكهف الورى وورثة الانبياء والمثل الاعلى والدعوة الحسنى التي يحتذى بها.

ج- ان حركة أهل البيت حركة اسلامية اصيلة ذات جذور ضاربة في الأعماق وهي استمرار المسيرة النبوية الراشدة وكل حركة تدعي المنهج الديني أو الاصلاح الدنيوي ولا تسير على خطاهم فهي منحرفة. فأهل البيت (عليهم السلام) محل معرفة الله، ومساكن بركته، ومعادن حكمته، وحفظة سره، وحملة كتابه، وأوصياء نبيه.

د- إن الدعوة مظاهر اصالة أهل البيت في المسيرة الإلهية كما يلي:

- ١- أنهم الدعاة إلى الله والأدلاء على مرضاته .
- ٢- ويتميزون بالثبات على أمر الله .
- ٣- كما يتميزون بالحب التام لله .
- ٤- والاخلاص في التوحيد .
- ٥- والالظهار لشعائر الله من أمره ونهيه .
- ٦- وعدم سبق الله بقول، والعمل بأمره .

٣- الأسس الفكرية للتشيع

ويمكن ان نحدد نقاطاً توضح الأسس الفكرية التي تقوم عليها دعوة أهل البيت والتي يجب ان تسير الحركة الشيعية عليها وتلتزم بحدودها من خلال قوله (عليه السلام) :

« السلام على الأئمة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحماة، وأهل الذكر، وأولي الأمر، وبقية الله وخيرته، وحزبه وعيبه علمه، وحجته وصراطه، ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته .

أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولوا العلم من خلقه لا إله إلا هو العزيز الحكيم وأشهد أن محمداً عبده المنتخب ورسوله المرتضى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأشهد انكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته.

اصطفاكم بعلمه وارضاكم لغيبه واختاركم لسره واجتباكم بقدرته واعزكم بهداه وخصكم ببرهانه وانتجبكم لنوره وأيدكم بروحه ورضيتكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وانصاراً لدينه وحفظة لسره وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوجيه واركاناً لتوحيده وشهداء على خلقه واعلاماً لعباده ومناراً في بلاده وادلاء على صراطه.

عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً.

فعظمت جلاله واكبرتم شأنه ومجدتم كرمه وادتم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتم عقد طاعته ونصحتم له في السر والعلانية ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وبذلتم أنفسكم في مرضاته وصبرتم على الأذى في جنبه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر وجاهدتم في الله حق جهاده حتى أعلنتم دعوته ويستم فرائضه وأقمتم حدوده ونشرتكم شرايع احكامه وسنتم سنته وصرتم في ذلك منه إلى الرضا وسلمتم له القضاء وصدقتم من رسله من مضى .

إن العناصر الفكرية الأساسية للتشيع والتي تستفاد من هذا النص هي:

١- الإيمان بالله وحده لا شريك له .

٢- محمد عبده المنتخب ورسوله المرتضى .

٣- الأئمة هم بشر راشدون مهديون معصومون مكرمون وقيمتهم نابعة من تكريم الله لهم .

على أن الجانب العملي لحركة الأئمة هو كما يلي:

١- تعظيم الله واكبار شأنه وتمجيد كرمه .

٢- توكيد ميثاقه وإحكام عقد طاعته .

٣- النصح له بالسر والعلن .

٤- الدعوة له بالحكمة والموعظة الحسنة .

٥- التضحية المستمرة في سبيل الله ببذل النفس والصبر على المكروه .

٦- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وممارسة باقي العبادات والحدود الإسلامية .

٧- الحفاظ على سلامة الشريعة من التحريف .

٨- التسليم بالقضاء والقدر .

٩- التأکید على وحدة المسيرة النبوية وتصديق الرسل .

٤ - الموالون لأهل البيت (عليه السلام)

ويبين الإمام أنّ هناك صنفين من الناس قسم يوالي أهل البيت (عليه السلام) فيسير في طريق الهدى وآخر يوالي اعداءهم فيسير في طريق الضلال، قال (عليه السلام) :

« فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق.

والحق معكم وفيكم ومنكم واليكم وانتم اهله ومعدنه وميراث النبوة عندكم وإياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائم فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره اليكم .

مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ وَمَنْ أَحْبَبَكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ ابْغَضَكُمْ فَقَدْ ابْغَضَ اللَّهَ وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ . فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ.

وانتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة والآية المخزونة والامانة المحفوظة والباب المبتلى به الناس.

مَنْ أَتَاكُمْ نَجَى وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ .

إلى الله تدعون وعليه تدلون وبه تؤمنون وله تسلمون وبأمره تعملون وإلى سبيله ترشدون ويقول له تحكمون.

سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَازَ مَنْ تَمَسَكَ بِكُمْ وَأَمَّنْ مِنْ لَجَأَ الْيَكْمِ وَسَلِمَ مِنْ صَدَقَكُمْ وَهَدَى مِنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ.

من اتبعكم فالجنة مأواه ومن خالفكم فالنار مثواه ومن جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك ومن رد عليكم في اسفل درك من الجحيم».

الحقيقة الثانية: إنّ الموالي لأهل البيت (عليه السلام) يعلم قيمتهم الحقيقية عند الله لذلك نجده يقول (عليه السلام) :

« أشهدُ أنَّ هذا سابق لكم فيما مضى وجار لكم فيما بقي وإن ارواحكم ونوركُم وطينتكم واحدة طابت وظهرت بعضها من بعض .

خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محدقين حتى مَنَّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذنَ الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه .

وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا فكنا عنده مسلمين بفضلكم ومعروفين بتصديقنا إياكم» .

الحقيقة الثالثة: الرغبة في انتشار امرهم وتشعشع فضلهم فلا يبقى خير إلا وأضاءه نورهم الشريف .

« فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطعم في ادراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنيء ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة امركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمايم نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه . »

الحقيقة الرابعة: الاقرار الدائم بمعتقدات أهل البيت (عليهم السلام) والعمل بموجبها :

« بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي أشهد الله وأشهدكم اني مؤمن بكم وبما آمنتم به ، كافر بعدوكم وبما كفرتم به ، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم موال لكم ولأوليائكم مبغض لاعدائكم ومعاد لهم سلِّم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم محقق لما حققتكم مبطل لما ابطلتكم مطيع لكم عارف بحقوقكم مرف بفضلكم محتمل لعلمكم» .

ومن مصاديق الإيمان بقضية أهل البيت قول الإمام (عليه السلام) :

« محتجب بدمتكم ومعترف بكم مؤمن بإيابكم مُصدّق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم آخذ بقولكم عامل بأمركم مستجير بكم زائر لكم عائد بقبوركم مستشفع إلى الله عزوجل بكم ومتقرب بكم إليه ومقدمكم امام طلبتي وحوائجي وارادتي في كل احوالي وأموري مؤمن بسرهم وعلايتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم ومفوض في ذلك كله اليكم ومسلم فيه معكم وقلبي لكم مسلم ورأيي لكم تبع ونصرتي لكم مُعَدَّة حتى يحيي الله تعالى دينه بكم ويردّكم في ايامه ويظهركم لعدله ويُمكنكم في ارضه فمعكم معكم لا مع غيركم آمنت بكم وتوليت آخركم بما توليت به أولكم وبرئت إلى الله عزوجل من اعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم الجاحدين لحقّكم والمارقين من ولايتكم الغاصبين لإرثكم الشاكن فيكم المنحرفين عنكم ومن كل وليجة دونكم وكل مطاع سواكم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار.

فثبتني الله ابداً ما حبيت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم ووفقتي لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتهم إليه وجعلني ممن يقتض آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهديكم ويحشر في زمركم ويكرّ في رجعتكم ويُملّك في دولتكم ويشرف في عافيتكم ويُمكن في ايامكم وتقر عينه غداً برؤيتكم .
بأبي أنتم وأمي ونفسي واهلي ومالي من اراد الله بدأ بكم ومن وحدّه قبل عنكم ومن قصده توجه بكم.

موالي لا أحصي ثناءكم ولا بلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وانتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار.

بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء ان تقع على الارض إلا باذنه وبكم يُنقّس الهم ويكشف الضر.

وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته والى جدّكم بُعث الروح الامين، آتاكم الله ما لم يُؤت احدًا من العالمين.

طأطأ كل شريف لشرفكم وبخع كل متكبر لطاعتكم وخضع كل جبار لفضلكم وذل كل شيء لكم واشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم بكم يُسلك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن.

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي ذكركم في الذاكرين واسماؤكم في الأسماء وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور فما أحلى اسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجل خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم.

كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيتكم الكرم وشأنكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكم ورأيكم علم وحلم وحزم، إن دُكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

بأبي انتم وأمي ونفسي كيف أصف حسن ثنائكم واحصي جميل بلائكم وبكم أخرجنا الله من الذل وفَرَج عنا غمرات الكروب وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار.

بأبي أنتم وأمي ونفسي بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا وبموالاتكم تَمَّت الكلمة وعظمت النعمة وائتلفت الفرقة وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عز وجل والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا انزلت واتبعنا الرسول فاكْتَبْنَا مع الشاهدين ﴾ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ اذْهَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا اِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ .

يا أولياء الله ان بيني وبين الله عز وجل ذنباً لا يأتي عليها إلا رضاكم فبحق من اتئتمكم على سره واسترعاكم امر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبي وكتمتم

شفعائي فأني لكم مطيع.

من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله ومن أحبكم فقد أحب الله ومن أبغضكم فقد أبغض الله.

اللهم اني لو وجدت شفعاء اقرب اليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الابرار لجعلتهم شفعاي فبحقهم الذي اوجبت لهم عليك اسألك ان تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومن هذه الفقرات نستلهم النقاط التالية :

١ - ضرورة الإيمان بآياهم وقيام دولتهم .

٢ - أهمية زيارة قبورهم .

٣ - أهمية الإيمان بالرجعة .

٤ - أهمية الايمان بسرهم وعلايتهم .

٥ - ضرورة الاستعداد لنصرة دولتهم لحد التمكين في الارض .

٦ - ضرورة البراءة من عدوهم .

٧ - فرح المؤمن بما رزقه الله على يد أهل البيت .

٨ - إن وحدة المسلمين السليمة لا تتم إلا تحت لوائهم (عليه السلام) .

٩ - إن الايمان بهم لا يكون عاطفياً بل يكون عن وعي وادراك وبحث

وتمحيص^(١).

(١) منهاج التحرك عند الإمام الهادي : ١١٣ - ١٢٠ .

ثانياً - زيارة الغدير

من أهم زيارات الأئمة الطاهرين - عند الشيعة الإمامية - زيارة الغدير فقد اهتموا بها اهتماماً بالغاً ، لأنها رمز لذلك اليوم الخالد في دنيا الاسلام ، ذلك اليوم الذي قرّر فيه الرسول (ﷺ) المصير الحاسم لأئمة ، فنصب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة على المسلمين .

وقد زار الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) جدّه أمير المؤمنين في السنة التي أشخصه فيها المعتصم من يشرب إلى سر من رأى^(١).

نعم زاره بهذه الزيارة التي هي من أروع وأجل الزيارات ، فقد تحدّث فيها عن فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وما عاناه في عصره من المشاكل السياسية والاجتماعية.

وإليك بعض ما حفلت به هذه الزيارة التي هي من ملاحم أهل البيت (عليهم السلام) :

١ - تحدّث الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) في زيارته (الغديرية) عن أنّ جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أسلم وآمن بالله واستجاب لدعوة نبيه ، قال (عليه السلام) مخاطباً جدّه :

« وأنت أول من آمن بالله وصلّى له ، وجاهد ، وأبدى صفحته في دار الشرك ، والارض مشحونة ضلالة والشیطان يعبد جهرة... » .

لقد تضافرت الأخبار بأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أذعن لرسالة خاتم النبيين ، واستجاب لنداء الله ودعى الى دين الله بعد رسول الله ، فقد روى ابن اسحاق ، قال :

(١) مفاتيح الجنان : ٣٦٣ .

كان أول ذكر آمن برسول الله (ﷺ) وصلى معه ، وصدق بما جاءه من عند الله علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يومئذ ابن عشر سنين^(١).

وروى الطبراني بسنده عن أبي ذر قال : أخذ رسول الله (ﷺ) بيد علي (عليه السلام) فقال : «هذا أول من آمن بي وأول من يصفحني يوم القيامة...»^(٢).

وقال رسول الله (ﷺ) لعائشة : «هذا علي بن أبي طالب أول الناس إيماناً»^(٣). وكثير من أمثال هذه الاخبار قد اعلنت ذلك .

٢ - وتحدث الإمام (عليه السلام) في زيارته عن جهاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبسالته وشجاعته وصموده في الحروب قائلاً :

« ولك المواقف المشهودة ، والمقامات المشهورة ، والأيام المذكورة يوم بدر ، ويوم الأحزاب ﴿... وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ هنالك أبتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم بها فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان يوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴿...﴾^(٤).

وقال الله تعالى : ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾^(٥).

فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ، ويوم أحد اذ يصعدون ولا يلبون على احد والرسول يدعوهم في أصرهم وانت تذود بهم المشركين عن النبي (ﷺ) ذات اليمين

(١) السيرة النبوية، ابن اسحاق : ٢٦٢/١ وعنه في الطبري : ٣١٢/٢.

(٢) فيض القدير : ٣٥٨ / ٤ .

(٣) الاستيعاب : ٧٥٩ / ٢ .

(٤) الأحزاب (٣٣) : ١٠ - ١٣ .

(٥) الأحزاب (٣٣) : ٢٢ .

وذات الشمال حتى ردهم الله تعالى عنها خائفين ونصرك الخاذلين.

ويوم حنين على ما نطق به التنزيل ﴿ اذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ . والمؤمنون انت ومن يليك ، وعمك العباس ينادي المنهزمين يا أصحاب سورة البقرة ، يا أهل بيعة الشجرة ، فاستجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة وتكلفت دونهم المعونة ، فعادوا آيسين من المثوبة ، راجين وعد الله تعالى بالتوبة ، وذلك قول الله جل ذكره : ﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ . وأنت حائز درجة الصبر ، فائز بعظيم الأجر .

ويوم خيبر اذ اظهر الله خور المنافقين ، وقطع دابر الكافرين - والحمد لله رب العالمين - ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسؤولاً .
واضاف الإمام قائلاً : وشهدت مع النبي (ﷺ) جميع حروبه ومغازيه ، تحمل الراية امامه ، وتضرب بالسيف قدامه ، ثم لحزمك المشهور وبصيرتك في الأمور أترك في المواطن ، ولم يكن عليك أمير... » .

٣- وعرض الإمام في زيارته إلى مبيت الإمام على فراش النبي (ﷺ) ، ووقايته له بنفسه حينما اجمعت قريش على قتله ، فكان الإمام الفدائي الأول في الاسلام ، يقول (عليه السلام) :

« وأشهدت في البيات على الفراش الذبيح (عليه السلام) اذ أجبت كما أجاب ، وأطعت كما أطاع اسماعيل محتسباً صابراً اذ قال : ﴿ يابني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ .
وكذلك انت لما أباتك النبي (ﷺ) وأمرتك ان تضطجع في مرقده واقياً له بنفسك اسرعت إلى اجابته مطيعاً ، ولنفسك على القتل موطناً فشكر الله تعالى طاعتك وأبان من جميل فعلك بقوله جل ذكره : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾ (١) .

(١) راجع حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ١٤٠ - ١٤٧ .

التحسين العلمي

إنّ النقطة الجوهرية لتحقيق ورفع المستوى العلمي الذي تحتاجه الجماعة الصالحة هي تربية العلماء والكفاءات العلمية المتخصصة في مختلف الفروع العلمية الإسلامية. ثمّ إعطاء العلماء بالشرعية الدور المتميز في المجتمع الإسلامي. وهذا ما سار عليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بلا استثناء.

وتتميز عصر الإمام الهادي (عليه السلام) بأنه العصر الممهد لعصر الغيبة حيث ينقطع الناس عن إمامهم ولا يبقى للناس أيّ ملجأ فكريّ وديني سوى العلماء بالله الأئمة على حلاله وحرامه.

ومن هنا كان اهتمام الإمامين العسكريين بالعلماء بليغاً جداً حيث عبّر عنهم بأنهم الكافلون لأيتام آل محمد، وكان التبجيل والإجلال في سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) لمثل هؤلاء العلماء ملفتاً للنظر جداً^(١).

ومن يقرأ تراث الإمام الهادي (عليه السلام) يلاحظ استمرار العطاء العلمي في هذا العصر الى جانب الاهتمام بايضاح المنهج العلمي الذي كان يبتغيه أهل البيت (عليهم السلام) والتصدي منهم لتعميقه.

وتكفي قراءة سريعة لرسالة الإمام الهادي (عليه السلام) الى أهل الأهواز لتلمس مدى اهتمامه (عليه السلام) بالتأصيل النظري وبالتربية على سلوك المنهج العلمي السليم^(٢).

(١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) راجع الفصل الرابع من الباب الرابع، رسالة الإمام الى أهل الأهواز.

التحصين التربوي

بالرغم من كل الظروف التي فرضت على الإمام الهادي (عليه السلام) لعزله عن شيعته ومحبيه فإننا نجد الإمام (عليه السلام) يمارس مسؤولياته التربوية بكل ما يتسنى له من الوسائل التي تكون أبلغ في التأثير، فهو تارة يدعو لبعض شيعته ويتوجه الى الله ليقضي حوائجهم، وأخرى يلبي حاجاتهم المادية فيسعفهم بمقدار من المال. وثالثة يباشرهم بالكلام الصريح حول المزالق التي تنتظرهم. فهذا أخوه موسى الذي نصب له المتوكل مصيدة ليوقعه فيما هو غير لائق به ويفضحه ويفضح أخاه الإمام الهادي (عليه السلام) يتصدى الإمام بنفسه ليواجهه قبل أن يلتقي بالمتوكل ويحاول أن يبصره بحقيقة ما ينتظره من مخاوف وأخطار معنوية^(١).

وفي أكثر من مورد يبادر الإمام (عليه السلام) لتقديم تجربة حسية يعيش من خلالها اتباعه معنى التوجه الى الله واللجأ إليه في المهمات ثم يبصرهم بعد ذلك أهمية هذا المبدأ.

فعن أبي محمد الفخام بالإسناد عن أبي الحسن محمد بن أحمد قال: حدثني عم أبي قال: قصدت الإمام يوماً فقلت إن المتوكل قطع رزقي وما اتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك، فينبغي أن تتفضل عليّ بمسألته فقال: تكفي إن شاء الله فلما كان في الليل طرقتني رسل المتوكل رسولاً يتلو رسولاً، فجنّت اليه فوجدته في فراشه فقال: يا أبا موسى تشغل شغلي عنك وتنسينا نفسك أي شيء لك عندي؟

فقلت: الصلة الفلانية، وذكرت أشياء فأمر لي بها وبضعفها، فقلت للفتح وافي عليّ بن محمد الى هيهنا وكتب رقعة؟ قال: لا، قال: فدخلت على الإمام فقال لي: يا أبا موسى هذا وجه الرضا، قلت: يا سيدي ولكن قالوا أنك ما مضيت

(١) راجع الكافي: ٥٠٢/١.

إليه ولا سألت قال: إن الله تعالى علم منا أن لا نلجأ في المهمات إلا إليه ولا نتوكل في الملمات إلا عليه وعودنا إذا سألناه الإجابة ونخاف أن نعدل فيعدل.

وعن علي بن جعفر قال: عرضت مؤامرتي على المتوكل فأقبل عليّ عبيد الله ابن يحيى فقال: لا تتعبن نفسك، فإنّ عمر بن أبي الفرج أخبرني أنه رافضي فانه وكيل علي بن محمد، فأرسل عبيد الله إليّ فعرّفني أنه قد حلف ألا يخرجني من الحبس إلا بعد موتي بثلاثة أيام.

قال فكتب الى أبي الحسن: ان نفسي قد ضاقت وقد خفت الزيف، فوقّع إلي: اما إذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا، فسأقصد الله تبارك وتعالى فيك. فما انقضت أيام الجمعة حتى خرجت من الحبس^(١).

ويمكن تلخيص المنهج العام للتربية وبناء الذات عند الإمام الهادي (عليه السلام) بما يلي:

- ١ - التوجيه التربوي من خلال الأحاديث التربوية التي تقدّم للإنسان أهم المفاهيم التربوية^(٢).
- ٢ - التأكيد على طاعة الله تعالى.
- ٣ - التأكيد على أهمية التوجه الى الله في الحوائج وعدم طلب الحوائج من غيره^(٣).
- ٤ - أهمية الدعاء والالتزام به في بلورة روح التوحيد والتوكل على الله.
- ٥ - الدعاء للمؤمنين.
- ٦ - السعي في قضاء حوائجهم.
- ٧ - الربط العاطفي بالقُدوة الصالحة المتمثلة في أهل البيت (عليهم السلام) من خلال زياراتهم ودراسة سيرتهم.

(١) راجع مسند الإمام الهادي (عليه السلام): ١١٢ و ١٢١.

(٢) راجع ترائه التربوي والأخلاقي في الفصل الأخير من الباب الرابع.

(٣) راجع تحف العقول : ٣٦١، وكشف الغمة : ١٧٦/٣.

وأما دعاؤه للمؤمنين وسعيه في قضاء حوائجهم فيشهد له ما يلي:

١- ما مر من أن الإمام (عليه السلام) أجاب على كتاب عمر بن أبي الفرج إليه بأنّ نفسي قد ضاقت وقد خفت الزيف فوق الإمام (عليه السلام) إليه: أما إذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا فسأقصد الله تبارك وتعالى فيك. فما انقضت أيام حتى خرج من الحبس^(١).

٢- روى المجلسي عن الخرائج: روى عن محمد بن الفرج أنه قال: إن أبا الحسن كتب إليّ: أجمع أمرك، وخذ حذرک، قال: فأنا في جمع أمري لست أدري ما الذي أراد فيما كتب به إليّ حتى ورد عليّ رسول حملني من مصر مقيداً مصقداً بالحديد، وضرب على كلّ ما أملك.

فمكث في السجن ثماني سنين ثم ورد عليّ كتاب من أبي الحسن (عليه السلام) وأنا في السجن «لا تنزل في ناحية الجانب الغربي» فقرأت الكتاب فقلت في نفسي: يكتب إليّ أبو الحسن (عليه السلام) بهذا وأنا في الحبس إنّ هذا العجيب! فما مكث إلا أياماً يسيرة حتى أفرج عني، وحلّت قيودي وخليّ سبيلي.

ولما رجع الى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن (عليه السلام) وخرج الى سّر من رأى.

قال: فكتبت إليه بعد خروجي أسأله أن يسأل الله ليردّ عليّ ضياعي فكتب إليّ سوف يردّ عليك، وما يضرّك أن لا تردّ عليك.

قال علي بن محمد النوفلي: فلما شخص محمد بن الفرج الى العسكر كتب له بردّ ضياعه، فلم يصل الكتاب إليه حتى مات^(٢).

وقضاء حوائج المؤمنين بالإضافة الى دوره التربوي يعدّ خطوة من خطوات التحصين الاقتصادي لهم، حيث يشكّل عاملاً من عوامل استقلالهم وعدم اضطرارهم للخضوع الى كثير ممّا يستدلّ به الحكام رعيّتهم.

(١) مسند الإمام الهادي (عليه السلام): ١٢١.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٠/٥٠.

التحصين الأمني

لقد مارس الإمام الهادي (عليه السلام) وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه والراعي لمصالحهم بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بالامام (عليه السلام) وبشيعة من تتبع السلطة لهم ومطاردتهم وفرض الإقامة الجبرية على الإمام بعد اشخاصه من المدينة إلى سامراء ليكون قريباً من السلطان وتحت رقابته ، وتتجلى لنا مواقف الإمام (عليه السلام) في هذا الاتجاه في المحافظة التامة على شيعة ورعاية مصالحهم الخاصة والعامة وقضاء حوائجهم وتحذيرهم مما تحوكه السلطة ضدهم ، وما يجب أن يتخذوه من حيلة وكتمان لنشاطهم واتصالاتهم حتى لا يقعوا في حبال السلطة الغاشمة التي كانت تتربص بهم وبالإمام (عليه السلام) الدوائر .

إن وصايا الإمام (عليه السلام) لأتباعه تظهر مدى اهتمامه بما يجري في الساحة أولاً ، ومدى قربه من الأحداث العامة والخاصة ثانياً . وكانت أوامره تصل الجماعة الصالحة بشكل دقيق وسريع بل قد تكون سابقة للأحداث في بعض الأحيان لتتمكن تلك الجماعة من تجاوز ما يحاك ضدها . كما ان اجراءات الإمام وأساليبه كانت مظهراً لعمل حركي وتنظيمي وعلى درجة عالية من الدقة والتخطيط ، وهذا ما تكشفه لنا خطابات الإمام (عليه السلام) إلى شيعة والتي كانت تحمل بين طياتها ادوات ووسائل مختلفة ومتعددة لمواجهة الظروف التي تحيط بها . وإليك بعض أساليبه ووسائله وتعليماته الخاصة بهذا الصدد:

أ- الحذر من تدوين الأمور

كان الإمام (عليه السلام) يحذر اصحابه من تدوين وكتابة بعض الأمور وخصوصاً ما كان يتعلق بعلاقات ووضع الجماعة الصالحة ومواقفها ، فعن داود الصرمي قال : أمرني سيدي بحوائج كثيرة فقال (عليه السلام) لي : قل كيف تقول ؟ فلم احفظ مثل ما قال لي ، فمدّ الدواة وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم اذكره ان شاء الله والأمر بيد الله» ، فتبسمت ، فقال (عليه السلام) : ما لك ؟ قلت : خير ، فقال اخبرني ؟ قلت جعلت فداك ذكرت حديثاً حدثني به رجل من اصحابنا عن جدك الرضا (عليه السلام) إذا أمر بحاجة كتب بسم الله الرحمن الرحيم ، اذكر ان شاء الله فتبسمت ، فقال (عليه السلام) لي : يا داود ولو قلت : إن تارك التقية تترك الصلاة لكنت صادقاً^(١).

فالإمام (عليه السلام) هنا يربط الكتمان والحذر بمفهوم اسلامي وهو «التقية» والتي وردت بها احاديث وآيات كريمة كقوله تعالى : ﴿إلا أن تقتفوا منهم تقاة﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ ، وهي الآية التي نزلت في قضية عمار بن ياسر (رضي الله عنه) حيث عذّبه المشركون في مكة لكي ينال من الرسول ويتركوه ، ثم جاء الى الرسول (ﷺ) فقال له : ان عادوا فعد. فلم تكن أوامر الإمام (عليه السلام) بهذا الصدد فقط خشية من انكشافها بل إنه طرحها تأكيداً لهذا المفهوم الذي عرفت به الشيعة منذ نشوئها امثالاً لوصايا الأئمة (عليهم السلام) والقرآن الكريم .

(١) مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٠١ .

ب - تغيير الاسماء

كان الإمام (عليه السلام) يذكر في توقيعاته إلى بعض أصحابه وينسبهم إلى عبيد ابن زرارة وكانوا قد عرفوا ببني الجهم وهم من أكابر بيوت الشيعة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام)، فعن الزراري (أحدهم) قال: إن ذلك تورية وستراً من قبل الإمام (عليه السلام) ثم اتسع ذلك وسمّينا به وكان (عليه السلام) يكتبه في أمور له بالكوفة وبغداد (١).

ج - التحذير من الحديث في الأماكن العامة

كان الإمام (عليه السلام) يمنع بعض أصحابه من الحديث والمساءلة في الطريق وغيره من الأماكن التي يكون فيها عيون للسلطان .
فعن محمد بن شرف قال : كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) أمشي في المدينة فقال لي : ألسنت ابن شرف ؟ قلت بلى ، فأردت أن أسأله عن مسألة فابتدأني من غير أن أسأله فقال : « نحن على قارعة الطريق وليس هذا موضع مسألة ».

د - النفوذ في جهاز السلطة

لقد استولى بنو العباس على السلطة وتولّوا أمر الأمة بالقهر والغلبة بعد سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ)، وعاثوا في الأرض الفساد حيث استشرى أمرهم فكان القتل والتشريد وابتزاز الأموال على قدمٍ وساق ولم تكن حكومتهم ذات شرعية إسلامية ، ومن هنا كان العمل معهم غير مشروع ، وقد كتب محمد بن علي بن عيسى - أحد أصحاب الإمام (عليه السلام) - إلى

(١) تاريخ الكوفة : ٣١٣.

الإمام الهادي (عليه السلام) يسأله عن العمل لبني العباس وأخذ ما يتمكن من أموالهم، هل فيه رخصة؟ فقال (عليه السلام): «ما كان المدخل فيه بالجبر والقهر فالله قابل به العذر، وما خلا ذلك فمكروه، ولا محالة قليله خير من كثيره، وما يكفر به ما يلزمه فيه من يرزقه ويسبب على يديه ما يسرك فينا وفي موالينا».

ولما وافى كتاب الإمام (عليه السلام) إلى محمد بن علي بن عيسى بادر فكتب للإمام (عليه السلام):

«ان مذهبي في الدخول في امرهم وجود السبيل إلى ادخال المكروه على عدوه وانبساط اليد في التشفي منهم بشيء أتقرب به إليهم، فأجاب الإمام (عليه السلام) من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً بل أجراً وثواباً»^(١).

لقد وضع الإمام (عليه السلام) في النصين أعلاه ضوابط العمل مع السلطان الجائر التي تتلخص في توفير وسيلة لإضعاف الظالمين أو تحقيق خدمة لمواليه المظلومين.

نظام الوكلاء

بعد أن أكد الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على دورهم القيادي الديني في أوساط الجماعة الصالحة وأوضحوا أهمية الولاء لهم، وأخذت تتسع الرقعة الجغرافية لأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، واحتاجوا الى من يلتي حاجاتهم الدينية ويكون حلقة وصل بينهم وبين أئمتهم (عليهم السلام) بادر الأئمة (عليهم السلام) الى تعيين الوكلاء المعتمدين لهم في مختلف المناطق وأرجعوا اليهم أتباعهم.

(١) مستطرفات السرائر: ٦٨ ح ١٤ وعنه في وسائل الشيعة ١٧: ١٩ ح ٩ ب ٤٥، وسائل الشيعة: ١٢ / ١٣٧.

والمهام التي تولّاها الوكلاء لهم تمثّلت في بيان الأحكام الشرعية والمواقف السياسية والاجتماعية، وتوجيه النصائح الأخلاقية والتربوية، واستلام الحقوق الشرعية وتوزيعها، وفصل النزاعات وتولّي الأوقاف وأمور القاصرين الذين لا وليّ لهم.

وتعتبر الوثيقة أو العدالة شرطاً أساسياً في الوكيل فضلاً عن إيمانه ومعرفته بأحكام الشريعة وشؤونها، ولباقة السياسية وقدرته على حفظ أسرار الإمام وأتباعه من الحكّام وعيونهم.

والوكلاء منهم من يرتبط بالإمام (عليه السلام) بشكل مباشر ومنهم من يرتبط به بواسطة وكيل آخر يعتبر محوراً لمجموعة من الوكلاء في مناطق متقاربة.

ويعود تاريخ تأسيس هذا النظام الى عصر الإمام الصادق (عليه السلام) أو من سبقه من الأئمة (عليهم السلام) غير أنه قد اتّسع نطاقه وبدأ يتكامل بعد عصر الإمام الصادق (عليه السلام) نظراً للتطورات السياسية والمشاكل الأمنية التي أخذت تحيط بالجماعة الصالحة وتهدد وجودهم وكيانهم.

ومنذ عصر الإمام الجواد (عليه السلام) وحتى ابتداء الغيبة الصغرى كان لهذا النظام دور فاعل وكبير جداً في حفظ كيان الجماعة الصالحة ووقايتها من التفتت والانحيار.

وبفضل هذا النظام والعناصر الفاعلة فيه أصبح الانتقال الى عصر غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ميسوراً، وقلّت المخاطر الناشئة من ظاهرة الغيبة للإمام المعصوم الى حدّ كان نظام الوكلاء بكل خصائصه قد تطوّر الى نظام النيابة الخاصة في عصر الغيبة الصغرى فكان السفير هو النائب الخاص الذي يقوم بدور الإمام الموجه لمجموعة الوكلاء... وهو الذي يقوم بدور الوساطة بين الإمام والوكلاء وبين الإمام وأتباع الإمام عبر هؤلاء الوكلاء.

أما مناطق النفوذ ومناطق تواجد الوكلاء، ففي الحجاز كانت المدينة

ومكة واليمن، وفي العراق، كانت الكوفة وبغداد وسامراء وواسط والبصرة، وفي إيران كانت خراسان الكبرى - بما فيها نيسابور وبيهق وسبزوار وبخارا وسمرقند وهرات، وقم وآوه والري وقزوین و همدان وآذربایجان وقرميسين والأهواز وسيستان وبست، وفي شمال افريقيا كانت مصر أيضاً من مناطق تواجد أتباع أهل البيت (عليه السلام) التي استقر فيها وكلاؤهم وقاموا بدور همزة الوصل المهمة وحققوا بذلك جملة من مهام الأئمة (عليه السلام).

وكلاء الإمام الهادي (عليه السلام)

قد وقفنا على أسماء جملة من وكلاء الإمام الهادي (عليه السلام) في مختلف المناطق وهم:

- ١- إبراهيم بن محمد الهمداني.
- ٢- أبو علي بن راشد.
- ٣- أحمد بن إسحاق الرازي.
- ٤- علي بن جعفر الوكيل.
- ٥- محمد بن إبراهيم بن مهزيار.
- ٦- الحسين بن عبدربه.
- ٧- أبو علي بن بلال.
- ٨- أيوب بن نوح.
- ٩- جعفر بن سهيل الصيقل.
- ١٠- علي بن مهزيار الأهوازي.
- ١١- فارس بن حاتم.
- ١٢- علي بن الحسين بن عبدربه.
- ١٣- عثمان بن سعيد العمري.

وقد انحرف بعضهم عن الطريق الذي رُسم له، وكان الأئمة (عليهم السلام) يوضحون الأمر عند انحراف بعض الوكلاء عن الطريق المقرر لهم حينما كانت تغريهم الأموال التي يحصلون عليها فيستغلون منصب الوكالة لأغراض دنيوية مادية. ولا يسمحون لهم باغراء الناس واستغلالهم.

إنّ جهاز الوكلاء الذي عرفنا مهامه يعتبر أحد عوامل التحسين الأمني للجماعة الصالحة في عصر الإمام بالنسبة للإمام وبالنسبة لأتباعه أيضاً.

وسوى هذه المهمة الكبيرة يساهم نظام الوكلاء في التحسين الاقتصادي والقضائي والسياسي للجماعة الصالحة. فهو جهاز حساس ومهم للغاية، وهذا هو السبب في اهتمام الأئمة (عليهم السلام) به وسعيهم المتواصل لتطويره والسهر على صيانتها من عوامل الضعف والانهدام.

وسوف نرى ضرورة تكوين هذا الجهاز من حيث أنّه خير وسيلة لإعداد الجماعة الصالحة للدخول في عصر الغيبة والحيلولة دون تأثير صدمة الغيبة والانقطاع عن الإمام المعصوم (عليه السلام) على أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين أفقار رؤية الإمام واللقاء به خلال قرنين ونصف قرن من الزمن.

التحسين الاقتصادي

عرفنا ممّا ذكر أنّ التحسين الاقتصادي هو أحد الأهداف المنظورة في تخطيط أهل البيت (عليهم السلام) للجماعة الصالحة التي أرادوا لها أن تستقل في كيانها وتبتعد عن عوامل الضعف والانهيال التي تفرضها الظروف السياسية أو الاقتصادية العامة.

ولنظام الوكلاء دور مهم في هذا التحسين، كما أنّ الإمام (عليه السلام) بنفسه كان يباشر قضاء حوائجهم المادية في جملة من الأحيان.

دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد وأحمد بن إسحاق الأشعري وعليّ بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فقال : يا أبا عمر - وكان وكيله - ادفع إليه ثلاثين ألف دينار وإلى عليّ بن جعفر ثلاثين ألف دينار وخذ أنت ثلاثين ألف دينار^(١).

وعن أبي هاشم قال: شكوت إليه قصور يدي فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه كفاً وقال: اتسع بهذا. فقلت لصايغ: اسبك هذا فسبكه وقال: ما رأيت ذهباً أشد حمرة منه^(٢).

وعن عبد الله بن عبد الرحمن الصّالحي أنّه شكّا أبوهاشم إلى أبي الحسن (عليه السلام) ما لقي من السوق إليه إذا انحدر من عنده إلى بغداد وقال: يا سيدي أدع الله لي فمالي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه. قال: قواك الله يا أبا هاشم وقوى برذونك. قال: وكان أبو هاشم يصلي الفجر ببغداد والظهر بسر من رأى والمغرب ببغداد إذا شاء^(٣).

وبهذا نختم الكلام عن الخطوط العامة لدور الإمام (عليه السلام) في إكمال بناء الجماعة الصالحة وتحسينها واعدادها للدخول إلى عصر الغيبة الذي سوف تقترب منه بسرعة.

(١) المناقب: ٤٨٨/٢.

(٢) المناقب : ٤٨٨/٢.

(٣) المناقب: ٤٤٨/٢.

الفصل الثالث

الإمام الهادي (عليه السلام) في ذمة الخلود

استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام)

ظلَّ الإمام الهادي (عليه السلام) يعاني من ظلم الحكّام وجورهم حتّى دُسَّ إليه السمّ كما حدث لآبائه الطّاهرين، وقد قال الإمام الحسن (عليه السلام): «ما منّا إلّا مقتول أو مسموم»^(١).

قال الطبرسي وابن الصباغ المالكي: «في آخر ملكه (أي المعتز)، استشهد وليّ الله علي بن محمد (عليه السلام)»^(٢).
وقال ابن بابويه: «وسمّه المعتز»^(٣).

وقال المسعودي: «وقيل إنّه مات مسموماً»^(٤)؛ ويؤيد ذلك ما جاء في الدّعاء الوارد في شهر رمضان: «وضاعف العذاب على من شرك في دمه»^(٥).
وقال سراج الدين الرفاعي في صحاح الأخبار: «وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي...».

وقال محمد عبدالغفار الحنفي في كتابه أئمة الهدى: «فلما ذاعت

(١) بحار الأنوار: ٢١٦/٢٧، ح ١٨.

(٢) إعلام الوری: ٣٣٩ - الفصول المهمة: ٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٠٦/٥٠، ح ١٨، المناقب: ٤٠١/٤.

(٤) مروج الذهب: ١٩٥/٤.

(٥) بحار الأنوار: ٢٠٦/٥٠، ح ١٩.

شهرته (عليه السلام) استدعاه الملك المتوكل من المدينة المنورة حيث خاف على ملكه وزوال دولته .. وأخيراً دس إليه السم...»^(١).

والصحيح أن المعتز هو الذي دس إليه السم وقتله به .

ويظهر أنه اعتلّ من أثر السم الذي سُقي كما جاء في رواية محمد بن الفرّج عن أبي دعامة، حيث قال: أتيت عليّ بن محمد (عليه السلام) عائداً في علته التي كانت وفاته منها، فلما هممت بالانصراف قال لي: يا أبا دعامة قد وجب عليّ حقك، ألا حدثك بحديث تسرّبه؟ قال: فقلت له: ما أخرجني إلى ذلك يا ابن رسول الله. قال حدثني أبي محمد بن عليّ، قال: حدثني أبي عليّ بن موسى، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن عليّ، قال: حدثني أبي عليّ بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدثني أبي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عليّ اكتب: فقلت: وما أكتب؟ فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقرته القلوب وصدّقه الأعمال، والإسلام ما جرى على اللسان، وحلّت به المناكحة.

قال أبو دعامة: فقلت: يا ابن رسول الله، والله ما أدري أيهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد! فقال: إنها لصحيفة بخطّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنوارها صاغراً عن كابر^(٢).

قال المسعودي: واعتلّ أبو الحسن (عليه السلام) علته التي مضى فيها فأحضر أبا محمد ابنه (عليه السلام) فسلم إليه التور والحكمة ومواريث الأنبياء والسلاح^(٣). ونصّ عليه وأوصى إليه بمشهد من ثقات أصحابه ومضى (عليه السلام) وله أربعون سنة^(٤).

(١) راجع: الإمام الهادي من المهد إلى اللحد: ٥٠٩ - ٥١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٨/٥٠، مروج الذهب: ١٩٤/٤.

(٣) إثبات الوصية: ٢٥٧.

(٤) بحار الأنوار: ٢١٠/٥٠.

تجهيزه وحضور الخاصة والعامة لتشيعه

ولما قضى نحبه تولى تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ولده الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) وذلك لأن الإمام لا يتولى أمره إلا الإمام .

وما انتشر خبر رحيله الى الرفيق الأعلى حتى هرعت الجماهير من العامة والخاصة الى دار الإمام (عليه السلام) وخيم على سامراء جو من الحزن والحداد.

قال المسعودي: وحدثنا جماعة كل واحد منهم يحكي أنه دخل الدار وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبين والعباسيين (والقواد وغيرهم)، واجتمع خلق من الشيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد (عليه السلام) ولا عرف خبرهم، إلا الثقات الذين نص أبو الحسن (عليه السلام) (عندهم) عليه، فحكوا أنهم كانوا في مصيبة وحيرة، فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر يارياش خذ هذه الرقعة وامض بها الى دار أمير المؤمنين وادفعها الى فلان، وقل له: هذه رقعة الحسن بن علي . فاستشرف الناس لذلك. ثم فتح من صدر الزواق باب وخرج خادم أسود، ثم خرج بعده أبو محمد (عليه السلام) حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب وعليه مبطنة (ملحمة) بيضاء.

وكان (عليه السلام) وجهه وجه أبيه (عليه السلام) لا يخطئ منه شيئاً، وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاية العهود، فلم يبق أحد إلا قام على رجله ووثب إليه أبو أحمد [محمد] الموفق، فقصده أبو محمد (عليه السلام) فعانقه، ثم قال له: مرحباً بابن العم وجلست بين بابي الزواق، والناس كلهم بين يديه، وكانت الدار كالسوق بالأحاديث، فلما خرج (عليه السلام) وجلس أمسك الناس، فما كنا نسمع شيئاً إلا العطسة والسعلة، وخرجت جارية تندب أبا الحسن (عليه السلام)، فقال أبو محمد: ما هاهنا من يكفيننا مؤونة هذه الجاهلة، فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار.

ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد فنهض (عليه السلام)، وأخرجت الجنازة، وخرج يمشي حتى أخرج بها إلى الشارع الذي يازاء دار موسى بن بغا، وقد كان أبو محمد (عليه السلام) صلى عليه قبل أن يخرج إلى الناس، وصلى عليه لما أخرج المعتمد.

قال المسعودي: وسمعت في جنازته جارية سوداء وهي تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين (قديماً وحديثاً) ^(١).

ودفن في داره بسر من رأى، وكان مقامه (عليه السلام) (بسر من رأى) إلى أن توفي عشرين سنة وأشهر ^(٢).

قال المسعودي: واشتد الحر على أبي محمد (عليه السلام) وضغطه الناس في طريقه ومنصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه، فسار في طريقه إلى دكان لبقال رآه مرشوشاً فسلم واستأذنه في الجلوس فأذن له، وجلس ووقف الناس حوله. فبينما نحن كذلك إذ أتاه شاب حسن الوجه نظيف الكسوة على بغلة شهباء على سرج ببرذون أبيض قد نزل عنه، فسأله أن يركبه فركب حتى أتى الدار ونزل، وخرج في تلك العشيّة إلى الناس ما كان يخرج عن أبي الحسن (عليه السلام) حتى لم يفقدوا منه إلا الشخص ^(٣).

لماذا دفن الإمام (عليه السلام) في بيته ؟

لقد جرت العادة عند العامة والخاصة أنه إذا توفي أحد أن يدفن في المكان المعدّ للموتى المسمى - بالمقبرة أو الجبّانة - كما هو المتعارف في هذا العصر أيضاً، ولا يختلف هذا الأمر بالنسبة لأي شخص مهما كان له من المكانة

(١) بحار الأنوار: ٢٠٧/٥٠ ح ٢٢، مروج الذهب ١٩٣/٤.

(٢) إعلام الوري: ٣٣٩.

(٣) اثبات الوصية: ٢٥٧، الدفعة الساكية: ٢٢٢/٨.

والمنزلة، فقد كان ولا يزال في المدينة المحل المُعدّ للدفن - البقيع - حيث أنه مثوى لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وزوجات النبي (صلى الله عليه وآله)، وأولاده، وكبار الصحابة والتابعين وغيرهم، كما وأن مدفن الإمامين الجوادين (عليهم السلام) في مقابر قريش. وأما السبب في دفن الإمام الهادي (عليه السلام) داخل بيته، يعود الى حصول ردود الفعل من الشيعة يوم استشهاده (عليه السلام) وذلك عندما اجتمعوا لتشييعه مظهرين البكاء والسخط على السلطة والذي كان بمثابة توجيه أصابع الاتهام الى الخليفة لتضلعه في قتله.

وللشارع الذي أُخرجت جنازة الإمام (عليه السلام) إليه الأثر الكبير، حيث كان محلاً لتواجد معظم الموالين لآل البيت (عليهم السلام) إذ ورد في وصفه:

الشارع الثاني يعرف بأبي أحمد.. أول هذا الشارع من المشرق داربختيشوع المتطّيب التي بناها المتوكل، ثم قطائع قواد خراسان وأسبابهم من العرب، ومن أهل قم، وإصبهان، وقزوین، والجبل، وأذربيجان، يمنة في الجنوب ممّا يلي القبلة^(١).

ويشير الى تواجد أتباع مدرسة أهل البيت في سامراء المظفري في تاريخه إذ يقول: فكم كان بين الجند، والقواد، والأمراء، والكتاب، من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت (عليهم السلام)^(٢).

كلّ هذا أدى الى اتخاذ السلطة القرار بدفنه (عليه السلام) في بيته، وإن لم تظهر تلك الصورة في التاريخ بوضوح، إلا أنه يفهم ممّا تطرق إليه البغدادي في تاريخه عند ذكره حوادث عام (٢٥٤ هـ) ووفاة الإمام الهادي (عليه السلام) حيث يقول:

وبعث المعتز بأخيه أحمد بن المتوكل فصلّى عليه في الشارع المعروف

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ٨٢/١٢

(٢) تاريخ الشيعة: ١٠١.

بشارع أبي أحمد، فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكأؤهم وضجّتهم، فردّ النعش الى داره، فدفن فيها...^(١)

وتمكنوا بذلك من إخماد لهيب الانتفاضة والقضاء على نقمة الجماهير الغاضبة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على وجود التحرك الشيعي رغم الظروف القاسية التي كان يعاني منها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم من سلطة الخلافة الغاشمة.

انتشار خبر استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام) في البلاد

روى الحسين بن حمدان الحضيّني في كتاب الهداية في الفضائل: عن أحمد ابن داود القميّ، ومحمد بن عبد الله الطلحيّ قالوا: حملنا مالاً اجتمع من خمس ونذور من بين ورق وجوهر وحلّي وثياب من بلاد قم وما يليها، وخرجنا نريد سيّدنا أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) بها، فلما صرنا الى دسكرة الملك^(٢) تلقّانا رجل راكب على جمل، ونحن في قافلة عظيمة، فقصدنا ونحن سائرون في جملة الناس وهو يعارضنا بجملة حتى وصل إلينا، فقال: يا أحمد ابن داود ومحمد بن عبد الله الطلحيّ معي رسالة إليكم، فأقبلنا إليه فقلنا له: ممّن يرحمك الله فقال: من سيّدكما أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يقول لكم: أنا راحل الى الله في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر ابني أبي محمد الحسن، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك، ولم نظهره، ونزلنا بدسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وأحرزنا ما حملناه فيه، وأصبحنا والخبر شائع

(١) تاريخ اليعقوبي: ٥٠٣/٢.

(٢) الدسكرة: قرية في طريق خراسان قريبة من شهربان (وهي قرية كبيرة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد)، وهي دسكرة الملك (معجم البلدان: ٤٥٥/٢ و ٣٧٥/٣).

في الدسكرة بوفاة مولانا أبي الحسن (عليه السلام)، فقلنا: لا إله إلا الله أترى الرسول الذي جاء برسالته أشاع الخبر في الناس؟ فلما أن تعالى النهار رأينا قوماً من الشيعة على أشد قلق مما نحن فيه، فأخفينّا أمر الرسالة ولم نظهره^(١).

تاريخ استشهاداه (عليه السلام)

اختلف المؤرخون في يوم استشهاداه (عليه السلام)، كما اختلفوا في مَنْ دس إليه السم. والتحقيق أنه (عليه السلام) استشهد في أواخر ملك المعتز كما نص عليه غير واحد من المؤرخين، وبما أن أمره كان يهم حاكم الوقت، وهو الذي يتولى تدبير هذه الأمور كما هو الشأن، فإنّ المعتز أمر بذلك، ويمكن أنه استعان بالمعتمد في دس السم إليه.

وأما يوم شهادته (عليه السلام) فقد قال ابن طلحة في مطالب السؤول: أنه مات في جمادى الآخرة لخمس ليال بقين منه ووافقه ابن خشب^(٢)، وقال الكليني في الكافي: مضى صلوات الله عليه لأربع بقين من جمادى الآخرة^(٣)؛ ووافقه المسعودي^(٤).

وأما المفيد في الإرشاد، والإربلي في كشف الغمّة، والطبرسي في إعلام الوري، فقالوا: قبض (عليه السلام) في رجب، ولم يحدّدوا يومه^(٥). وقال أبو جعفر الطوسي في مصابيح، وابن عتاش، وصاحب الدروس:

(١) الدمعة الساكبة: ٢٢٣/٨.

(٢) الدمعة الساكبة: ٢٢٥/٨ و ٢٢٧.

(٣) الكافي: ٤٩٧/١.

(٤) مروج الذهب: ١٩٣/٤.

(٥) الدمعة الساكبة: ٢٢٦/٨ و ٢٢٧، إعلام الوري: ٣٣٩، كشف الغمّة ٢: ٣٧٦.

إنه قبض بسرّ من رأى يوم الاثنين ثالث رجب^(١)؛ ووافقهم القتال النيسابوري في روضة الواعظين حيث قال: توفي (عليه السلام) بـ (سرّ من رأى) ثلاث ليال خلون نصف النهار من رجب^(٢)؛ وللزرندي قول: بأنّه توفي يوم الاثنين الثالث عشر من رجب^(٣).

ولكن الكلّ متفقون على أنّه استشهد في سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة^(٤).

وعن الحضيبي أنه قال: حدّثني أبو الحسن عليّ بن بلال وجماعة من إخواننا أنّه لما كان اليوم الرابع من وفاة سيّدنا أبي الحسن (عليه السلام) أمر المعتزّ بأن ينفذ الى أبي محمد (عليه السلام) من يستركبه إليه ليعزيّه ويسأله، فركب أبو محمد (عليه السلام) الى المعتزّ فلمّا دخل عليه رخب به وقربه وعزّاه وأمر أن يُثبت في مرتبة أبيه (عليه السلام). وأثبت له رزقه وأن يدفعه فكان الذي يراه لا يشكّ أنه في صورة أبيه (عليه السلام).

واجتمعت الشيعة كلّها من المهتدين على أبي محمد بعد أبيه إلّا أصحاب فارس بن حاتم بن ماهويه فإنّهم قالوا بإمامة أبي جعفر محمد بن أبي الحسن صاحب العسكر^(٥).

إن ما صدر من المعتزّ هذا كان من باب التمويه والخداع لكي يغطّي على جريمتة التي ارتكبها بحق أبيه، وهذا كان ديدن من تقدّمه من الطواغيت تجاه أئمة أهل البيت (عليهم السلام)^(٦).

(١) الدفعة السابعة: ٢٢٥/٨، بحار الأنوار: ٢٠٦/٥٠، ح ١٧.

(٢) روضة الواعظين: ٢٤٦/١.

(٣) الدفعة السابعة: ٢٢٦/٨.

(٤) راجع: لمحات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام): ١١٢ - ١٢٠ محمد رضا سيّويه.

(٥) الدفعة السابعة: ٢٢٥/٨.

(٦) لمحة من حياة الإمام الهادي (عليه السلام): ١٢١ - ١٢٢.

الفصل الرابع

مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) ونزاهته

لقد تميّز عصر الإمام الهادي (عليه السلام) عن عصر أبيه الإمام محمد الجواد (عليه السلام) بزيادة الكبت والضغط عليه من قبل السلطة حتى كانت الرقابة الدائمة هي الأمر المميز والفارق الواضح في حياته وحياته ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .

كما ان الإمام الهادي (عليه السلام) شارك أباه الجواد (عليه السلام) في تولّي مهمة الإمامة في صغر السن وقبل إكمال عقده الأول من العمر . فكانت الإمامة المبكرة وتوجّس السلطة من قيادة خط المعارضة الذي دام قرنين وثلاثة عقود من الزمن في عهده (عليه السلام)، وترقّب ظهور المهدي من آل محمد (عليه السلام) من ولده هي ثلاث مميزات تميّزت بها فترة إمامته ، ومن هنا شدّدت الرقابة إلى أقصى حدّ ممكن حتى انتهت الى التصفية الجسدية بعد أن سيطر الخوف والرعب على طغاة عصره .

ومن هنا فإن كثرة أصحاب الإمام - والذين أحصاهم أحد المهتمين بتاريخ هذا الإمام العظيم^(١) حيث ترجم لـ (٣٤٦) شخصاً كانوا قد ارتبطوا بالإمام ورووا عنه - وهو في تلك الظروف العصيبة ، لها دلالة كبيرة وواضحة على سعة نشاط الإمام الهادي (عليه السلام) في تلك الظروف الصعبة ، وعظمة هذا

(١) راجع الإمام الهادي من المهدي إلى اللاحق، السيد محمد كاظم القزويني .

الإمام الذي استوعب بنشاطه السري والمنظم كل تلك العقبات واجتازها بما يحقق له أهدافه من التمهيد فكرياً وعقائدياً ونفسياً لعصر الغيبة المرتقب محافظاً على خط المعارضة بشكل تام ، مراقباً للأحداث بشكل مستمر ومقدماً لكل ظرفٍ مستجد ما يتطلبه من الخطوات والأنشطة، مراعيّاً التقدم الحضاري الذي كانت الأمة الإسلامية على مشارفه وهو يريد أن تكون الجماعة الصالحة في موقع القيادة والقمة منه دائماً، وهكذا كان . ومن هذه الزاوية ينبغي أن نطالع ما وصلنا من تراثه ومعالم مدرسته .

وينقسم الحديث في هذا الفصل الى حقلين:
الأول مدرسة الإمام الهادي المتمثلة في أصحابه ورواة حديثه.
والثاني تراثه الفكري والعلمي المدون أو المروي عنه.

البحث الأول: أصحاب الإمام (عليه السلام) ورواة حديثه

كان الإمام الهادي (عليه السلام) مقصداً لطلاب العلوم لتنوع ثقافته وشمول معارفه ، فهو (عليه السلام) المتخصص في جميع العلوم ، والخبير في تفسير القرآن الكريم والمتصلع في الفقه الإسلامي بشتى حقوله ومستوياته . وقد مثل أصحابه الخط الرسالي في الأمة الإسلامية ، باعتبار اتصالهم بأهل البيت (عليهم السلام) ، فرووا أحاديثه ودونوها في أصولهم . فكان لهم الفضل الكبير على العالم الاسلامي بما دونوه من تراث الأئمة الطاهرين فلولاهم لضاعت ثروة كبيرة تشتمل على الإبداع والاصالة وتساير تطور الفكر البشري بل وتقدم عليه .

وتجدر الإشارة إلى ان كثيراً من ملامح عمل الإمام الهادي (عليه السلام) تنكشف من خلال أنشطة أتباعه المعتمدين وتعمق هذه الحقيقة بمقدار اشتداد الظروف الداعية للسرية في عمل الإمام (عليه السلام) .

وفيما يأتي تراجم بعض أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ، وقد رتبناها حسب تسلسل حروف الهجاء:

١- ابراهيم بن عبده النيسابوري :

عده الشيخ من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ومن أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ، وذكر الكشي ان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بعث رسالة إلى إسحاق بن اسماعيل ، سلم فيها على ابراهيم بن عبده ، ونصبه وكيلاً على قبض الحقوق الشرعية وقد بعثه إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي ، وزوده برسالة جاء فيها : « وبعد ، فقد بعثت لكم ابراهيم بن عبده ، ليدفع النواحي ، وأهل ناحيتك ، حقوقي الواجبة عليكم إليه ، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك فليتقوا الله ، وليراقبوا وليؤدوا الحقوق ، فليس لهم عذر في ترك ذلك ولا تأخيره ، ولا أشقاهم الله بعضيان اوليائه ورحمهم الله - واياك معهم - برحمتي لهم ان الله واسع كريم . » ^(١)

٢- ابراهيم بن محمد الهمداني :

عده الشيخ من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) ومن اصحاب الإمام الجواد والهادي (عليه السلام) ، وقال الكشي : كان وكيله وقد حج اربعين حجة . وكتب الإمام له : « قد وصل الحساب تقبل الله منك ورضي عنهم ، وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة ، وقد بعثت اليك من الدنانير بكذا ، ومن الكسوة بكذا ، فبارك لك فيه ، وفي جميع نعمة الله عليك ، وقد كتبت إلى النضر أمرته ان ينتهي عنك ، وعن التعرض لك وبخلافك ، واعلمته موضعك عندي ، وكتبت إلى ايوب : أمرته بذلك أيضاً ، وكتبت إلى موالي بهمدان كتاباً امرتهم بطاعتك والمصير إلى امرك ، وان لا وكيل لي سواك . » ^(٢)

ودلت هذه الرواية على وثاقته وجلالة أمره ، وسمو مكانته عند الإمام (عليه السلام).

(١) معجم رجال الحديث: ٢٣٢/١.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٨٦٩/٢.

٣- ابراهيم بن مهزيار :

عده الشيخ من أصحاب الإمام الجواد ، ومن أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) . قال النجاشي : له كتاب البشارات . وروى الكشي بسنده عن محمد بن ابراهيم بن مهزيار ، قال : ان أبي لما حضرته الوفاة دفع إليّ مالا ، وأعطاني علامة ولم يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وقال : من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال ، قال : فخرجت إلى بغداد ، ونزلت في خان فلما كان في اليوم الثاني جاء شيخ فطرق الباب فقلت للغلام انظر من في الباب ، فخرج ، ثم جاء وقال : شيخ في الباب فأذنت له في الدخول ، فقال : أنا العمري ، هات المال الذي عندك ، وهو كذا وكذا ومعه العلامة ، قال : فدفعته له المال^(١) .

ودلت هذه الرواية على ان ابراهيم كان وكيلاً للإمام (عليه السلام) في قبض الحقوق الشرعية ، ومن الطبيعي انه انما يؤتمن عليها فيما إذا كان ثقة وعدلاً .

٤- احمد بن اسحاق بن عبد الله الاشعري القمي :

كان وافد القميين ، روى عن أبي جعفر الثاني وأبي الحسن (عليه السلام) وكان من خاصة أبي محمد (عليه السلام) ، وله من الكتب :

١- مسائل الرجال للإمام الهادي (عليه السلام) .

٢- علل الصلاة .

٣- علل الصوم .

وهو ممتن رأئ الإمام المهدي - عجل الله فرجه - ووردت أخبار كثيرة في مدحه والثناء عليه^(٢) .

(١) خلاصة الأقوال : ٥١ .

(٢) رجال النجاشي : ٩١ ، وخلاصة الأقوال : ٦٣ .

٥- أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي :

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي (عليه السلام) ، يكتنّ أباً جعفر وهو شيخ القميين ووجيههم ، وكان الرئيس الذي يلقي السلطان ، صنف كتباً منها : كتاب «التوحيد» وكتاب «فضل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» وكتاب «المتعة» وكتاب «النوادر» وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «فضائل العرب» وغيرها^(١).

٦- أيوب بن نوح بن دراج :

الثقة الأمين ، قال النجاشي : انه كان وكيلاً لأبي الحسن ، وأبي محمد (عليه السلام) عظيم المنزلة عندهما ، مأموماً ، وكان شديد الورع ، كثير العبادة ، ثقة في رواياته ، وابوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة ، وكان صحيح الاعتقاد ، واخوه جميل بن دراج^(٢) ، قال الشيخ : أيوب بن نوح بن دراج ثقة له كتاب وروايات ومساثل عن أبي الحسن الثالث^(٣). وقال الكشي : كان من الصالحين ومات وما خلف إلا مائة وخمسين ديناراً ، روى عن الإمام أبي الحسن (عليه السلام) وروى عنه جماعة من الرواة^(٤).

٧- الحسن بن راشد :

يكنى أبا علي مولى آل المهلب البغدادي ، ثقة.

(١) معجم رجال الحديث: ٨٦/٣

(٢) رجال النجاشي : ١٠٢.

(٣) الفهرست: ٥٦.

(٤) رجال النجاشي: ١٠٢.

عده الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) وعده الشيخ المفيد من الفقهاء الاعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام الذين لا يطعن عليهم بشيء ولا طريق لدم واحد منهم ، وقد نصبه الإمام وكيلاً وبعث إليه بعدة رسائل منها^(١) :

١ - ما رواه الكشي بسنده إلى محمد بن عيسى اليقطيني ، قال : كتب - يعني الإمام الهادي - إلى أبي علي بن بلال في سنة (٢٣٢ هـ) رسالة جاء فيها : « واحمد الله اليك ، واشكر طوله وعوده ، وأصلي على محمد النبي وآله ، صلوات الله ورحمته عليهم ، ثم اني اقامت ابا علي مقام الحسين بن عبد ربه ، واثمنتته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يقدمه أحد ، وقد اعلم انك شيخ ناحيتك فاحببت افردك ، واكرامك بالكتاب بذلك ، فعليك بالطاعة له ، والتسليم إليه جميع الحق قبلك ، وان تحض موالي على ذلك ، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته ، فذلك موفور ، وتوفير علينا ، ومحبوب لدينا ، ولك به جزاء من الله وأجر ، فان الله يعطي من يشاء ذو الاعطاء والجزاء برحمته ، وانت في وديعة الله ، وكتبت بخطي واحمد الله كثيراً »^(٢).

ودلت هذه الرسالة على فضل ابن راشد ووثاقته وامانته ، فقد ارجع إليه الشيعة واوصاهم بطاعته والانقياد إليه ، وتسليم ما عندهم من الحقوق الشرعية إليه .

٢ - روى الكشي بسنده إلى احمد بن محمد بن عيسى قال : نسخت الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها والمدائن والسواد وما يليها ، وهذا نصه :

(١) رجال الطوسي: ٣٧٥.

(٢) معجم رجال الحديث: ٣١٣/٥ - ٣١٤.

« واحمد الله اليكم ما انا عليه من عافيته ، واصلي على نبيه وآله افضل صلاته واكمل رحمته ورأفته ، واني اقامت ابا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه ، ومن كان من قبله من وكلائي ، وصار في منزلته عندي ، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم ليقبض حقي ، وارتضيته لكم ، وقدمته على غيره في ذلك ، وهو أهله وموضعه ، فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك وإلي ، وان لا تجعلوا له على انفسكم علة ، فعليكم بالخروج عن ذلك ، والتسرع إلى طاعة الله ، وتحليل اموالكم ، والحقن لدمائكم ، وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله لعلكم ترحمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تموتن إلا وانتم مسلمون ، فقد اوجبت في طاعته طاعتي ، والخروج إلى عصيانه عصياني ، فالزموا الطريق يأجركم الله ، ويزيدكم من فضله ، فإن الله بما عنده واسع كريم ، متطول على عباده رحيم ، نحن وانتم في وديعة الله وحفظه ، وكتبته بخطي ، والحمد لله كثيراً»^(١)

وكشفت هذه الرسالة عن سمو مكانة ابن راشد عند الإمام (عليه السلام) وعظيم منزلته عنده حتى قرن طاعته بطاعته (عليه السلام) ، وعصيانه بعصيانه (عليه السلام) .

٣- وبعث الإمام أبو الحسن (عليه السلام) رسالة له وإلى ايوب بن نوح جاء فيها بعد البسملة : « انا أمرك يا ايوب بن نوح ان تقطع الاكثار بينك وبين أبي علي ، وان يلزم كل واحد منكما ما وكل به ، وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته ، فإنكم إذا انتهيتم إلى كل ما امرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي ، وأمرك يا ابا علي بمثل ما امرت به ايوب ، ان لا تقبل من احد من اهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ، ولا يلي لهم استيذاناً علي ، ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك ان يصيره إلى الموكل بناحيته ، وأمرك يا أبا علي في ذلك بمثل ما أمرت به ايوب ، وليعمل كل واحد منكما بمثل ما أمرته به »^(٢).

(١) معجم رجال الحديث: ٣١٤/٥.

(٢) معجم رجال الحديث: ٣١٥/٥.

لقد كانت لأبي راشد مكانة مرموقة عند الإمام (عليه السلام) ، ومن الطبيعي أنه لم يحتل هذه المنزلة إلا بتقواه وورعه ، وشدة تحرجه في الدين ، ولما توفي ابن راشد ترحم عليه الإمام (عليه السلام) ودعا له بالمغفرة والرضوان .

٨- الحسن بن علي :

ابن عمر ، بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الناصر للحق من أصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) . وهو والد جد السيد المرتضى من جهة أمه ، قال السيد (رحمته الله) في أول كتابه «شرح المسائل الناصريات» : وإما أبو محمد الناصر الكبير وهو الحسن بن علي ففضله في علمه وزهده وفقهه أظهر من الشمس الباهرة ، وهو الذي نشر الاسلام في الديلم حتى اهتدوا به من الضلالة ، وعدلوا بدعائه بعد الجهالة ، وسيرته الجميلة أكثر من أن تحصن وأظهر من أن تخفى^(١).

٩- الحسن بن علي الوشا :

عده الشيخ من اصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) . قال النجاشي : انه ابن بنت الياس الصيرفي الخزاز ، وقد روى الحسن عن جده الياس انه لما حضرته الوفاة ، قال : اشهدوا علي وليست ساعة الكذب هذه الساعة : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : والله لا يموت عبد يحب الله ورسوله ويتولى الأئمة فتمسه النار .

(١) الناصريات: ٦٣ .

وروى احمد بن محمد بن عيسى قال : خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشا ، فسألته ان يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلا ، وابان بن عثمان الاحمر ، فاخرجهما لي فقلت له : احب ان تجيزهما لي فقال لي : يا هذا رحمك الله ، وما عجلتك ، اذهب فاكتبهما ، واسمع من بعد ، فقلت : لا آمن الحدثان ، فقال : لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فإني ادركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد ، وكان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة وله كتب منها ثواب الحج ، والمناسك والنفوس (١).

١٠ - داود بن القاسم الجعفري :

يكنى ابا هاشم ، من اهل بغداد ، جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة (عليهم السلام) شاهد الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر (عليه السلام) ، وروى عنهم كلهم ، وله اخبار ومسائل وله شعر جيد فيهم ، وكان مقدماً عند السلطان وله كتاب .

عده البرقي من اصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال الكشي : قال أبو عمرو : له - اي لداود - منزلة عالية عند أبي جعفر ، وأبي الحسن ، وأبي محمد (عليهم السلام) وموقع جليل (٢).

(١) معجم رجال الحديث: ٣٨/٦ .

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٨٤١/٢ .

١١ - الريّان بن الصلت :

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) ، ومن اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) و اضاف انه ثقة ، وروى الكشي بسنده عن معمر بن خلاد ، قال : قال لي الريّان بن الصلت : وكان الفضل بن سهل بعثه إلى بعض كور خراسان ، فقال : احب ان تستأذن لي على أبي الحسن (عليه السلام) فأسلم عليه و اودعه و احب ان يكسوني من ثيابه ، و ان يهب لي من الدراهم التي ضربت باسمه ، قال : فدخلت عليه ، فقال لي مبتدئاً : يا معمر أين ريان ، أيعب أن يدخل علينا فأكسوه من ثيابي ، وأعطيه من دراهمي ؟ قال : قلت : سبحان الله !!! والله ما سألني إلا ان أسألك ذلك له ، فقال : يا معمر ان المؤمن موفق ، قل له فليجيئ ، قال : فأمرته فدخل عليه فسلم عليه فدعا بثوب من ثيابه ، فلما خرج قلت : اي شيء اعطاك ؟ وإذا بيده ثلاثون درهماً^(١) . وقد دلّت هذه البادرة على حسن ايمانه وحسن عقيدته .

١٢ - عبد العظيم الحسني :

هو السيد الشريف الحسيب النسيب من مفاخر الأسرة النبوية علماً و تقى و تخرجاً في الدين . و نلمح إلى بعض شؤونه .

أ - نسبه الواضح : يرجع نسبه الشريف إلى الإمام الزكي أبي محمد الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ب - وثاقته وعلمه : كان ثقة عدلاً ، متخرجاً في دينه كأشد ما يكون التخرج ، كما كان عالماً وفاضلاً و فقيهاً فقد روى أبو تراب الروياني ، قال : سمعت أبا حماد الرازي ، يقول : دخلت على علي بن محمد (عليه السلام) ب (سر من رأى)

(١) اختيار معرفة الرجال : ٨٢٤/٢ .

فسأله عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني عنها ، فلما ودعته قال لي :
يا حماد إذا اشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيك فسل عنه عبد العظيم الحسني واقرئه
مني السلام^(١).

ودلت هذه الرواية على فقهه وعلمه .

ج - عرض عقيدته على الهادي (عليه السلام) : وتشرف السيد الجليل عبد العظيم بمقابلة
الإمام الهادي (عليه السلام) فعرض على الإمام أصول عقيدته وما يدين به قائلاً :
« يا ابن رسول الله اني أريد ان اعرض عليك ديني فإن كان مرضياً ثبت
عليه .. ».

فقاله الإمام مبتسماً وقال له : « هات يا أبا القاسم » .

وانبرى عبد العظيم يعرض على الإمام المبادئ التي آمن بها قائلاً :
« اني اقول : ان الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، خارج عن الحدين ، حد
الإبطال وحد التشبيه ، وانه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل هو
مجسم الاجسام ومصور الصور وخالق الاعراض والجواهر ورب كل شيء
ومالكة وجاعله ومحدثه .

وان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة ،
وان شريعته خاتمة الشرايع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة ، واقول : ان
الإمام والخليفة ، وولي الامر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم
الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم
موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم انت يا مولاي » .

والفتت إليه الإمام فقال : « ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من

بعده ؟ » .

(١) معجم الرجال الحديث : ٥٣/١١ .

واستفسر عبد العظيم عن الحجة من بعده قائلاً : وكيف ذاك يا مولاي ؟ قال الإمام (عليه السلام) : « لأنه لا يرى شخصه ، ولا يحل ذكره باسمه ، حتى يخرج فيملاً الارض قسماً وعدلاً ، كما ملئت ظمناً وجوراً ».

وانبرى عبد العظيم يعلن ايمانه بما قال الإمام (عليه السلام) قائلاً : « اقررت ، واقول : ان وليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله .. واقول : ان المعراج حق والمساءلة في القبر حق وان الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور .

وأقول : ان الفرائض الواجبة بعد الولاية - اي الولاية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) - الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. »

وبارك له الإمام عقيدته قائلاً : « يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة »^(١).

١٣ - عثمان بن سعيد العمري السمان :

يكنى أبا عمرو ، الثقة الزكي ، خدم الإمام الهادي (عليه السلام) وله من العمر إحدى عشرة سنة ، احتل المكانة المرموقة عند الإمام (عليه السلام) ، فقد روى أحمد ابن اسحاق القمي قال : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الايام فقلت له : ياسيدي أنا أغيب وأشهد ، ولا يتهياً لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل ، وأمر من نمثل ؟ فقال (عليه السلام) :

(١) كمال الدين : ٣٧٩ ح ١ وعنه في اعلام الوری : ٢٤٤/٢ ، ٢٤٥ .

هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعني يقوله ، وما آذاه اليكم فعني يؤديه .

فلما قضى أبو الحسن (عليه السلام) نحبه رجعت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري وقلت له (عليه السلام) ذات يوم : مثل قولي لأبيه ، فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضين ، وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعني يقوله ، وما آذى اليكم فعني يؤديه (١) .

ودلت هذه الرواية على وثاقته ، وأنه قد نال المنزلة الكريمة عند الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ، كما دلت على فضله وعلمه ، وأنه كان مرجعاً للفتيا وأخذ الاحكام .

١٤- علي بن مهزيار الاهوازي الدورقي :

كان من مفاخر العلماء ومن مشاهير تلاميذ الإمام الهادي (عليه السلام) ونتحدث بايجاز عن بعض شؤونه :

أ- عبادته : كان من عيون المتقين والصالحين ، ويقول المؤرخون : انه كان إذا طلعت الشمس سجد لله تعالى ، وكان لا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من اخوانه بمثل ما دعا لنفسه ، وكان على جبهته سجادة مثل ركبة البعير من كثرة سجوده (٢) .

ب- ثناء الإمام الجواد (عليه السلام) عليه : وأثنى الإمام الجواد (عليه السلام) ثناءً عاطراً على ابن مهزيار ، وكان مما أثنى عليه انه بعث له رسالة جاء فيها :

(١) معجم رجال الحديث: ١٢/٢٣١.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٨٢٥/٢.

« يا علي قد بلوتك وخبرتكَ في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير ، والقيام بما يجب عليك ، فلو قلت : إني لم أر مثلك لرجوت ان اكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً . وما خفي علي مقامك ولا خدمتك ، في الحر والبرد ، في الليل والنهار ، فاسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة ان يحبوك برحمة تغتبط بها انه سميع الدعاء »^(١).

وكشفت هذه الرسالة عن إكبار الإمام وتقديره ودعائه له ، وانه (عليه السلام) لم ير في أصحابه وغيرهم مثل هذا الزكي تقوى وورعاً وعلماً .

ج - مؤلفاته : ألف علي مجموعة من الكتب تزيد على ثلاثين كتاباً كان معظمها في الفقه وهذه بعضها : كتاب الوضوء ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحج ، كتاب الطلاق ، كتاب الحدود ، كتاب الديات ، كتاب التفسير ، كتاب الفضائل ، كتاب العتق والتدبير ، كتاب التجارات والاجارات ، كتاب المكاسب ، كتاب المثالب ، كتاب الدعاء ، كتاب التجميل والمرقة ، كتاب المزار ، وغيرها^(٢).

د - طبقته في الحديث : وقع علي بن مهزيار في اسناد كثير من الروايات تبلغ (٤٣٧) مورداً ، روى عن الإمام أبي جعفر الثاني وأبي الحسن الثالث وغيرهم . لقد كان علي بن مهزيار من دعائم الفكر الشيعي ، وكان من أفذاذ عصره وعلماء دهره .

(١) معجم رجال الحديث: ٢١١/١٣ .

(٢) رجال النجاشي: ٢٥٣ .

١٥ - الفضل بن شاذان النيشابوري :

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ، وهو من أساطين العلماء ، ومن ابرز رجال الفكر الاسلامي في عصره ، خاض في مختلف العلوم والفنون وألف فيها ، ونعرض بايجاز لبعض شؤونه :

أ - ثناء الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عليه :

وأشاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بالفضل بن شاذان ، وأثنى عليه ثناءً عاطفياً ، فقد عرضت عليه إحدى مؤلفاته فنظر فيه فترحم عليه وقال :
« أغبط اهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين اظهرهم »^(١).
ونظر (عليه السلام) مرة أخرى إلى مؤلف آخر من مؤلفاته فترحم عليه ثلاث مرات ، وقال مقرضاً للكتاب : « هذا صحيح ينبغي ان يعمل به »^(٢).

ب - ردّه على المخالفين : انبرى الفضل للدفاع عن مبادئه ، وإبطال الشبه التي اثيرت حول عقيدته ، وقد قال : انا خلف لمن مضى ادركت محمد بن أبي عمير ، وصفوان بن يحيى وغيرهما ، وحملت عنهم منذ خمسين سنة ، ومضى هشام بن الحكم (عليه السلام) ، وكان يونس بن عبد الرحمن (عليه السلام) خلفه ، كان يرد على المخالفين ، ثم مضى يونس بن عبد الرحمن ولم يخلف خلفاً غير السكاك ، فردّ على المخالفين حتى مضى (عليه السلام) ، وانا خلف لهم من بعدهم

(١) جامع الرواة: ٥/٢.

(٢) طرائف المقال: ٦٣٢/٢.

رحمهم الله»^(١). لقد كان خلفاً لأولئك الأعلام الذين نافحوا وناضلوا عن مبادئهم الرفيعة التي تبناها أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

ج - مؤلفاته : ألف هذا العالم الكبير في مختلف العلوم ، كعلم الفقه وعلم التفسير وعلم الكلام والفلسفة واللغة والمنطق وغيرها ، وكانت مؤلفاته تربو على مائة وثمانين مؤلفاً وقد ذكر بعضها الشيخ والنجاشي وابن النديم وغيرهم.

١٦ - محمد بن احمد المحمودي :

يكنى ابا علي ، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ، قال الكشي : وجدت بخط أبي عبد الله الشاذاني في كتابه : سمعت الفضل بن هاشم الهروي يقول : ذكر لي كثرة ما يحجّ المحمودي ، فسألته عن مبلغ حاجاته فلم يخبرني بمبلغها ، وقال : رزقت خيراً كثيراً والحمد لله ، فقلت له : فتحجّ عن نفسك او غيرك؟ فقال : عن غيري بعد حجة الاسلام أحجّ عن رسول الله (ﷺ) وأجعل ما أجازني الله عليه لاولياء الله وأهب ما أثاب على ذلك للمؤمنين والمؤمنات ، فقلت : ما تقول في حجّتك؟ فقال : اقول : اللهم اني اهللت لرسولك محمد (ﷺ) وجعلت جزائي منك ومنه لاوليائك الطاهرين (عليهم السلام) ، ووهبت ثوابي عنهم لعبادك المؤمنين والمؤمنات بكتابك وسنة نبيك (ﷺ) ... إلى آخر الدعاء^(٢).

(١) اختيار معرفة الرجال: ١٨٨/٢

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٧٩٨/٢

١٧ - محمد بن الحسن بن أبي الخطاب الزيات :

الكوفي الثقة ، عدّه الشيخ من اصحاب الإمام علي الهادي (عليه السلام) ، قال النجاشي : انه كان جليلاً من اصحابنا ، عظيم القدر ، كثير الرواية ، ثقة ، عين ، حسن التصانيف ، مسكون إلى روايته له كتاب التوحيد ، كتاب المعرفة والبدار ، كتاب الرد على أهل القدر ، كتاب الإمامة ، كتاب اللؤلؤة ، كتاب وصايا الأئمة ، كتاب النوادر .

١٨ - محمد بن الفرخ الرخجي :

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) كانت له اتصالات وثيقة بالامام (عليه السلام) ، وجرت بينهما عدة مراسلات ، ومنها : ما رواه الكشي بسنده عن محمد بن الفرخ : قال : كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عن أبي علي بن راشد ، وعن عيسى بن جعفر بن عاصم وابن بند ، فكتب (عليه السلام) اليّ : ذكرت ابن راشد (عليه السلام) فإنه عاش سعيداً ، ومات شهيداً ، ودعا لابن بند والعاصمي^(١) .

وقد مرّت بعض المراسلات الأخرى له مع الإمام (عليه السلام) وهي تكشف عن ثقة الإمام بمحمد وتسديده له ، ولما مرض محمد بعث له الإمام أبو الحسن (عليه السلام) بثوب فأخذه ووضعته تحت رأسه فلما توفي كفن فيه .

١٩ - معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي :

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ، قال النجاشي فيه : انه ثقة جليل من اصحاب الرضا (عليه السلام) قال أبو عبد الله الحسين : سمعت شيوخنا يقولون : روى معاوية بن حكيم أربعة وعشرين أصلاً... وله كتب منها كتاب الطلاق ، كتاب الحيض ، كتاب الفرائض ، كتاب النكاح ، كتاب الحدود ، كتاب الديات ، وله نوادر^(٢) .

(١) اختيار معرفة الرجال: ٨٦٣/٢ .

(٢) رجال النجاشي: ٤١٢ .

٢٠- يعقوب بن اسحاق :

أبو يوسف الدورقي الاهوازي المشهور بابن السكيت ، عدّه الشيخ من اصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ، كان مقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن (عليه السلام) وكانا يختصّانه ، وله عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) رواية ومسائل . كان ابن السكيت حامل لواء علم العربية والادب والشعر واللغة والنحو وله تصانيف كثيرة منها «تهذيب الالفاظ» وكتاب «اصلاح المنطق»... قتله المتوكل لولائه لأهل البيت (عليهم السلام) .

النساء :

ولم يذكر الشيخ الطوسي من النساء اللاتي روين عن الإمام الهادي (عليه السلام) سوى السيدة الكريمة كلثم الكرخية، وقد عدّها الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) وأضاف أنّ الزاوي عنها هو عبد الرحمن الشعيري ، وهو أبو عبد الرحمن بن داود البغدادي^(١).

(١) اقتبسنا ما ورد في هذا الفصل عن أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) من «حياة الإمام علي الهادي» : ١٧٠ - ٢٣٠ للشيخ باقر شريف القرشي.

البحث الثاني: نماذج من تراث الإمام الهادي (عليه السلام)

١- من تراثه التفسيري :

١- روى العياشي بأسناده عن حمدويه ، عن محمد بن عيسى قال : سمعته يقول : كتب إليه ابراهيم بن عنبسة - يعني إلى علي بن محمد (عليه السلام) - ان رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله : ﴿ يستلونك عن الخمر والميسر ﴾ فما الميسر جعلت فداك ؟

فكتب (عليه السلام) : كل ما قوم به فهو الميسر وكل مسكر حرام^(١).

٢- وروى بأسناده عن أيوب بن نوح بن دراج قال : سألت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن الجاموس وأعلمته أن اهل العراق يقولون انه مسخ ، فقال : أو ما سمعت قول الله : ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ﴾^(٢).

٣- وروى العياشي: بأسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال: الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظر الى من فضّل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزمًا^(٣).

(١) تفسير العياشي : ١٠٦ / ١ .

(٢) تفسير العياشي : ٣٨٠ / ١ .

(٣) تفسير العياشي : ٩ / ١ .

٢- من تراثه الكلامي

١- عن أحمد بن إسحاق ، قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس ؟ فكتب : لا تجوز الرؤية ، ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية ؛ وكان في ذلك الاشتباه ، لأنّ الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسببات^(١).

٢- عن بشر بن بشار النيسابوري قال : كتبت إلى الرّجل (عليه السلام) : إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد ، فمنهم من يقول : [هو] جسم ومنهم من يقول : [هو] صورة . فكتب إليّ : سبحان من لا يحُد ولا يوصف ولا يشبهه شيء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(٢).

٣- عن عليّ بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني ، ومحمد بن الحسن ، عن عبد الله بن الحسن العلويّ جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : سمعته يقول : وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لو كان كما يقول المشبهة لم يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشئ من المنشأ ، لكنّه المنشئ . فرّق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً.

قلت : أجل جعلني الله فداك لكتك قلت : الأحد الصمد وقلت : لا يشبهه شيء والله واحد والإنسان واحد أليس قد تشابهت الوحدانيّة ؟

قال : يا فتاح أحلت بتبك الله إنّما التشبيه في المعاني ، فأما في الأسماء فهي واحدة

(١) الكافي : ١ / ٩٧ ، والتوحيد : ١٠٩ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٢ .

وهي دالة على المسمى وذلك أنَّ الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين والإنسان نفسه ليس بواحد لأنَّ أعضائه مختلفة وألوانه مختلفة ومن ألوانه مختلفة غير واحد وهو أجزاء مجزأة ، ليست بسواء . دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشره وسواده غير بياضه وكذلك سائر جميع الخلق ، فالإنسان واحد في الاسم ولا واحد في المعنى والله جلَّ جلاله هو واحد لا واحد غيره لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان ، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد .

قلت : جعلت فداك فرَّجت عني فرَّج الله عنك ، فقولك : اللطيف الخبير فسره لي كما فسرت الواحد فإني أعلم أن لطفه على خلاف لطف خلقه المفصل غير أنني أحبُّ أن تشرح ذلك لي .

فقال : يا فتاح إنما قلنا : اللطيف للخلق اللطيف [و] لعلمه بالشيء اللطيف أو لا ترى وفقك الله وتبتك إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوان الصغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منها ما لا يكاد تستينه العيون ، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والحدث المولود من القديم .

فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه وما في لجج البحار وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقتها وما يفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وأنه ما لا تكاد عيوننا تستينه لدماثة خلقها . لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أنَّ خالق هذا الخلق لطيف لطف بخلق ما سمَّيناه بلا علاج ولا أداة ولا آلة وأنَّ كلَّ صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء^(١) .

(١) الكافي : ١ / ١١٨ ، والتوحيد : ١٨٥ .

٤ - عن علي بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد الهمداني وعن محمد ابن الحسن ، عن عبد الله بن الحسن العلوي جميعاً ، عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : إنَّ الله إرادتين ومشيئتين : إرادة حتم وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو يشاء .

أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكل من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشأ أن يأكل لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى ، وأمر إبراهيم أن يذبح اسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئته إبراهيم مشيئة الله تعالى^(١).

٥ - عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الله عزَّ وجلَّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكَوْنها ، أو لم يعلم ذلك حتَّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها ، فعلم ما خلق عند ما خلق وما كَوْن عند ما كَوْن ؟ فوَقَّعَ (عليه السلام) بخطه : لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء^(٢).

٦ - عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن (عليه السلام) ، قال : سألته عن أدنى المعرفة ، فقال : الإقرار بأنَّه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنَّه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنَّه ليس كمثل شيء^(٣).

٧ - عن معلى بن محمد ، قال : سئل العالم (عليه السلام) كيف علم الله ؟ قال : علم ، وشاء ، وأراد ، وقَدَّر ، وقضى ، وأبدى فأَمْضَى ما قضى ، وقضى ما قَدَّر ، وقَدَّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان

(١) أصول الكافي : ١ / ١٥١ . وأعلم ان الرواية مشتملة على كون المأمور بالذبح اسحاق دون اسماعيل وهو خلاف ما تظاهرت عليه أخبار الشيعة.

(٢) التوحيد : ١٤٥ .

(٣) التوحيد : ٢٨٣ .

القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء .

فالعلم متقدّم المشيئة والمشيئة ثالثة ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء .

فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيئة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام .

المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبّ ودرج من إنس وجرّ وطير وسباع وغير ذلك ممّا يدرك بالحواس ، فله تبارك وتعالى فيه البدء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء .

والله يفعل ما يشاء ، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدير قدر أوقاتها وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها ، وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم^(١).

قال (عليه السلام) : إنّ الله لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه ؛ وأتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الاحاطة به . نأى في قربه وقرب في نأيه ، كيف الكيف بغير أن يقال : كيف ، وأيّن الأين بلا أن يقال : أين ، هو منقطع الكيفية والأينية ، الواحد الأحد ، جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه^(٢).

(١) التوحيد : ٣٣٤ .

(٢) تحف العقول : ٣٥٧ .

٨- رسالته (عليه السلام) المعروفة في الرد على أهل الجبر والتفويض

من علي بن محمد ؛ سلام عليكم وعلى من أتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ؛ فإنه ورد عليّ كتابكم^(١) وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم ، ثم سألتوني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله .

اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جلّ وعزّ لا تخلو من معنيين : إما حقّ فيتّبع وإما باطل فيُجنب . وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه ، مصيئون ، مهتدون وذلك بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » فأخبر أنّ جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلّها حق ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً . والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه . فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب ، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة .

فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم ؛ حيث قال : « إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » . فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(١) رواها الطبرسي بتلخيص في الاحتجاج تحت عنوان رسالته (عليه السلام) إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض ، راجع بحار الأنوار : ٦٨/٥٠ .

الغالبون ﴿١﴾ . وروت العامة في ذلك أخباراً لأمر المؤمنين (عليه السلام) أنه تصدق بخاتمه وهو راع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه . فوجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أتى بقوله : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » وبقوله : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي » ووجدناه يقول : « عليّ يقضي ديني وينجز موعدتي وهو خليفتي عليكم من بعدي » .

فالخبر الأوّل الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضاً موافق للكتاب ؛ فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها . ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الصادقين (عليه السلام) ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد . وذلك أنّ أقاويل آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (٢) ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « من آذى عليّاً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه » وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله) : « من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله » . ومثل قوله (صلى الله عليه وآله) في بني وليعة : « لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفي يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله قم يا عليّ فسر إليهم » (٣) . وقوله (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر : « لأبعثنّ إليهم غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كزاراً غير فرارٍ لا يرجع حتّى يفتح الله عليه » . فقضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالفتح قبل التوجّه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما كان من الغد دعا عليّاً (عليه السلام) فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة وسمّاه كزاراً غير فرار ، وسمّاه الله محبّاً لله ورسوله ، فأخبر أنّ الله ورسوله يحبّانه .

(١) المائدة (٥) : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) الاحزاب (٣٣) : ٥٧ .

(٣) بنو وليعة - كسفينة - : حي من كندة .

وإنما قدّمنا هذا الشّرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن ميّنوه من أمر الجبر والتّفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوة وعليه نتوكّل في جميع أمورنا فإنّا نبدأ من ذلك بقول الصادق (عليه السلام) : « لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحّة الخلقة وتخلية السّرب ^(١) والمهلة في الوقت والزّاد مثل الرّاحلة والسّبب المهيّج للفاعل على فعله » ، فهذه خمسة أشياء جمع به الصادق (عليه السلام) جوامع الفضل ، فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه ، فأخبر الصادق (عليه السلام) بأصل ما يجب على النّاس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله ، لأنّ الرّسول (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) لا يعدون شيئاً من قوله وأقاويلهم حدود القرآن ، فإذا وردت حقائق الأخبار والتّمسّت شواهدا من التّنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلّا أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق (عليه السلام) من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتّفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدّق مقالته في هذا . وخبرٌ عنه أيضاً موافق لهذا ؛ أنّ الصادق (عليه السلام) سئل أهل أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصادق (عليه السلام) : هو أعدل من ذلك . ف قيل له : فهل فوّض إليهم ؟ فقال (عليه السلام) : هو أعزُّ وأقهر لهم من ذلك . وروي عنه أنّه قال : النّاس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك . ورجل يزعم أنّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك . ورجل يزعم أنّ الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ ، فأخبر (عليه السلام) أنّ من تقلّد الجبر والتّفويض ودان بهما فهو على خلاف الحقّ . فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ ، وأنّ الذي يتقلّد التّفويض يلزمه الباطل ، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما ^(٢).

(١) السّرب - بالفتح - : الطريق والصدر - بالكسر - أيضاً : الطريق والقلب . - وبالتحريك - الماء السائل .

(٢) راجع تمام الرسالة في تحف العقول والاحتجاج ، وبحار الأنوار : ٦٨/٥٠ .

٣- من تراثه الفقهي

١- عن خيران الخادم قال : كتبت إلى الرجل - أي الإمام - صلوات الله عليه أسأله عن الثوب يصيبه الخمر ولحم الخنزير أيصلى فيه أم لا ؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : صل فيه فإن الله إنما حرم شربها وقال بعضهم : لا تصل فيه ، فكتب (عليه السلام) : لا تصل فيه فإنه رجس^(١).

٢- عن علي بن ابراهيم ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان قال : رأيت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) سجد سجدة الشكر فافترش ذراعيه فألصق جؤجؤه وبطنه بالأرض فسألته عن ذلك ؟ فقال : كذا نحب^(٢).

٣- وعنه أيضاً ، عن علي بن راشد قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) جعلت فداك إنك كتبت إلى محمد بن الفرج تعلمه أنّ أفضل ما تقرأه في الفرائض يانا أنزلناه وقل هو الله أحد ، وإن صدري ليضيق بقراءتهما في الفجر ، فقال (عليه السلام) : لا يضيقنّ صدرك بهما فإن الفضل والله فيهما^(٣).

٤- سأل داود بن أبي زيد أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن : القراطيس والكواغد المكتوبة عليها هل يجوز عليها السجود ؟ فكتب : يجوز^(٤).

٥- عن أيوب بن نوح قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن المغمى عليه يوماً أو أكثر هل يقضي ما فاته أم لا ؟ فكتب (عليه السلام) : لا يقضي الصوم ولا يقضي الصلاة^(٥).

(١) الكافي : ٣ / ٤٠٥ .

(٢) الكافي : ٣ / ٣٢٤ .

(٣) الكافي : ٣ / ٢٩٠ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٢٧٠ .

(٥) تهذيب الاحكام : ٤ / ٢٤٣ .

٦- عن أبي إسحاق بن عبد الله العلوي العريضي قال : وحك في صدري ما الايام التي تصام ؟ فقصدت مولانا أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) وهو بصريا . ولم أبد ذلك لأحد من خلق الله فدخلت عليه فلما بصر بي قال (عليه السلام) : يا أبا اسحاق جئت تسألني عن الأيام التي يصام فيهن وهي أربعة : أولهن يوم السابع والعشرين من رجب يوم بعث الله تعالى محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى خلقه رحمة للعالمين ، ويوم مولده (صلى الله عليه وآله) وهو السابع عشر من شهر ربيع الأول ، ويوم الخامس والعشرين من ذي القعدة فيه دحيت الكعبة ، ويوم الغدير فيه أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخاه (عليه السلام) علماً للناس وإماماً من بعده ، قلت : صدقت جعلت فداك لذلك قصدت ، أشهد أنك حجة الله على خلقه (١).

٧- عن علي بن مهزيار قال : كتبت إليه : يا سيدي رجل دفع إليه مال يحج فيه ، هل عليه في ذلك المال حين يصير إليه الخمس أو على ما فضل في يده بعد الحج ؟ فكتب (عليه السلام) : ليس عليه الخمس (٢).

٨- عن أحمد بن حمزة قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : رجلٌ من مواليك له قرابة كلهم يقول بك وله زكاة أيجوز له أن يعطيهم جميع زكاته ؟ قال : نعم (٣).

٩- عن أبي علي بن راشد قال : قلت لأبي الحسن الثالث (عليه السلام) : إنا نؤتي بالشيء فيقال هذا كان لأبي جعفر (عليه السلام) عندنا ، فكيف نصنع ؟ فقال : ما كان لأبي (عليه السلام) بسبب الإمامة فهو لي وما كان غير ذلك فهو ميراث علي كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) (٤).

(١) تهذيب الأحكام : ٣٠٥ / ٤ .

(٢) الكافي : ٥٤٧ / ١ .

(٣) الكافي : ٥٥٢ / ٣ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ٤٢ / ٢ .

١٠ - عن ابراهيم بن محمد قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) ،
أسأله عما يجب في الضياع ، فكتب : الخمس بعد المؤونة ، قال : فناظرت
أصحابنا فقالوا : المؤونة بعدما يأخذ السلطان ، وبعد مؤونة الرجل ، فكتبت
إليه أنك قلت : الخمس بعد المؤونة وإن أصحابنا اختلفوا في المؤونة ؟
فكتب : الخمس بعدما يأخذ السلطان وبعد مؤونة الرجل وعياله^(١).

١١ - كتب محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني إلى أبي الحسن علي بن
محمد العسكري (عليه السلام) في رجل دفع ابنه إلى رجل وسلمه منه سنة بأجرة
معلومة ليخيط له ، ثم جاء رجل آخر فقال له : سلم ابنك مني سنة بزيادة هل له
الخيار في ذلك ؟ وهل يجوز له أن يفسخ ما وافق عليه الأول أم لا ؟
فكتب (عليه السلام) بخطه : يجب عليه الوفاء للأول ما لم يعرض لابنه مرض أو ضعف^(٢).

١٢ - عن محمد بن عيسى ، عن ابراهيم الهمداني قال : كتبت إلى أبي
الحسن (عليه السلام) وسألته عن امرأة آجرت ضيعتها عشر سنين على أن تعطى
الأجرة في كل سنة عند انقضائها لا يقدم لها شيء من الأجرة ما لم يمض
الوقت فماتت قبل ثلاث سنين أو بعدها هل يجب على ورثتها إنفاذ الاجارة
إلى الوقت أم تكون الاجارة منتقضة بموت المرأة ؟ فكتب (عليه السلام) : ان كان لها
وقت مسمى لم يبلغ فماتت فلورثتها تلك الاجارة فإن لم تبلغ ذلك الوقت وبلغت ثلثه أو
نصفه أو شيئاً منه فيعطى ورثتها بقدر ما بلغت من ذلك الوقت إن شاء الله^(٣).

١٣ - عن محمد بن رجاء الخياط قال : كتبت إلى الطيب (عليه السلام) إني كنت
في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت إليه لآخذه فاذا أنا بآخر ، ثم بحثت

(١) تفسير العياشي: ٢ / ٦٣ .

(٢) الكافي: ٤ / ٢٣٩ .

(٣) الكافي: ٥ / ٢٧٠ .

الحصن فإذا أنا بثالث فأخذتها فعزفتها ولم يعرفها أحد فما ترى في ذلك ؟
فكتب (عليه السلام) : إني قد فهمت ما ذكرت من أمر الدنانير فإن كنت محتاجاً فتصدق بثلتها ،
وان كنت غنياً فتصدق بالكل^(١).

١٤ - عن أحمد بن محمد قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) في قول الله عز وجل : ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ قال : طواف الفريضة طواف النساء^(٢).

١٥ - روى علي بن مهزيار عن محمد بن اسماعيل قال : أمرت رجلاً أن يسأل أبا الحسن (عليه السلام) عن الرجل يأخذ من الرجل حجة فلا تكفيه أله أن يأخذ من رجل آخر حجة أخرى فيتسع بها فتجزي عنهما جميعاً أو يتركهما جميعاً أن لم تكفه إحداهما ؟ فذكر انه قال : أحب إلي أن تكون خالصة لواحد فإن كانت لا تكفيه فلا يأخذها^(٣).

١٦ - عن القاسم بن محمد الزيات قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : إني ظاهرت من امرأتي فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت : أنت علي كظهر أمي ان فعلت كذا وكذا ، فقال : لا شيء عليك ولا تعد^(٤).

١٧ - عن الوشاء قال : كتبت إليه أسأله عن الفقاع ، قال : فكتب حرام وهو خمر ومن شربه كان بمنزلة شارب الخمر ، قال : وقال أبو الحسن الأخير (عليه السلام) : لو أن الدار داري لقتلت بايعه ولجلدت شاربته ، وقال أبو الحسن الأخير (عليه السلام) : حدّه حدّ شارب الخمر ، وقال (عليه السلام) : هي خميرة استصغرها الناس^(٥).

١٨ - كتب إبراهيم بن محمد الهمداني إليه (عليه السلام) : ميت أوصني بأن يجري

(١) الكافي : ٤ / ٢٣٩ .

(٢) الكافي : ٥١٢ / ٤٠ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٤٤٤ .

(٤) الكافي : ٦ / ١٥٨ .

(٥) الكافي : ٦ / ٤٢٣ .

على رجل ما بقي من ثلثه ولم يأمر بإنفاذ ثلثه ، هل للوصي أن يوقف ثلث الميت بسبب الاجراء ؟ فكتب (عليه السلام): ينفذ ثلثه ولا يوقف .

٢١- عن أبي علي بن راشد قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) قلت : جعلت فداك اشتريت أرضاً إلى جنب ضيعتي بألفي درهم فلما وفيت المال خبرت أن الأرض وقف ؟ فقال : لا يجوز شراء الوقف ولا تدخل الغلة في مالك إذفعها إلى من أوقف عليه .

قلت لا أعرف لها رباً ؟ قال : تصدق بغلتها^(١).

٤- من أدعية الإمام الهادي (عليه السلام)

١- دعاؤه عند الشدائد: وكان يدعو به إذا ألمّت به حادثة أو حلّ به خطب أو أراد قضاء حاجة مهمة ، وكان قبل ان يدعو به يصوم يوم الاربعاء والخميس والجمعة ، ثم يغتسل في أول يوم الجمعة ويتصدق على مسكين ويصلي أربع ركعات فيقرأ في الركعة الاولى سورة الفاتحة وسورة يس وفي الثانية سورة الحمد وحم الدخان ، وفي الثالثة سورة الحمد مع سورة الواقعة وفي الرابعة سورة الحمد وسورة تبارك ، وإذا فرغ منها بسط راحتيه إلى السماء ، ودعا باخلاص قائلاً بعد البسملة^(٢) :

« اللهم لك الحمد حمداً يكون أحق الحمد بك ، وأرضى الحمد لك ، وأوجب الحمد لك ، وأحب الحمد إليك ، ولك الحمد كما انت اهلكه وكما رضيته لنفسك وكما حمدك من رضيت حمده من جميع خلقك ولك الحمد كما حمدك به جميع انبيائك ورسلك وملائكتك ، وكما ينبغي لعزك وكبريائك وعظمتك ، ولك الحمد حمداً تكل اللسان عن

(١) الكافي : ٣٧ / ٧ .

(٢) الوسائل : ٦٢ / ٥ .

صفته ويقف القول عن انتهائه ، ولك الحمد حمداً لا يقصر عن رضاك ولا يفضلُه شيء من محامدك .

اللهم ومن جودك وكرمك انك لا تخيب من طلب إليك وسألك ورغب فيما عندك ، وتبغض من لم يسألك ، وليس كذلك احد غيرك ، وطمعي يا رب في رحمتك ومغفرتك ، وثقتي باحسانك وفضلك حداني على دعائك والرغبة إليك ، وانزل حاجتي بك ، وقد قدمت امام مسألتني التوجه بنبيك الذي جاء بالحق والصدق فيما عندك ، ونورك وصراطك المستقيم الذي هديت به العباد ، وأحييت بنوره البلاد ، وخصصته بالكرامة ، وأكرمتة بالشهادة وبعثته على حين فترة من الرسل . اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت وتعاليت :

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ ^(١) وقلت : ﴿ قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ﴾ ^(٢) وقلت : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ ^(٣) اجل يا رب نعم المدعو أنت ونعم الرب أنت ونعم المجيب ، وقلت : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنی ﴾ ^(٤) ، وانا ادعوك اللهم بأسمائك التي إذا دعيت بها أجبت ، وإذا سُئلت بها أعطيت ، وأدعوك متضرعاً إليك مستكيناً ، دعاء من أسلمته الغفلة ، وأجهده الحجة ، أدعوك دعاء من استكان ، واعترف بذنبه ، ورجاك لعظيم مغفرتك ، وجزيل مثوبتك .

(١) البقرة (٢) : ١٨٦ .

(٢) الزمر (٣٩) : ٥٣ .

(٣) الصافات (٣٧) : ٧٥ .

(٤) الإسراء (١٧) : ١١٠ .

٢ - دعاء الاعتصام، وهذا نصّه: « يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند ويا واحد يا أحد، يا قل هو الله أحد، أسألك بحق من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحد أن تصلي عليهم... ثم تذكر حاجتك»^(١).

٣ - مناجاته: وكان الإمام الهادي (عليه السلام) ينادي الله تعالى في غلس الليل البهيم بقلب خاشع، ونفس آمنة مطمئنة. وكان ممّا يقول في مناجاته:

«إلهي مسيء قد ورد، وفقير قد قصد، فلا تخيب مسعاه وارحمه واغفر له خطاه...».

«الهي صلّ على محمد وآل محمد، وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري ومُحي من المخلوقين ذكري، وصرت من المنسين كمن نسي، الهي كُبر سني، ورق جلدي، ودقّ عظمي، ونال الدهر مني واقترب اجلي، ونفدت أيامي، وذهبت شهواتي وبقيت تبعاتي إلهي ارحمني إذا تغيّرت صورتي...»^(٢).

٥ - من تراثه التربوي والأخلاقي

وأثرت عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) مجموعة من الكلمات الذهبية التي عالج فيها مختلف القضايا التربوية والأخلاقية، والنفسية، وهذه بعضها:

١ - قال (عليه السلام): «خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله».

(١) راجع حياة الإمام علي الهادي: ١٣١ - ١٣٦.

(٢) حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام)، ١٣٧، عن الدر النظيم.

- ٢- قال (عليه السلام) : « من سأل فوق قدر حقه فهو أولى بالحرمان » .
- ٣- قال (عليه السلام) : « صلاح من جهل الكرامة هو انه » .
- ٤- قال (عليه السلام) : « الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك مع القدرة عليه » .
- ٥- قال (عليه السلام) : « الناس في الدنيا بالمال ، وفي الآخرة بالأعمال » .
- ٦- قال (عليه السلام) : « من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه » .
- ٧- قال (عليه السلام) : « تريك المقادير ما لا يخطر ببالك » .
- ٨- قال (عليه السلام) : « شر الرزية سوء الخلق » .
- ٩- قال (عليه السلام) : « الغنى قلة تمنيك ، والرضى بما يكفيك ، والفقر شره النفس وشدة القنوط ، والمذلة اتباع اليسير ، والنظر في الحقيير » .
- ١٠- سئل الإمام (عليه السلام) عن الحزم ؟ فقال (عليه السلام) : « هو أن تنظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك » .
- ١١- قال (عليه السلام) : « راكب الحرون - وهو الفرس الذي لا ينقاد - أسير نفسه » .
- ١٢- قال (عليه السلام) : « الجاهل أسير لسانه » .
- ١٣- قال (عليه السلام) : « المرء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلل العقد الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة ، والمغالبة أس أسباب القطيعة » .
- ١٤- قال (عليه السلام) : « العتاب مفتاح التعالي ، والعتاب خير من الحقد » .
- ١٥- أثنى بعض أصحاب الإمام على الإمام ، وأكثر من تقييده والثناء عليه ، فقال (عليه السلام) له : « إن كثرة الملق يهجم على الفطنة ، فإذا حللت من أخيك محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية » .
- ١٦- قال (عليه السلام) : « المصيبة للصابر واحدة ، وللجاذع اثنان » .
- ١٧- قال (عليه السلام) : « الحسد ماحق الحسنات ، والزهو جالب المقت » .

١٨ - قال (عليه السلام): «العجب صارف عن طلب العلم، وداع إلى الغمط^(١) في الجهل» .

١٩ - قال (عليه السلام): «البخل أذم الأخلاق، والطمع سجية سيئة» .

٢٠ - قال (عليه السلام): «مخالطة الأشرار تدل على شر من يخالطهم» .

٢١ - قال (عليه السلام): «الكفر للنعم امارة البطر، وسبب للتغيير» .

٢٢ - قال (عليه السلام): «اللحاجة مسببة للسلامة، ومؤدية للندامة» .

٢٣ - قال (عليه السلام): «الهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال» .

٢٤ - قال (عليه السلام): «العقوب يعقب القلة، ويؤدي إلى الذلة» .

٢٥ - قال (عليه السلام): «السهر أذ للنام، والجوع يزيد في طيب الطعام» .

٢٦ - قال (عليه السلام) لبعض أصحابه: «اذكر مصرعك بين يدي أهلك حيث لا طبيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك» .

٢٧ - قال (عليه السلام): «اذكر حشرات التفريط بأخذ تقديم الحزم» .

٢٨ - قال (عليه السلام): «ما استراح ذو الحرص والحكمة» .

٢٩ - قال (عليه السلام): «لا نجع في الطبايع الفاسدة» .

٣٠ - قال (عليه السلام): «من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطى» .

٣١ - قال (عليه السلام): «شر من الشر جالبه، وأهول من الهول راكبه» .

٣٢ - قال (عليه السلام): «إياك والحسد فإنه يبين فيك، ولا يعمل في عدوك» .

٣٣ - قال (عليه السلام): «إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن

(١) غمط الناس: احتقرهم وتكبر عليهم.

بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه» .

٣٤- قال (عليه السلام) للمتوكل : « لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه، ولا الوفاء ممن

غدرت به، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له» .

٣٥- قال (عليه السلام) : « ابقوا النعم بحسن مجاورتها، واتمسوا الزيادة فيها بالشكر

عليها، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما أعطيت، وامنع شيء لما منعت فاحملوها على مطية لا تبطي» .

٣٦- قال (عليه السلام) : « الجهل والبخل أذم الأخلاق» .

٣٧- قال (عليه السلام) : « حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن» .

٣٨- قال (عليه السلام) : « إن من الغرة بالله أن يصير العبد على المعصية ويتمنى على الله

المغفرة» .

٣٩- قال (عليه السلام) : « لو سلك الناس وادياً وسیعاً لسلكت وادي رجل عبد الله وحده

خالصاً» .

٤٠- قال (عليه السلام) : « والغضب على من تملك لؤم»^(١) .

٤١- قال (عليه السلام) : « إن لله بقاعاً يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحيير^(٢)

منها» .

٤٢- وقال (عليه السلام) يوماً : « إن أكل البطيخ يورث الجذام » ، فقليل له : أليس قد

أمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من الجنون والجذام والبرص ؟

قال (عليه السلام) : « نعم ؛ ولكن إذا خالف المؤمن ما أمر به ممن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبة

الخلاف» .

(١) راجع حياة الإمام علي الهادي: ١٥٦ - ١٦٥ .

(٢) الحيير - بالفتح - : مخفف حائر والمراد ان الحائر الحسيني (عليه السلام) من هذه البقاع .

٤٣ - وقال (عليه السلام) : « الشَّاكر أسعد بالشُّكر منه بالنعمة التي أوجبت الشُّكر ، لأنَّ النِّعم متاع . والشُّكر نعم وعقبي » .

٤٤ - وقال (عليه السلام) : « إِنَّ الله جعل الدُّنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي وجعل بلوى الدُّنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدُّنيا عوضاً » .

٤٥ - وقال (عليه السلام) : « إِنَّ الظَّالم الحالم يكاد أن يعفي على ظلمه بحلمه . وإنَّ المحقَّ السَّفيه يكاد أن يطفئ نور حقِّه بسفه » .

٤٦ - وقال (عليه السلام) : « من جمع لك ودَّه ورأيه فاجمع له طاعتك » .

٤٧ - وقال (عليه السلام) : « من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرَّه » .

٤٨ - وقال (عليه السلام) : « الدُّنيا سوق ، ربح فيها قوم وخسر آخرون » ^(١) .

إلى هنا نختم الكلام عن التراث القيم للإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) تاركين التفصيل إلى مسنده ومصادر ترجمته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) راجع تحف العقول : ٣٦٢ طبعة النجف الأشرف.

الفهرس التفصيلي

- فهرس إجمالي ٥
- كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) ٧
- الباب الأول :

- الفصل الأول : الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في سطور ١٧
- الفصل الثاني : انطباعات عن شخصية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ٢١
- الفصل الثالث : مظاهر من شخصية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ٢٧
- ١ - الكرم ٢٧
- ٢ - الزهد ٢٩
- ٣ - العمل في المزرعة ٢٩
- ٤ - إرشاد الضالّين ٣٠
- ٥ - التحذير من مجالسة الصوفيين ٣٠
- ٦ - تكريمه للعلماء ٣٢
- ٧ - العبادة ٣٣
- ٨ - استجابة دعائه ٣٤

الباب الثاني :

- الفصل الأول : نشأة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ٣٩
- ١ - نسبه الشريف ٣٩
- ٢ - ولادته ونشأته ٣٩
- ٣ - بشارة الرسول (ﷺ) بولادته ٤٠

- ٤ - كنيته وألقابه ٤٠
- الفصل الثاني : مراحل حياة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ٤١
- الفصل الثالث : الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في ظل أبيه الجواد (عليه السلام) ٤٣
- الشيعية وإمامة الجواد (عليه السلام) ٤٤
- عصر الإمام الجواد (عليه السلام) ٤٥
- الإمام الجواد (عليه السلام) والمأمون العباسي ٥١
- الإمام الجواد (عليه السلام) والمعتصم ٥٥
- نصوص الإمام الجواد (عليه السلام) على إمامة ولده الهادي (عليه السلام) ٥٦
- استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام) ٦٠
- الباب الثالث :**

- الفصل الأول: المسيرة الرسالية لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ٦٥
- عقبات وأخطار أمام عملية التغيير الشاملة ٦٦
- مضاعفات الانحراف بعد الرسول (عليه السلام) ٦٨
- انهيار الدولة الإسلامية ومضاعفاته ٦٩
- دور الأئمة الراشدين (عليهم السلام) ٧٠
- المهام الرسالية للأئمة الطاهرين ٧٢
- موقف أهل البيت (عليهم السلام) من انحراف الحكام ٧٣
- أهل البيت (عليهم السلام) وتربية الأمة ٧٤
- سلامة النظرية الإسلامية ٧٥
- مراحل الحركة الرسالية للأئمة الراشدين (عليهم السلام) ٧٥
- موقع الإمام الهادي (عليه السلام) في عملية التغيير ٧٨

٧٩	الفصل الثاني: عصر الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)
٧٩	المعتصم
٨٠	الإمام الهادي (عليه السلام) والمعتصم العباسي
٨٣	الوائق
٨٤	الإمام الهادي (عليه السلام) وبغا الكبير
٨٦	الوائق ومحنة خلق القرآن
٨٨	موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من مسألة خلق القرآن
٨٨	إخبار الإمام الهادي (عليه السلام) بموت الواثق
٨٩	المتوكل
٩١	الإمام الهادي (عليه السلام) والمتوكل العباسي
٩٣	الوشاية بالإمام (عليه السلام)
٩٧	الإمام (عليه السلام) في طريقه الى سامراء
١٠٠	الإمام (عليه السلام) في سامراء
١٠٤	تفتيش دار الإمام (عليه السلام)
١٠٨	اعتقال الإمام الهادي (عليه السلام)
١٠٩	محاولة اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام)
١١١	دعاء الإمام (عليه السلام) على المتوكل
١١٢	هلاك المتوكل
١١٣	المنتصر بالله
١١٣	المنتصر والعلويين
١١٤	المستعين
١١٤	الثورات في عصره
١١٥	المعتز
١١٧	اضطهاد الشيعة

- الفصل الثالث: ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١١٩
- ١ - الحالة السياسية العامة ١٢٠
- ٢ - الحالة الثقافية ١٢٣
- ٣ - الحالة الاقتصادية ١٢٣
- ٤ - الموقع الاجتماعي والسياسي للإمام الهادي (عليه السلام) ١٢٤
- ٥ - العباسيون والإمام الهادي (عليه السلام) ١٢٥
- ٦ - اضطهاد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ١٢٦
- ٧ - انتفاضات العلويين ١٢٧

الباب الرابع :

- الفصل الأول: متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١٣٣
- متطلبات الساحة الإسلامية في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١٤٤
- ١ - تجنب إثارة الحكام وعمّالهم ١٤٤
- ٢ - الرد على الإثارات الفكرية والشبهات الدينية ١٤٥
- ٣ - التحدي العلمي للسلطة وعلمائها ١٤٦
- ٤ - توسيع دائرة النفوذ في جهاز السلطة ١٥٣
- الفصل الثاني: الإمام الهادي (عليه السلام) وتكامل بناء الجماعة الصالحة وتحسينها .. ١٥٥
- ١ - الإمام الهادي (عليه السلام) وقضية حفيده المهدي (عليه السلام) ١٥٥
- ٢ - تحسين الجماعة الصالحة وإعدادها لمرحلة الغيبة ١٦٢
- التحسين العقائدي ١٦٣
- الموقف من الغلاة والفرق المنحرفة ١٦٧
- ظاهرة الزيارة ودورها في التحسين العقائدي ١٦٨
- أولاً: الزيارة الجامعة الكبيرة ١٦٨
- ١- اصطفاء أهل البيت (عليهم السلام) ١٦٩

- ١٧٠ ٢- حركة أهل البيت (عليه السلام)
- ١٧١ ٣- الأسس الفكرية للتشيع
- ١٧٣ ٤- الموالون لأهل البيت (عليه السلام)
- ١٧٨ ثانياً: زيارة الغدير
- ١٨١ التحصين العلمي
- ١٨٢ التحصين التربوي
- ١٨٥ التحصين الأمني
- ١٨٨ نظام الوكلاء
- ١٩٠ وكلاء الإمام الهادي (عليه السلام)
- ١٩١ التحصين الاقتصادي
- ١٩٣ الفصل الثالث: الإمام الهادي (عليه السلام) في ذمة الخلود
- ١٩٣ استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام)
- ١٩٥ تجهيزه وحضور الخاصة والعامة لتشيعه
- ١٩٦ لماذا دفن الإمام (عليه السلام) في بيته؟
- ١٩٨ انتشار خبر استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام) في البلاد
- ١٩٩ تاريخ استشهاد (عليه السلام)
- ٢٠١ الفصل الرابع: مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وتراثه
- ٢٠٢ البحث الأول: أصحاب الإمام (عليه السلام) ورواة حديثه
- ٢٠٣ ١- إبراهيم بن عبدة النيسابوري
- ٢٠٣ ٢- إبراهيم بن محمد الهمداني
- ٢٠٤ ٣- إبراهيم بن مهزيار
- ٢٠٤ ٤- أحمد بن اسحاق بن عبدالله الأشعري القمي
- ٢٠٥ ٥- أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي

- ٦- أيوب بن نوح بن دراج ٢٠٥
- ٧- الحسن بن راشد ٢٠٥
- ٨- الحسن بن علي ٢٠٨
- ٩- الحسن بن علي الوشا ٢٠٨
- ١٠- داود بن القاسم الجعفري ٢٠٩
- ١١- الريان بن الصلت ٢١٠
- ١٢- عبدالعظيم الحسيني ٢١٠
- ١٣- عثمان بن سعيد العمري السمان ٢١٢
- ١٤- علي بن مهزيار الأهوازي الدورقي ٢١٣
- ١٥- الفضل بن شاذان النيشابوري ٢١٥
- ١٦- محمد بن أحمد المحمودي ٢١٦
- ١٧- محمد بن الحسن بن أبي الخطاب الزيات ٢١٧
- ١٨- محمد بن الفرج الرخجي ٢١٧
- ١٩- معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي ٢١٧
- ٢٠- يعقوب بن إسحاق ٢١٨
- النساء (كلثم الكرخية) ٢١٨
- البحث الثاني: نماذج من تراث الإمام الهادي (عليه السلام) ٢١٩
- ١- من تراثه التفسيري ٢١٩
- ٢- من تراثه الكلامي ٢٢٠
- ٣- من تراثه الفقهي ٢٢٧
- ٤- من أدعية الإمام الهادي (عليه السلام) ٢٣١
- ٥- من تراثه التربوي والأخلاقي ٢٣٣
- الفهرس التفصيلي ٢٣٩